بسم الله الرحمن الرحيم



دولة فلسطين

وزارة التربية والتعليم العالي

القرآن الكريم و علومه

للصف الحادي عشر

فرع التعليم الشرعي

المؤلفون

د. إسماعيل أمين نواهضة «منسقاً»

أ. د. حلمي كامل عبد الهادي

د. عودة عبد عبد الله

أ. مسعود عبد الحفيظ ريان

د. إياد عبدالله جبور «مركز المناهج»



قررت وزارة التربية والتعليم العالي في دولة فلسطين
تدريس كتاب القرآن الكريم وعلومه لفرع التعليم الشرعي ابتدءً من العام الدراسي ٢٠١٠ / ٢٠١١

- **الإشراف العام:** **أ. علي شحادة مناصرة** / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية

- **الفريق الوطني لمنهاج التعليم الشرعيّ:**

الإشراف والتنسيق الإداري للفريق الوطني:

أ. علي شحادة مناصرة / مدير عام المناهج الإنسانية والاجتماعية / وزارة التربية والتعليم العالي

أ. حسام محمد أبو الرب / وكيل مساعد / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

أ. محمد جهاد الكيلاني / قائم بأعمال مدير عام التعليم الشرعي / وزارة الأوقاف والشؤون الدينية

الفريق الوطني:

د. إياد عبد الله جبور «منسقاً»

د. إسماعيل أمين نواهضة

د. حمزة ذيب مصطفى

د. سعيد سليمان القيق

د. شفيق موسى عيّاش

- **تحكيم علمي:** د. محسن سميح الخالدي
- **تحرير لغوي:** أ. رائد شريدة
- **الإخراج الفني:** أ. كمال فحماوي

الطبعة الأولى التجريبية

٢٠١٣م/ ١٤٣٤ هـ

© جميع حقوق الطبع محفوظة لوزارة التربية والتعليم العالي/مركز المناهج

مركز المناهج –حي المصيون–شارع المعاهد–أول شارع على اليمين من جهة مركز المدينة

ص .ب ٧١٩ – رام الله – فلسطين، تلفون ٠٠٩٧٠-٢-٢٩٦٩٣٥٠+ فاكس ٠٠٩٧٠-٢-٢٩٦٩٣٧٧+

الصفحة الالكترونية: www.pcdc.edu.ps – العنوان الالكتروني: pcdc@palnet.com

تقديم

الحمد لله الذي بحمده تتم النعم، وبتوفيقه وفضله يكتب النجاح، والصلاة والسلام على خير من عَلِمَ فعلم، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار، وعلى من سلك دربه واتبع هديه إلى يوم الوعد المعلوم، وبعد،

فإن المنهاج التعليمي لأي مجتمع يمثل صورة ثقافية تربوية حضارية، يحرص أن تكون مشرقة تعبر عن أصالة معتقده وفكره، وتمثل اهتمامه البالغ في توعية أبنائه، وبناء شخصياتهم بناء يؤهلهم للإبداع في ميادينه كافة، ومن هنا جاء بناء المنهاج الشرعي الفلسطيني ترجمة لقرار مجلس الوزراء باعتماد مسار التعليم الشرعي الثانوي واحداً من مسارات التعليم الثانوي، واعتماد شهادة الدراسة الثانوية العامة – الفرع الشرعي – فرعاً من فروع الثانوية العامة في فلسطين.

كما أن التعليم الشرعي يشكل لبنة مهمة في المنهاج الفلسطيني، الذي دأبت السلطة الوطنية الفلسطينية ممثلة بوزارة التربية والتعليم العالي، على بنائه وتطويره، وصولاً إلى منظومة تربوية شاملة، تحقق تكاملاً وتفاعلاً بين فروع العلم المختلفة.

وتنفيذاً لقرار مجلس الوزراء قامت وزارة التربية والتعليم العالي ممثلة بالإدارة العامة للمناهج الإنسانية، وبالتعاون والتنسيق مع وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بالعمل على إنجاز هذا المنهاج مروراً بعدة مراحل كان أولها بناء الخطوط العريضة للمنهاج الشرعي الفلسطيني من خلال نخبة من العلماء الأجلاء، ثم القيام بتحكيم هذا العمل كذلك من خلال نخبة من العلماء والتربويين، وبعد ذلك تم الانطلاق بالمرحلة الثانية وهي تأليف الكتب الدراسية المقررة للصفين الحادي عشر والثاني عشر بالاعتماد على مجموعة من الفرق المتخصصة والتي اعتمدت على الخطوط العريضة والأهداف التي وضعت فيها.

إن وزارة التربية والتعليم العالي لا يسعها إلا أن تتقدم بجزيل الشكر والتقدير إلى كل من شارك في إنجاز هذا العمل. وإنها إذ تفخر بالكفاءات الوطنية التربوية والأكاديمية التي شاركت في إنجاز هذا المنهاج لترجو من الإخوة المعلمين العمل على المشاركة في إنجاح هذا المنهاج وتيسير الوصول إلى أهدافه، باستثمار ما يتاح من وسائل تعليمية وإمكانات تربوية، والمشاركة في إثرائه أثناء التطبيق في الميدان التربوي.

وزارة التربية والتعليم العالي
مركز المناهج
الإدارة العامة للمناهج الإنسانية والاجتماعية
نيسان ٢٠١٠ م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،خلق الإنسان وفضله على كثير ممن خلق، وكرمه وأنعم عليه بنعم وفيرة،ومن أجّل نعمه نعمة الهداية التي جاء بها الرسل، ونعمة المعرفة التي رفع بها درجات العلماء،والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين المبعوث رحمة للعالمين محمد ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بسنته، وسار على نهجه إلى يوم الدين، وبعد.

فهذا كتاب (القرآن الكريم وعلومه) للصف الحادي عشر الشرعي، أعددناه وفق الخطوط العريضة التي أقرها الفريق الوطني للمنهاج الشرعي الفلسطيني،وقد تناولنا فيه الموضوعات المتعلقة بعلوم القرآن الكريم بأسلوب سهل يتناسب مع مستوى الطلبة،وراعينا مرحلة نموهم العقلي والنفسي والروحي والاجتماعي والانفعالي. وحرصنا أن تكون المادة الدراسية ذات ارتباط بحياة الطلبة، ولها صلة بواقعهم واهتمامهم؛ حتى يتم توظيف المعرفة في الحياة توظيفاً صحيحاً. خاصة عند عرض مادة التفسير، وذلك كموضوعات معجزة الإسراء،ومسؤولية الإنسان عن عمله،وعاقبة الترف،وارتباط الجزاء بالعمل،والإحسان إلى الوالدين،وحقوق الأقارب والمساكين،وصلة الأرحام، والنهي عن الزنا والقتل،وحفظ مال اليتيم، ووجوب الوفاء بالعهد والتثبت من نقل المعلومة،والنهي عن الكبر ،والاستفادة من تنوع أسلوب الآيات المكّيّة والمدنيّة في الدعوة.

وقد راعينا في تأليفه الفروق الفردية بين الطلبة من خلال تنويع أساليب العرض والأنشطة والتقويم،بحيث يجد كل مستوى من الطلبة ما يناسبهم، من أجل التفاعل مع المادة الدراسية، كما أخذنا بعين الاعتبار مراعاة مستوى نمو الطلبة المعرفي،وحصيلتهم اللغوية،وبيّنا بعض المعاني والمفاهيم الصعبة أثناء عرض المادة. وقد سعينا إلى تنمية قدرات الطلبة الفكرية من خلال حفزهم على التفكير، وعرضنا بعض الأنشطة البنائية والختامية لإثراء المادة. وقد تم إثراء المادة التعليمية بالنصوص الشرعية من الكتاب الكريم والسنة الشريفة، وعرضنا رأي الجمهور في الغالب عند تعدد الآراء في المسالة الواحدة، معتمدين على المصادر والمراجع الأصلية. ونحن على ثقة بقدرة المعلم على الإفادة من الكتاب، وعلى إخلاصه وتفانيه، واستخدام خبرته في تدريس هذه المادة، وأملنا في ذلك تحقيق أهداف المنهاج الشرعي في خلق جيل من الدعاة القادرين على حمل أعباء الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنه، وتوظيف الوسائل العلمية الحديثة في تحقيق هذه الغاية الجليلة، واستيعاب المشكلات المعاصرة والقدرة على فهمها، والمساهمة في حلها ضمن رؤية شرعيه واعية بعيداً عن التعصب.

وتضمن الكتاب الوحدات الآتية: الوحدة الأولى:القرآن الكريم والوحي:وتضمنت تعريف القرآن الكريم وأسمائه وميزاته، والفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسي، والوحي وصوره، وكيفية وحي الله تعالى إلى أنبيائه ورسله، والشبهات الواردة على الوحي. وأما الوحدة الثانية: فتناولنا فيها المكّيّ والمدنيّ وخصائصه الموضوعية والأسلوبية، ونزول القرآن الكريم، والحكمة من نزوله منجماً. والوحدة الثالثة: عرضنا فيها لأسباب النزول، وجمع القرآن الكريم في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي عهد أبي بكرا الصديق وعثمان رضي الله عنهما.وترتيب سور القرآن الكريم، ورسم المصحف الشريف. وأما الوحدة الرابعة: فقد بينا فيها نشأة علم التفسير وتطوره،وتناولنا التفسير في عصر النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين، وشروط المفسر،ومناهج المفسرين،والتفسير بالمأثور،والتفسير بالرأي، والقراءات القرآنية. وأما الوحدة الخامسة: فقد تضمنت تفسير الآيات من سورة الإسراء من الآية الأولى وحتى الآية الأربعين؛ وذلك باختيار العنوان المناسب للآيات في كل درس.وإثبات الآيات الكريمة برسم المصحف الشريف، وشرح معاني المفردات والتراكيب الغريبة، والمعنى الإجمالي والتفصيلي. واستنتاج الأحكام الشرعية منها، وعرض ما ترشد إليه.وإبراز القيم والفضائل الأخلاقية. كما حرصنا على تخريج الأحاديث الشريفة وفق منهجية علمية دقيقة. وفي نهاية الكتاب ذكرنا مجموعة المصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في عرض المادة الدراسية، كي يستفيد منها المعلم والطالب في إثراء المادة وحل الأنشطة. وأخيراً،فهذه ثمرة جهدنا آملين أن تنضم إليه جهود زملائنا المعلمين لتحسين الكتاب وتطويره وتحقيق أهدافه،وهي نسخه تجريبية تحتاج الى المزيد من الجهد لتطويرها، فما كان فيه حسناً فبتوفيق الله، وما كان فيه شيء من الخطأ والتقصير فمنا.

والله ولي التوفيق

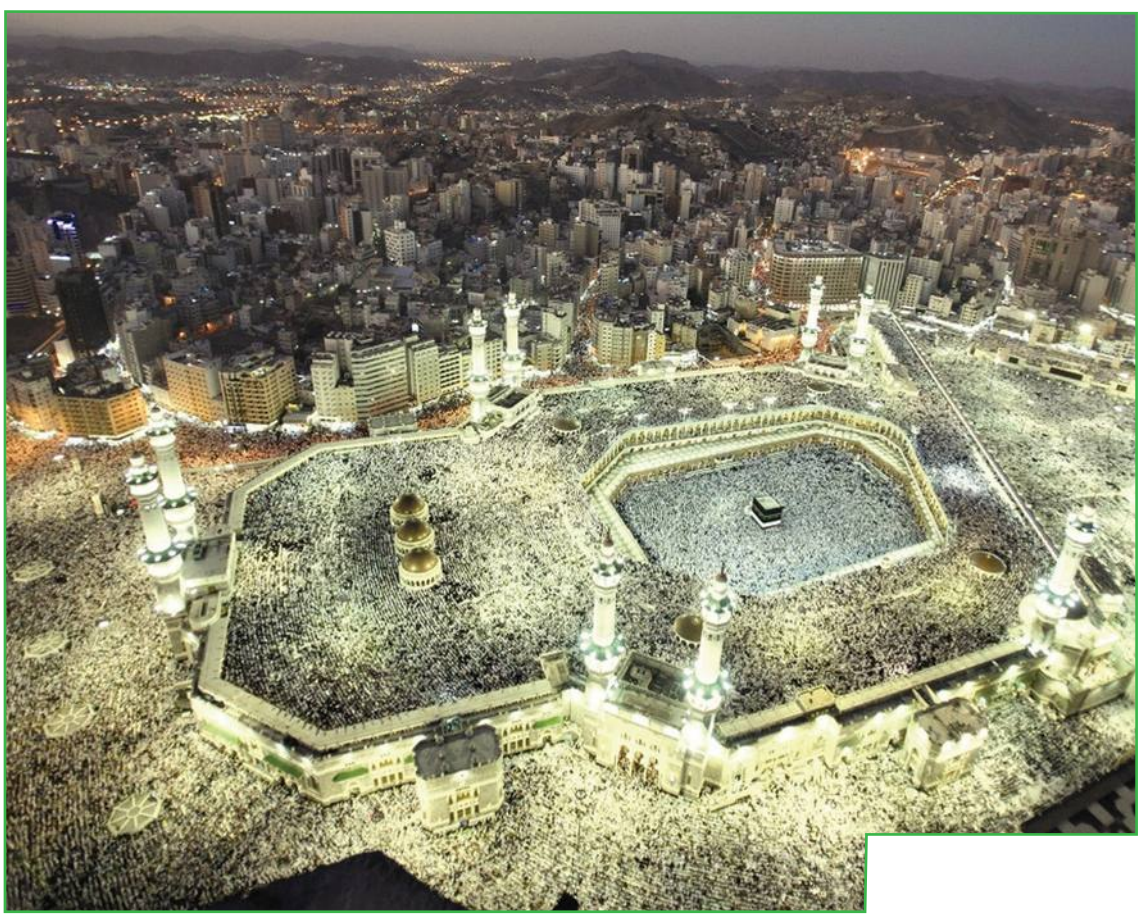
المؤلفون

المحتويات

الفصل الدراسي الأول			
الوحدة الأولى القرآن الكريم والوحي	الدرس ١	القرآن الكريم وأسماؤه	٢
	الدرس ٢	ميزات القرآن الكريم	٥
	الدرس ٣	الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ	٨
	الدرس ٤	الوحي	١١
	الدرس ٥	كيفية وحي الله تعالى إلى ملائكته ورسله	١٤
	الدرس ٦	صور الوحي إلى النبي ﷺ	١٧
	الدرس ٧	الشُبَه الواردة على الوحي	١٩
الوحدة الثانية المكّيّ والمدنيّ في القرآن الكريم	الدرس ٨	علم المكّيّ والمدنيّ	٢٣
	الدرس ٩	خصائص المكّيّ والمدنيّ (الخصائص الموضوعيّة) (١)	٢٦
	الدرس ١٠	خصائص المكّيّ والمدنيّ (الخصائص الأسلوبية) (٢)	٢٩
	الدرس ١١	فوائد العِلْم بالمكّيّ والمدنيّ	٣٢
	الدرس ١٢	نزول القرآن الكريم (١)	٣٥
	الدرس ١٣	نزول القرآن الكريم (٢)	٤١
	الدرس ١٤	حكمة نزول القرآن الكريم منجماً	٤٥
الوحدة الثالثة أسباب النزول وجمع القرآن الكريم	الدرس ١٥	أسباب النزول (١)	٥٠
	الدرس ١٦	أسباب النزول (٢)	٥٤
	الدرس ١٧	فوائد معرفة أسباب نزول الآيات القرآنيّة الكريمة	٥٧
	الدرس ١٨	جمع القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ	٦١
	الدرس ١٩	جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه	٦٦
	الدرس ٢٠	جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه	٧٠
	الدرس ٢١	شبهات حول جمع القرآن الكريم والرد عليها	٧٤
	الدرس ٢٢	الآيات والسور في القرآن الكريم: معناها وترتيبها	٧٨
	الدرس ٢٣	رسم المصحف الشريف ونقطه وشكله	٨١
الوحدة الرابعة تفسير القرآن الكريم	الدرس ٢٤	نشأة علم التفسير وتطوره	٨٥
	الدرس ٢٥	التفسير في عهد النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم	٨٨

الفصل الدراسي الثاني			
الوحدة الرابعة تفسير القرآن الكريم	الدرس ٢٦	التفسير في عصر التابعين	٩٥
	الدرس ٢٧	شروط التفسير وضوابطه	٩٨
	الدرس ٢٨	الترجمة التفسيريّة للقرآن الكريم	١٠١
	الدرس ٢٩	مناهج التفسير القرآنيّ	١٠٣
	الدرس ٣٠	التفسير بالمأثور	١٠٦
	الدرس ٣١	من أعلام التفسير في عصر الصحابة ﷺ	١١١
	الدرس ٣٢	نماذج من التفسير بالمأثور	١١٥
	الدرس ٣٣	التفسير بالرأي	١٢٠
	الدرس ٣٤	نماذج من التفسير بالرأي	١٢٤
	الدرس ٣٥	الأحرف السبعة والقراءات القرآنيّة	١٢٨
الوحدة الخامسة سورة الإسراء تلاوةً وتفسيراً وحفظاً	الدرس ٣٦	بين يدي سورة الإسراء	١٣٣
	الدرس ٣٧	معجزة الإسراء	١٣٦
	الدرس ٣٨	التوراة هداية لبني إسرائيل	١٤٣
	الدرس ٣٩	إفساد بني إسرائيل وعاقبتهم	١٤٦
	الدرس ٤٠	الجزاء من جنس العمل	١٥١
	الدرس ٤١	القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد	١٥٥
	الدرس ٤٢	من آيات الله الكونيّة	١٥٩
	الدرس ٤٣	مسؤولية الإنسان عن عمله	١٦٣
	الدرس ٤٤	عاقبة الترف	١٦٦
	الدرس ٤٥	ارتباط الجزاء بالعمل	١٦٩
	الدرس ٤٦	الإحسان إلى الوالدين	١٧٣
	الدرس ٤٧	حقوق الأقارب والمساكين في المال وحرمة تبذيره	١٧٩
	الدرس ٤٨	الرزق بيد الله وحده	١٨٣
	الدرس ٤٩	النهي عن الزنا والقتل	١٨٧
	الدرس ٥٠	حفظ مال اليتيم ووجوب الوفاء بالعهد	١٩٢
	الدرس ٥١	الدعوة إلى التثبت والنهي عن الكِبْر	١٩٦
		المصادر والمراجع	٢٠٠

الفصل الدراسي الأول



الوحـــدة

١

القرآن الكريم والوحي

الدرس

١

القرآن الكريم وأسماؤه

القرآن الكريم كتاب هداية للإنسانية جمعاء، وهو مصدر العلوم، وأصل الحقائق، ومرجع العلماء، وقد جاء وافياً بجميع مطالب الحياة الإنسانية؛ قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ النحل: ٨٩ .

فما القرآن؟ وما أهم أسمائه؟

تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

القرآن في اللغة: مصدر مرادف للقراءة، نقول: قَرَأَ قراءةً وقرآناً؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾القيامة: ١٧؛ أي جمعه في صدرك وقراءته عليك. وقد اختص لفظ (القرآن) بالكتاب المنزل على محمد ﷺ، ويُطلق لفظ (القرآن) على الكل كما يُطلق على البعض؛ أي أنه يُطلق على مجموع القرآن الكريم وعلى كل آية من آياته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأعراف: ٢٠٤ .

والقرآن في الاصطلاح: كلام الله تعالى، المنزل على رسوله محمد ﷺ بواسطة الأمين جبريل، باللفظ العربي المعجز، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختوم بسورة الناس.

فقولنا: (**كلام الله**) خرج به كلام الإنس والجن والملائكة. وقولنا: (**المنزل**) خرج به كل ما لم ينزل على سيدنا محمد من كلام الله تعالى. وقولنا (**على نبيه محمد** ﷺ) خرج به كلام الله المنزل على غيره من الأنبياء.

وقولنا: (**المنقول بالتواتر**) إشارة إلى الطريقة التي نُقل بها القرآن الكريم، وهي رواية جمع عن جمع يستحيل في العادة اتفاقهم على الكذب. وقولنا: (**المتعبد بتلاوته**) خرجت به الأحاديث القدسية.

ويقصد بالمتعبد بتلاوته أمران:

- **الأول**: أن القرآن الكريم يُقرأ به في الصلاة، والصلاة عبادة لا تصح إلا بالقرآن؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ المزمل: ٢٠، وقوله ﷺ: «**لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب**»[١].

١ أخرجه البخاري، كتاب التوحيد، باب وسمى النبي ﷺ الصلاة عملاً.

- **الثاني**: أن قارئ القرآن يثاب على قراءته، وليس ذلك لغير القرآن؛ قال ﷺ: «**من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف**»[1].

أسماء القرآن

ذكر الإمام الزركشي للقرآن خمسة وخمسين اسماً، وقد زادها غيره على التسعين، ولكن عند التدقيق يتبين أن ما عدّوه اسماً هو في حقيقة الأمر صفة؛ كالمجيد والعزيز والحكيم والكريم والهدى والشفاء، وغيرها.

أما أهم أسمائه، فهي:

١ **القرآن**؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩.

٢ **الكتاب**؛ قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ البقرة: ٢. وهذان الاسمان هما أشهر الأسماء، وقد ذكرا معا كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ﴾ الحجر: ١، وهما يرجعان إلى أصل واحد من حيث المعنى، فالكتابة هي ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض، والقراءة كذلك، ولكن الأولى مكتوبة والثانية ملفوظة.

٣ **الفرقان**؛ قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ الفرقان: ١. وسمي بذلك؛ لأنه فرق بين الحق والباطل والظلمات والنور.

٤ **الذكر**؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩.

٥ **التنزيل**؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ الشعراء: ١٩٢.

٦ **المصحف**، وأُطلق هذا الاسم على القرآن الكريم بعد جمعه في صحف زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

نشاط:

- أبين الفرق بين الصفة والاسم.
- أذكر آيتين من القرآن الكريم وردت فيهما صفات للقرآن الكريم.

١ أخرجه الترمذي، كتاب فضائل القرآن، باب فيمن قرأ حرفاً من القرآن.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) القرآن اسم مختص بالكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ.

ب ( ) (المجيد) اسم من أسماء القرآن الكريم.

جـ ( ) الكتاب والذكر هما أشهر أسماء القرآن الكريم.

د ( ) يجوز أن نطلق على سورة الفاتحة اسم القرآن.

٢ أعرّف القرآن في الاصطلاح.

٣ أذكر ثلاثة من أسماء القرآن الكريم.

٤ أعلل : تسمية القرآن الكريم بالفرقان.

٥ أوضّح المقصود بالعبارة الآتية : «القرآن الكريم متعبد بتلاوته».

الدرس
٢

ميزات القرآن الكريم

تعرفت في الدرس السابق على تعريف القرآن الكريم وأسمائه، و في هذا الدرس نتعرف على ميزات القرآن وخصائصه.

ميزات القرآن الكريم :-

١ **القرآن الكريم هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض للتبديل والتحريف**، فقد نقل إلينا نقلاً متواتراً بالسند المتصل منذ زمن النبي ﷺ حتى وقتنا الحاضر؛ قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٧ – ١٨، وتفيد الآيتان الكريمتان أنّ الله تعالى تعهد بحفظ القرآن الكريم، كما أمرنا برعايته وحفظه في الصدور والسطور.

وتأكيداً لهذه الحقيقة، فقد اعتمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه في جمع القرآن الكريم على المقارنة بين المكتوب في الرقاع والصحائف وغيرها، والمحفوظ في صدور الصحابة رضي الله عنهم.

أما الكتب السماوية السابقة، فقد أوكل أمر حفظها إلى أمانة علمائهم؛ قال تعالى: ﴿وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ المائدة: ٤٤.

يقول المستشرق (لو بلوا) في كتاب «القرآن والتوراة»: «إن القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الذي ليس فيه أي تغيير».

وأما الإنجيل مثلاً فقد كتب بعد فترة طويلة من رفع عيسى عليه السلام؛ لذلك نجدُ عدة أناجيل متناقضة.

٢ **القرآن الكريم معجزة خالدة**، حيث أيد الله تعالى أنبياءه بمعجزات عديدة؛ لتكون دليلاً شاهداً على صدق دعوتهم ورسالتهم، وقد كانت معجزات الأنبياء السابقين حسية تتناسب مع ما اشتهر به أقوامهم، مثل: عصا موسى عليه السلام وكيف تحولت إلى أفعى تلقف ما صنع السحرة، وأنها شقت البحر ونجا موسى عليه السلام ومَنْ معه، من فرعون وجنوده، ومعجزة عيسى عليه السلام في إحياء الموتى، وإنزال المائدة، وإشفاء المرضى بإذن الله، ونجاة إبراهيم عليه السلام من النار التي جعلها الله تعالى برداً وسلاماً.

كما أن هذه المعجزات اقتصرت على من شاهدها، أما القرآن الكريم فهو معجزة الرسول ﷺ

الخالدة باللفظ والمعنى، وهو معجزة عقلية تتناسب مع عالمية الرسالة التي بعث بها؛ ليظل التحدي بها قائماً يشمل الناس جميعاً حتى تقوم الساعة؛ قال تعالى: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء: ٨٨.

نشاط:

- تحدى الله تعالى الكفار أن يأتوا بعشر سور مثل القرآن الكريم، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة من مثله.
- أرجع إلى المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، وأكتب في دفتري الآيات الخاصة بذلك.

٣ **القرآن الكريم متعبد بتلاوته** خلافاً للكتب السماوية السابقة التي لا يجوز تعبد المسلم بقراءتها.

٤ **القرآن الكريم ناسخ للشرائع السماوية السابقة**، فشرائعه تتناسب مع جميع الأزمنة والعصور، وتلائم جميع الأجناس والأعراق، وقد جاء مصدقاً لما جاء به موسى وعيسى والأنبياء من قبل في دعوتهم للتوحيد، وناسخاً لما فيها من الشرائع، وهو -وحده- بما فيه من المبادىء العامة والقواعد الكلية يصلح لمعالجة المسائل المستحدثة، والمشاكل المستجدة الطارئة كافة، فأحكامه صالحة لكل زمان ومكان؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ المائدة: ٤٨، وقال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ النحل: ٨٩.

٥ **القرآن الكريم نزل مخاطباً كل الناس**؛ قال تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨، أما الكتب السماوية التي أنزلت على الأنبياء عليهم السلام قبل محمد ﷺ، فقد خاطبت أقواماً معينين، فقد أنزلت الصحف على إبراهيم عليه السلام، والتوراة على موسى عليه السلام، والإنجيل على عيسى عليه السلام، والزبور على داود عليه السلام، وكلها كتب سماوية خاطبت الأقوام الذين بعث إليهم أولئك الرسل؛ قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨؛ وقال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ﴾ يونس: ٤٧.

أفكر:

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣.

الآية تنهى عن التفرقة في الدين، فكيف نفرق بين هذه الآية وقوله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨.

٦ **القرآن الكريم لا تصح ترجمته ترجمة حرفية؛** لأنه كلام الله المعجز، والترجمة الحرفية للألفاظ تذهب بإعجازه، ذلك أنّ القرآن الكريم أنزل على الرسول محمد ﷺ بلسان عربي مبين، والتعبير العربي يحمل من أسرار اللغة ودلالات الألفاظ ما لا يمكن أن تحل محله لغة؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الشورى: ٧، ففي آيات القرآن الكريم من خواص التركيب وأسرار البلاغة ما تعجز آية لغة عن احتوائه، كما أنّ التعبد بتلاوة القرآن الكريم إنما يتم بلفظه العربي.

أما ترجمة معاني القرآن الكريم فلا تعد ترجمة للقرآن، إنما هي ترجمة لتفسير ألفاظه ومعانيه.

أناقش:

دور ترجمة معاني القرآن الكريم في دعوة غير الناطقين بالعربية إلى الدين الإسلامي.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) جميع كتب الأنبياء السابقين كانت عالمية.

ب ( ) نسخ القرآن الكريم للكتب السابقة يشمل أصول الدين والشرائع.

جـ ( ) لا تسمى ترجمة تفسير آيات القرآن الكريم ومعانيه قرآناً.

د ( ) القرآن الكريم لفظه ومعناه من عند الله.

هـ ( ) حرّف الأحبار والرهبان التوراة والإنجيل.

٢ من ميزات القرآن الكريم أنه الكتاب السماوي الوحيد الذي لم يتعرض للتحريف والتغيير، أبين ذلك.

٣ أعلل: معجزة محمد ﷺ كانت عقلية، بينما معجزات الأنبياء قبله كانت معجزات حسية.

٤ أستدل من القرآن الكريم على أنه ناسخ للشرائع السابقة.

٥ أفسر سبب عدم جواز ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية.

الدرس
٣

الفرق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ

القرآن الكريم كلام الله الخالد ومعجزة الرسول ﷺ الكبرى التي تحدى بها الخلق جميعاً؛ فعجزوا عن الإتيان بمثله، أو مثل بعضه، وهو مختصّ بصفات ليست في الحديث القدسيّ.

الحديث القدسيّ لغة واصطلاحاً:

- **القدسيّ لغة**: نسبة إلى القدس، وهو الطهارة والتنزيه؛ فالقدس والتقديس: التطهير والتبريك، وتقدّس: تطهر.
- **والحديث القدسي اصطلاحاً**: ما يكون فيه اللفظ من الرسول ﷺ، والمعنى من عند الله تعالى، ويضاف إلى الله تعالى، على ما رجحه العلماء؛ كقوله ﷺ: «**قال تعالى: مَنْ عادى لي ولياً فقد أذنته بالحرب . . .**»[1].

أهم الفروق بين القرآن الكريم والحديث القدسيّ:

أولاً: القرآن الكريم معجز تحدى الله به الخلق، أما الحديث القدسيّ فليس معجزاً، ولم يقع به التحدي.

ثانياً: القرآن الكريم جميعه قطعيّ الثبوت؛ لأنه منقول بالتواتر، أما الحديث القدسيّ فليس قطعيّ الثبوت، ومنه: الصحيح والحسن والضعيف.

ثالثاً: يترتب على الأمر السابق أن منكر القرآن الكريم أو منكر بعضه كافر، بينما منكر الحديث القدسيّ لا يكفر، بل هو فاسق آثم.

رابعاً: القرآن الكريم متعبد بتلاوته، أما الحديث القدسيّ فغير متعبد بتلاوته.

خامساً: القرآن الكريم كلام الله باللفظ والمعنى، بينما الحديث القدسيّ معناه وحي من عند الله تعالى، ولفظه من كلام الرسول ﷺ على الرأي الراجح.

سادساً: لا تجوز رواية القرآن الكريم بالمعنى، بينما تجوز رواية الحديث القدسيّ بالمعنى.

سابعاً: يطلق على بعض القرآن الكريم آية، وعلى مجموع الآيات المعينة سورة، ولا يطلق على الحديث القدسيّ آية أو سورة.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب التواضع.

أمثلة على الحديث القدسيّ:

١ **عن أنس بن مالك ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: «يا بن آدم، إنّك ما دعوتني ورجوتني غفرتُ لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا بن آدم، لو بلغت ذنوبُك عنان السماء، ثمّ استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي»**[١].

والحديث يدل على سعة مغفرة الله عزّ وجلّ، بحيث لو كثرت ذنوب العبد، ثمّ تاب واستغفر، فإنّ عفو الله ومغفرته أعظم.

٢ **وعن أبي ذرّ الغفاريّ ﷺ، عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه عزّ وجلّ أنه قال: «يا عبادي إنّي حرّمتُ الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»**[٢].

والحديث يدل على أنّ الله تقدّس وتنزّه عن الظلم، وهو مستحيل في حقّ الله سبحانه وتعالى؛ لأنّ الظلم مجاوزة الحدّ، والتصرف في ملك الغير، وهما محال في حقّ الله المالك العادل الحكيم، وقد نهى الله العباد عن الظلم، فقال: (فلا تظالموا)؛ أي: لا يظلم بعضكم بعضاً.

الفرق بين الحديث القدسيّ والحديث النبويّ:

١ الحديث القدسيّ ينسب إلى الله تعالى؛ فيقول الرسول ﷺ: قال الله تعالى، أو يقول الصحابيّ عن النبيّ ﷺ فيما يرويه عن ربه، أمّا الحديث النبويّ فينسب إلى النبيّ ﷺ فقط.

٢ أغلب الأحاديث القدسية تتعلق بموضوعات الخوف والرجاء، والدلالة على عظمة الله تعالى، والقليل منها يتعرّض إلى الأحكام التكليفية، بينما الأحاديث النبوية تتطرق إلى هذه الموضوعات، وغيرها من الأحكام الشرعية.

٣ الأحاديث القدسية قليلة بالمقارنة مع الأحاديث النبوية؛ إذ إنّ القدسية لا تزيد عن بضع مئات، أما الأحاديث النبوية فهي آلاف كثيرة.

٤ الأحاديث القدسية قولية، بينما الأحاديث النبوية قولية وفعلية وتقريرية، كما هو معلوم.

نشاط:

أرجع إلى كتب الحديث الشريف، وأكتب حديثين قدسيين.

١ أخرجه الترمذيّ، كتاب الدعوات، باب فضل التوبة والاستغفار.
٢ أخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الحديث القدسيّ معجز يُتحدى به .

ب ( ) القرآن الكريم منقول بالتواتر .

جـ ( ) القرآن الكريم بعضه قطعيّ الثبوت، وبعضه ظنّيّ الثبوت .

د ( ) تجوز رواية القرآن الكريم بالمعنى .

٢ أعرّف الحديث القدسيّ لغة واصطلاحاً .

٣ أذكر ثلاثة فروق بين الحديث القدسيّ والحديث النبويّ .

٤ من أهداف الأحاديث القدسية بيان سعة مغفرة الله تعالى . أستنتج هذا المعنى من الأحاديث المذكورة في الدرس .

الدرس

٤

الوحي

الوحي نعمة ربانية تدل على عناية الله تعالى ورحمته بعباده، وتلطفه بهم، فما المقصود بالوحي؟ وما هي أدلة وقوعه؟

تعريف الوحي:

الوحى لغة:

الإعلام في الخفاء، والإشارة السريعة، والإيماء، والرمز، يقال: وحيت إليه وأوحيت إليه إذا كلمته بما تخفيه عن غيره.

والوحي بمعناه اللغوي يتناول المعاني الآتية:

١ **الإلهام الفطري للإنسان**؛ كالوحي إلى أم موسى عليه السلام؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ القصص: ٧.

٢ **الإلهام الغريزي للحيوان**؛ كالوحي إلى النحل؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ النحل: ٦٨.

٣ **الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء**؛ كإيحاء زكريا فيما حكاه القرآن الكريم عنه؛ قال الله تعالى: ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ مريم: ١١.

٤ **وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان**؛ قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ الأنعام: ١٢١.

٥ **ما يلقيه الله تعالى إلى ملائكته من أمر ليفعلوه**؛ قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ الأنفال: ١٢.

٦ **الأمر الكوني للجمادات**؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ فصلت: ١٢.

والوحي اصطلاحاً:

إعلام الله تعالى لأحد من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه. فقولنا: **إعلام الله**: خرج بذلك إعلام غير

الله من ملَك أو إنس أو جن أو شيطان أو غير ذلك. وقولنا: **لأحد من أنبيائه**: خرج بذلك ما كان لغير الأنبياء، مثل الذي يكون للملائكة، أو يكون لأحد سواهم.

ومثال الوحي بحكم شرعي: أمر الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالصلاة، ومثال الوحي بنحو الحكم الشرعي: أمره تعالى لآدم عليه السلام بعدم الأكل من الشجرة.

أدلة وقوع الوحي:

يعتبر الوحي من الحقائق الثابتة والمسلَّم بها شرعاً وعقلاً وتاريخاً، والأدلة والبراهين على إمكانية وقوعه كثيرة، منها:

١ المؤمن بوجود الله تعالى وقدرته يوقن أنّ الخالق المدبر يرعى خلقه بما شاء من أنواع التدبير والرعاية، والصلة بين الخالق وخلقه إنما تكون عبر رسله، ورسل الله لا يعرفون مراد الله تعالى إلاّ عن طريق الوحي، سواء أكان بواسطة أم بغير واسطة؛ فالمؤمن الحق لا يستبعد إمكانية وقوع الوحي؛ لأنّ الله الخالق القدير لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ يس: ٨٢.

٢ ليس ببعيد على الله تعالى أن يختار من عباده نفوساً لها من نقاء الجوهر وسلامة الفطرة ما يعدها للفيض الإلهي، والوحي السماوي، والاتصال بالملأ الأعلى؛ ليلقي إليها برسالاته التي تسد حاجة البشر في رقي وجدانه وسمو أخلاقه، وهؤلاء هم رسله وأنبياؤه.

٣ إن أكثر المخترعات الحديثة والتكنولوجية على اختلاف أنواعها وأقسامها قد قرّبت فكرة الوحي للعقول البشرية، فما كان يراه الإنسان منها أمراً مستبعداً بل مستحيلاً أصبح اليوم في نظر الجميع أمراً ممكنا وواقعاً، مثل: أجهزة الراديو والتلفاز والهاتف والأقمار الصناعية، وأجهزة الحاسب الإلكترونية، وغير ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ فصلت: ٥٣.

٤ قد شاهد الوحي بعض الصحابة رضي الله عنهم، ونقل بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة.

٥ لم يكن الرسول محمد ﷺ أول رسول أوحي إليه، فقد أوحى الله تعالى إلى الرسل من قبله كما أوحى إليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ النساء: ١٦٣.

٦ يدّعي بعض الناس أن فكرة الوحي تتعارض مع مسلّمات العقل فكيف يُقذف الوحي في قلب الرسول ﷺ فيحفظ وينقل ما يقول؟ وأن هذا الأمر الغيبي غير المشاهد مستحيل وقوعه، وقد نسي هؤلاء أيضاً أن العلم الحديث أقر بما يسمى بالتنويم المغناطيسي الذي يقوم على الاقتناع بوجود العقل الباطن، فيستطيع الذي يقوم بالتنويم المغناطيسي أن يخاطب الإنسان الذي أثرّ عليه فينطق بما يريد، وبيّن العلم أيضاً أنّ الروح مستقلة عن الجسم تماماً، ومن خلال التنويم المغناطيسي يمكن للإنسان أن يغير الكثير من قناعاته والأمور المسلّمة والبدهية لديه ما دام خاضعاً للتنويم المغناطيسي. فإذا كان المعلم يملك قوة تأثير فيمن يقوم بتنويمه ويخاطبه بما يريد قوله وتثبيته في فؤاده، فكيف بقدرة الله تعالى!!

وبناء على ما تقدم ذكره، فليس في نزول الوحي على محمد ﷺ ما يدعو إلى العجب والإنكار، فالوحي ممكن عقلاً وواقع شرعاً؛ قال الله تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس: ٢.

نشاط:

أرجع إلى تفسير القرآن العظيم لابن كثير، وأقرأ تفسير قوله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ﴾ الشورى: ١٣.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) كلمة الوحي تدل على معانٍ منها: الخفاء والسرعة.

ب ( ) من الأمثلة على الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء الوحي إلى النحل.

جـ ( ) من معاني الإلهام الفطري للإنسان الوحي إلى أم موسى.

د ( ) تعريف الوحي اصطلاحاً: إعلام الله تعالى لأي واحد من البشر.

٢ أبيّن كيف يتم الاتصال بين الله تعالى ورسله.

٣ أعلل: اختيار الله تعالى رسله من البشر.

٤ أبيّن دور المخترعات الحديثة في تقريب مسألة الوحي إلى العقل البشري.

٥ أذكر آية تدل على أنّ الله تعالى قد أوحى إلى رسل من قبل محمد ﷺ.

الدرس

٥

كيفية وحي الله تعالى إلى ملائكته ورسله

ورد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ما يدل على أنّ الله تعالى يوحي إلى ملائكته ورسله. ولكن ما كيفية هذا الوحي؟ وما أنواعه؟

كيفية وحي الله تعالى إلى ملائكته:

نصت آيات عديدة في القرآن الكريم على وحي الله تعالى لملائكته؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ البقرة: ٣٠؛ وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ الأنفال: ١٢. ففي هذه النصوص وأمثالها دلالة على أنّ الله تعالى يكلم الملائكة -دون واسطة- بكلام يفهمونه.

وإذا كانت آياتُ القرآنِ قد نصت على وحي الله سبحانه إلى الملائكة، فقد بينت السنّةُ المطهرةُ كيفية هذا الوحي، فعن أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ، قال: «**إِذَا قَضَى اللهُ الْأَمْرَ فِي السَّمَاءِ ضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا خُضْعَانًا لِقَوْلِهِ كَالسِّلْسِلَةْ عَلَى صَفْوَانٍ* ... فَإِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ . . أَيْ زَالَ عَنْهَا الْفَزَعُ وَسَكَنَتْ . . قَالُوا: مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ؟ قَالُوا لِلَّذِي قَالَ: الْحَقَّ، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**»[1].

فالحديثُ يبينُ كيفيةَ الوحي إلى الملائكة، وأنّ ذلك يكونُ بكلامِ الله تعالى، وسماعِ الملائكةِ الذين ينتابُهم الهولُ الشديدُ لهذا الكلامِ لِعِظَمِ أثرِهِ عليهم.

وإذا كان هذا في الوحي بصفة عامة، فإنّ الحديث يسوقُنَا بداهة إلى الكلام عن الوحي بالقرآنِ إلى جبريل عليه السلام بصفةٍ خاصة.

فما كيفية وحي الله تعالى إلى جبريل بالقرآن الكريم؟

أوحى الله تعالى إلى جبريل عليه السلام بالقرآن، فتلقفه سماعاً من الله بلفظه المخصوص، ثم نزل به على محمد ﷺ، فالقرآن الكريم كلام الله؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ التوبة: ٦، فالناس تلقوا القرآن الكريم سماعاً من الرسول ﷺ كما تلقاه من جبريل عليه السلام.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة سبأ.

* صفوان: الحجر الأملس.

كيفية وحي الله تعالى إلى رسله:

بيّن القرآن الكريم الكيفية التي أوحى الله تعالى بها إلى رسله الكرام؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ الشورى: ٥١.

فالآيةِ الكريمةِ تبين لنا ثلاثةَ أنواعٍ من وحي الله تعالى إلى رسله، وهي:

النوعُ الأولُ: ما جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ وهذا النوعُ يتضمنُ صوراً منها:

١ **الرؤيا الصادقة:** فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح**»[١] وكان ذلك تهيئة لرسول الله حتى ينزل عليه الوحي، وليس في القرآن شيء من هذا النوع؛ لأنّ القرآن نزل جميعه على الرسول ﷺ وهو في حال اليقظة.

وما يدل على أنّ رؤيا الأنبياء وحي يجب اتّباعه ما يأتي:

- ما جاء في قصة إبراهيم من رؤيا ذبح ولده إسماعيل، فلو لم تكن هذه الرؤيا وحياً يجب اتّباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده؛ قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ﴾ الصافات: ١٠٢.
- رؤيا رسول الله ﷺ أنه يدخلُ وأصحابه المسجدَ الحرامَ محلّقين رؤسهم ومقصّرين آمنين؛ وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ﴾ الفتح: ٢٧.

والرؤيا الصادقة ليست خاصة بالرسل، فهي باقية للمؤمنين، وإن لم تكن وحياً؛ قال ﷺ: «**لم يبقَ من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة**»[٢].

٢ **الإلهام والإلقاء في القلب:** وهو ما يقذفُه الله تعالى في قلبِ مَنْ يوحي إليه من أنبيائِه، ومنه النفث في الرُّوع. فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «**إنّ روح القدس نفث في روعي أنّ نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب**»[٣].

النوعُ الثاني: ما جاء في قوله سبحانه: ﴿أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾

وهو ما يكونُ الوحيُ فيه كلام الله لأحد رسله من وراء حجاب، يسمعه سامِعُهُ ويعرف مصدَرهُ،

---

١ أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب أول ما بُدئ به الوحي.
٢ أخرجه البخاري، كتاب التعبير، باب المبشرات.
٣ رواه الحاكم وصححه: كتاب البيوع وصححه، والبزار في مسنده.

وهو ثابت لموسى عليه السلام؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ النساء: ١٦٤، ولمحمد ﷺ ليلة الإسراء والمعراج عندما أوحى إليه بالصلوات الخمس.

النوعُ الثالثُ: ما جاء في قوله تعالى: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ بِإِذۡنِهِۦ مَا يَشَآءُ﴾

وهذا النوعُ ما كان الوحي فيه بواسطةِ مَلك يرسلُه الله تعالى إلى من يصطفيه من عباده، وهو جبريل عليه السلام، وهذا هو غالبُ الوحيِ إلى الأنبياءِ.

نشاط:

وردت نصوص قرآنية تدل على قيام الملائكة على تدبير شؤون الكون حسب أمر الله تعالى. أذكر اثنين منها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) رؤيا الأنبياء وحي يجب اتّباعه.

ب ( ) الكلام الإلهي من وراء حجاب لم يثبت إلا لموسى عليه السلام.

جـ ( ) وصف الله تعالى القرآن الكريم بأنه (كلام الله).

د ( ) يكلم الله الملائكة دون واسطة بكلام يفهمونه.

هـ ( ) معنى القرآن من عند الله تعالى ولفظه لجبريل عليه السلام.

٢ للوحي أنواع ورد ذكرها في القرآن الكريم. أذكر ثلاثة منها.

٣ أستنتج الفرق بين رؤيا الصالحين ورؤيا الأنبياء.

٤ أوازن بين طريقة الوحي للملائكة وطريقة الوحي للأنبياء.

الدرس

٦

صور الوحي إلى النبي ﷺ

تعددت صور الوحي إلى الرسول ﷺ، منها: الرؤيا الصادقة، والإلهام، والكلام من وراء حجاب، والوحي بواسطة جبريل عليه السلام، وقد كان يأتي نبينا محمد ﷺ على حالات، هي:

- **أولاً**: أن يأتي جبريل إلى رسول الله ﷺ مثل صلصلة الجرس، وهذه أشدّ حالات الوحي على الرسول ﷺ، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها عنها ما كان يصيب رسول الله من شدة، فقالت: «**وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ ينزلُ عَلَيْهِ الْوَحْيُ فِي الْيَوْمِ الشَّدِيدِ الْبَرْدِ، فَيَفْصِمُ عَنْهُ وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَتَفَصَّدُ عَرَقاً**»[١].
- **ثانياً**: أن يأتيه جبريل في صورة بشر وهذه أخف من سابقتها؛ كأن يأتيه في صورة رجل حسن المنظر والهيئة، وكلتا الصورتين مذكورتان فيما روي عن عائشة رضي الله عنها أنّ الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني؛ فأعي ما يقول**»[٢].
- **ثالثاً**: أن يأتيه جبريلُ عليه السلام وهو على صورته الحقيقية، وقد حصل ذلك مرتين:
  - **الأولى**: عند سدرة المنتهى في ليلة الإسراء والمعراج، عن مسروق أنّه سأل عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ النجم: ٩، فقالت: «**إنما ذاك جبريلُ عليه السلام كان يأتيه في صورة الرَّجل، وإنه أتاه في هذه المرةِ في صورتِه التي هي صورتُه فسدّ أفق السماء**»[٣]، وفي رواية أخرى: «**أنّ النبي ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح**»[٤].
  - **والثانية**: في أعقاب نزوله من غار حراء بعد فترة الوحي، عن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ -وهو يحدث عن فترة الوحي- أنّه قال: «**بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصري فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فرعبت منه فرجعت، فقلت: زملوني زملوني**»، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ المدثر: ١ - ٥، فحمي الوحي وتتابع»[٥].

---

١ أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.
٢ أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي. الصلصلة: صوت وقوع الحديد بعضه على بعض، ثم أطلقت على كل صوت له طنين.
٣ أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي.
٤ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النجم.
٥ أخرجه البخاري، كتاب بَدْء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي.

ميزات الوحي القرآني:

تميزَ الوحيُ القرآني بميزاتٍ، أهمها :

١ أنّ القرآن الكريم كله قد أوحي به إلى النبي ﷺ في حال اليقظة، ولم يكن شيءٌ منه مناماً .

٢ أنّ القرآن الكريم قد أوحي به كله إلى النبي ﷺ وحياً جلياً، يقرؤه جبريل على النبي ﷺ، فيحفظه عنه؛ كما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٦-١٩ . ولم يكن من القرآن شيءٌ بوحي الإلهام أو النفث في الرُّوع .

فالذي جاء بالقرآن كله إلى النبي ﷺ هو جبريلُ عليه السلام -وهو أمين الوحي- ؛ قال تعالى : ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٣-١٩٥ ، وقد سُمِّي جبريل عليه السلام روحاً؛ لأنه كسائر الملائكة جسمٌ لطيف نوراني، وقد وُصف بالأمين؛ لأنه الحفيظ المؤتمنُ على وحي الله تعالى في بلاغهِ لأنبيائه .

نشاط:

أرجع إلى كتب السيرة النبوية، وأستخرج حادثة جاء فيها جبريل عليه السلام إلى رسول الله في صورة بشر .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الرؤيا الصادقة من صور الوحي التي اختص بها نبينا محمد ﷺ .

ب ( ) أوحي بالقرآن إلى رسول الله ﷺ في اليقظة والمنام .

ج ( ) الذي جاء بالقرآن كله إلى النبي ﷺ هو جبريل عليه السلام .

د ( ) رأى رسولُ الله ﷺ جبريل على صورته الحقيقية .

٢ أعلل : تسمية جبريل عليه السلام بالروح الأمين .

٣ أذكر ثلاثاً من ميزات الوحي القرآني .

٤ ما أشد صور الوحي على النبي ﷺ؟

٥ أبين معنى صلصلة الجرس .

الدرس

٧

الشُبَه الواردة على الوحي

لم يكن محمد ﷺ بدعاً من الرسل، فقد أوحى الله سبحانه إلى الأنبياء من قبله، وأنزل عليهم الكتب السماوية هداية لأقوامهم وإرشاداً إلى الصراط المستقيم، وتحذيراً من الانحراف والضلال واتّباع الأهواء والشهوات؛ قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ النساء: ١٦٣.

فالوحي حقيقةٌ لا يصح التنكر لها، وقد عرضنا في درس «الوحي» الأدلة على وقوعه، ونَردُّ في هذا الدرس على بعض الشبهات التي أثارها المشركون حول وحي الله تعالى إلى رسوله محمد ﷺ، في محاولة لصرف الناس عن دعوته، **فكان من شبهاتهم ما يأتي:**

الشبهة الأولى: لماذا لا يكون المرسل للبشر ملكاً من الملائكة؟: قال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ يونس: ٢. فهم يتعجبون أن يكون الرسول واحداً منهم، ويقولون كيف يختص الله تعالى بشراً من دون الناس؟ ويرد على ذلك بأن الله تعالى لو بعث ملكاً لجعله في صورة رجل حتى يتمكن من مخاطبة الناس والاستماع إليهم والتعامل معهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ الأنعام: ٩، كما أن هذا الاختصاص قائم على أساس أن الأنبياء خلقوا وعندهم استعدادٌ خاصٌ لتلقي الوحي، وتحمل تكاليف الرسالة.

الشبهة الثانية: ادّعاء المشركين أنّ القرآن الكريم من عند محمد ﷺ وأنّه صاغ أسلوبه، وابتكر معانيه، وأنّ محمداً ﷺ شاعر أو ساحر: إنّ هذه الشبهة تشابه ادّعاء بعض المستشرقين أنّ محمداً ﷺ كان موهوباً، عبقرياً. ويُردّ على ذلك بأن الله تعالى تحدى العرب -وهم أهل الفصاحة والبلاغة- أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعشر سور من مثله، أو بسورةٍ من مثله، وقد عجزوا عن ردّ هذا التحدي وثبت عجزهم، ولو كان من عند محمد ﷺ لأفلحوا في ذلك فهم أهل البلاغة والبيان، ثم إن القرآن الكريم عرض عقائد وتشريعات تعالج شؤون الحياة بجوانبها المتعددة، وجاء بقصص وأخبار بألفاظ بليغة وعبارات متناسقة، ومعانٍ واضحة، وأساليب متعددة لا يمكن أن تكون إلا من عند الله تعالى، ثم إنّ الإنسان مهما

كان عبقرياً لا يمكن أن يأتي بكلام بهذا القدر إلا أن يظهر التعارض في حديثه . والذي يطالع أحاديث الرسولﷺ رغم ما فيها من بلاغة وحكمة، يجد الفرق جلياً بين كلام الله تعالى وكلام رسولهﷺ، كما أن القرآن الكريم تحدث في قضايا لم يرها الرسول ﷺ ولم يتعلمها من قبل، وهي أمور حدثت في الماضي؛ قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود: ٤٩، إضافة إلى إخباره عن قضايا حدثت في المستقبل؛ قال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ الروم: ١-٤، إضافة إلى القضايا العلمية التي اكتشفت حديثاً، ما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن وحي من الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ فصلت: ٥٣ .

نشاط:

أرجع إلى مؤلَّف في إعجاز القرآن الكريم، وأكتب:

- آية تتحدث عن قضية مستقبلية .
- آية تتحدث عن قضية علمية توصل إليها العلم في العصر الحاضر .

الشبهة الثالثة: ادّعاء المشركين أنّ محمداً ﷺ تلقى القرآن على يد معلم: بعد أن ظهر للمشركين أنّ القرآن ليس شعراً ولا سحراً ولا كلام كُهّان، لم يجدوا بُدّاً من الاستمرار في عنادهم واستكبارهم، فادّعوا أنّ محمداً ﷺ تعلم على يد عالم روماني؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ النحل: ١٠٣ . فالذي نسبوا إليه أنه علَّم رسول الله أعجمي لا يتقن لغة العرب، والقرآن جاء باللسان العربي الواضح المبين مع أنه ﷺ أميٌّ لا يقرأ ولا يكتب .

أفكر وأستنتج:

قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨ .

كيف تستدل من الآية القرآنية على صدق نبوة محمد ﷺ؟

التقويم

١ ما سبب حرص المشركين على إثارة الشبهات حول الوحي؟

٢ ادّعى المشركون أنّ القرآن من عند محمد وليس من عند الله . ناقش هذا الادعاء مبيناً الردّ عليه .

٣ اتهم المشركون محمداً ﷺ وقالوا : إنه تعلم هذا القرآن من رجل من الروم . كيف تردّ عليه؟

٤ أستدل من القرآن الكريم على حقائق علمية اكتُشفت حديثاً .

٥ كيف تردّ على الشبهة التي أثارها المشركون حول كون الرسول ﷺ اختاره الله من البشر وليس من الملائكة؟

الوحـــدة

٢

المكّيّ والمدنيّ في القرآن الكريم

الدرس

٨

علم المكّيّ والمدنيّ

تعريفه وعناية العلماء به

أنزلت معظم آيات القرآن الكريم في مكة المكرمة والمدينة المنورة، وهما مهد الإسلام ومعقله ومنطلقه، وقد اهتم العلماء بالقرآن الكريم وقسموه إلى مكي ومدني، وفصلوا مباحثه، واعتنوا به عناية فائقة.

تعريف المكّيّ والمدنيّ:

للعلماء في تعريف المكّيّ والمدنيّ ثلاثة أقوال:

- **الأول: اعتبار زمن النزول**، فالمكّيّ ما نزل قبل الهجرة وإن كان بغير مكة، والمدنيّ ما نزل بعد الهجرة وإن كان بغير المدينة، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ النساء: ٥٨، فهذه الآية مدنية على الرغم من نزولها بمكة في جوف الكعبة عام الفتح الأعظم.
- **الثاني: اعتبار مكان النزول**، فالمكّيّ ما نزل بمكة وما حولها، والمدنيّ ما نزل بالمدينة وما حولها.
- **الثالث: اعتبار المخاطب**، فالمكّيّ ما كان خطاباً لأهل مكة، والمدنيّ ما كان خطاباً لأهل المدينة.

ويترتب على هذا القول أنّ ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ فهو مكي، باعتبار أنّ الكفر كان غالباً في مكة فناسبهم هذا الخطاب، وما في القرآن الكريم من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فهو مدني، باعتبار أنّ الإيمان كان غالباً في المدينة فناسبهم هذا الخطاب.

مناقشة التعريفات السابقة:

بالنظر في التعريفات السابقة، يتبين أن التعريف الأول هو أرجحها وأقواها؛ لأنه جامعٌ مانع، فلا تخرج عنه آية من آيات القرآن الكريم.

أما التعريف الثاني فهو غير شامل لكل آيات القرآن الكريم؛ لأن هناك آياتٍ قرآنية نزلت في غير مكة والمدينة وما حولهما، فنزلت في: تبوك، والطائف، وبيت المقدس، وغيرها من الأماكن.

وأما التعريف الثالث فهو غير منضبط كذلك؛ لوجود سور قرآنية فيها الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ وهي مدنية كسورة البقرة، ووجود سور قرآنية فيها الخطاب بـ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ وهي مكية كسورة الحج.

عناية العلماء بالمكّيّ والمدنيّ :

اهتم العلماء قديماً وحديثاً بموضوع المكّيّ والمدنيّ في القرآن الكريم اهتماماً خاصاً، وتتبعوا القرآن سورة سورة، بل آية آية لمعرفة زمان النزول ومكانه، معتمدين على ما ورد عن صحابة الرسول ﷺ، وعلى الاجتهاد القائم على أسس وضوابط محددة.

ويظهر هذا الاهتمام من خلال النقاط الآتية :

أولاً : عناية أصحاب الرسول ﷺ به ؛ كما يقول عَبْدُ اللَّه بن مسعود رضي الله عنه : «وَاللهِ الَّذي لا إلهَ غَيْرُهُ مَا أُنْزِلَتْ سورَةٌ مِنْ كتابِ اللهِ إلا أَنا أَعْلَمُ أَيْنَ أُنْزِلَتْ، وَلا أُنْزِلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ اللهِ إلا أَنا أَعْلَمُ فِيمَ أُنْزِلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِني بِكِتابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ». [1]

ثانياً : اهتمام العلماء –قديماً وحديثاً– بالتأليف في هذا الموضوع، ومنهم مكي بن أبي طالب في كتابه «المكّيّ والمدنيّ» (ت : ٤٣٧هـ)، ومن الكتب الحديثة :

١ خصائص السور والآيات المكّيّة ومقاصدها . تأليف : الدكتور أحمد عباس البدوي .

٢ خصائص السور والآيات المدنيّة وضوابطها ومقاصدها . تأليف : عادل محمد صالح أبو العلا .

ثالثاً : لا يخلو كتاب من كتب علوم القرآن القديمة والحديثة من الحديث عن هذا الموضوع، وتفصيل القول حول أهم النقاط التي تتعلق به ؛ ما يدل على أهميته .

وبلغ من حرص العلماء ودقتهم في هذا الميدان، أن رتَّبوا السور حسب نزولها سورة بعد سورة، وقالوا سورة كذا نزلت بعد سورة كذا، وفرقوا بين ما نزل ليلاً وما نزل نهاراً، وما نزل صيفاً وما نزل شتاءً، وما نزل في الحضر وما نزل في السَفَر .

كما درس العلماء في هذا الموضوع الآيات المكّيّة في السور المدنيّة، والآيات المدنيّة في السور المكّيّة وغيرها من المباحث .

وفيما يأتي بعض الأمثلة:

- **الآيات المكّيّة في السور المدنيّة :** سورة الأنفال مدنية، واستثنى منها كثير من العلماء **قوله تعالى :** ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾ الأنفال: ٣٠ .

---

١ أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي ﷺ .

هذه الآية نزلت بمكة؛ لأنها تضمنت ما كان من المشركين في دار الندوة عندما تآمروا على رسول ﷺ الله قبل الهجرة.

- **ما نزل صيفاً وما نزل شتاء**: مثال ما نزل صيفاً آية الكلالة في آخر سورة النساء؛ حيث ورد عن رسول الله ﷺ قوله: «**يا عمر، ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء**».[1]، ومثال ما نزل شتاءً آيات حديث الإفك في سورة النور؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُم مَّا ٱكْتَسَبَ مِنَ ٱلْإِثْمِ ۚ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: ١١ ففي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها: «أنَّها نزلت في يوم شاتٍ»[2].
- **ما نزل في الحضر وما نزل في السفر**: أكثر القرآن الكريم نزل في الحضر، ولكن بعضه نزل في السفر، ومثال ذلك: بداية سورة الأنفال نزلت ببدر بعد المعركة، وسورة الفتح نزلت كاملة بين مكة والمدينة.

نشاط:

أرجع إلى كتب علوم القرآن، وأستخرج ثلاثة أمثلة على آيات مدنية في سور مكية

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) القرآن الكريم كله نزل إما في مكة وإما في المدينة.

ب ( ) أدق تعريف للمكّيّ والمدنيّ هو ما كان باعتبار مكان النزول.

جـ ( ) توجد آيات مدنية في السور المكّيّة.

٢ أذكر دراستين في المكّيّ والمدنيّ إحداهما قديمة والأخرى حديثة.

٣ أعلل: تعريف المكّيّ بأنه ما نزل في مكة، والمدنيّ بأنه ما نزل في المدينة ليس دقيقاً.

٤ ماذا تستنتج من قول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: «وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ مِني بِكِتابِ اللهِ تُبَلِّغُهُ الْإِبِلُ لَرَكِبْتُ إِلَيْهِ»؟.

١ أخرجه مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة.
٢ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة النور.

الدرس

٩

خصائص المكّيّ والمدنيّ (الخصائص الموضوعيّة) (١)

للمكّيّ والمدنيّ في القرآن الكريم خصائص تميّزه عن غيره، وتشير إلى المعاني والموضوعات التي يتناولها كلٌّ منهما. **وفيما يأتي أهم هذه الخصائص:**

أولاً: خصائص القرآن المكّيّ:

إنّ المتتبع للآيات والسور المكّيّة في القرآن الكريم، يجد أنّه قد غلب على موضوعاتها الخصائص الآتية:

١ الدعوةُ إلى توحيد الله تعالى، وعبادته وحده، وإثبات الرسالة، وإثبات البعث والجزاء، وذكرِ القيامة وأهوالها، والنار وعذابها، والجنّة ونعيمها، ومجادلة المشركين بالبراهين العقليّة، والآيات الكونيّة؛ وذلك لأنّهم كانوا غارقين في الشِرْك والوثنية، ولا يُقِرّون بالنبوة، ولا بالبعث وما بعده، فكان من المناسب دعوتهم إلى أركان الإيمان وأصوله من أجل غرس عقيدة التوحيد في نفوسهم قبل نزول التشريعات، والأحكام المفصلة، حيث قال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ النمل: ٦٠-٦١، ويظهر ذلك جلياً في السور المكّيّة؛ مثل: (الواقعة، والنبأ، والنازعات، وعبس، والتكوير، والانفطار، والغاشية)، وغيرها.

٢ ذِكرُ قصص الأنبياء مع أقوامهم؛ ليكون في قصصهم عبرة لأولي الألباب، ولبيان أنّ دعوة الرُسُل جميعاً واحدة، وأنّهم جاؤوا بالتوحيد الخالص، ودعوا الناس إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وأنّ الأنبياء وأتباعهم، لاقوا كلّ أنواع الأذى في سبيل عقيدتهم، ومع ذلك صبروا، وثبتوا على عقيدتهم، وكان النصر والعاقبة لهم، والهزيمة والخذلان لأعدائهم؛ إذ قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ هود: ٤٩، وذلك بعد أن ذكر قصة نوح مع قومه، ثمّ أتبعها بقصص بعض الأنبياء عليهم السلام.

٣ وَضْع الأسس العامة للتشريع، والفضائل الأخلاقية التي يقوم عليها كيان المجتمع، وفضح

جرائم المشركين من سفك الدماء، وأكل أموال اليتامى ظلماً، وتحريم أكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير وما أُهِلَّ به لغير الله، ووأد البنات، وما كانوا عليه من سوء العادات، ومن ذلك ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٤.

ثانياً: خصائص القرآن المدنيّ:

١ التحدث عن التشريعات التفصيليّة، والأحكام العمليّة في العبادات والمعاملات؛ كأحكام الصلاة، والصيام، والزكاة، والقصاص، والزواج، والميراث، والحدود، والأيمان، وغير ذلك من تفاصيل التشريع، اشتملت عليه السور المدنيّة؛ كسورة البقرة، والنساء، والمائدة، والنور، وغيرها من السور المدنيّة؛ وذلك لأنّ حياة المسلمين استقرت في المدينة، وأصبح لهم كيان ودولة وسلطان، وأصبحت لديهم القدرة على تنفيذ الأحكام وتطبيقها؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ البقرة: ١٧٨، وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ البقرة: ١٨٣، وقال تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓا۟ أَيْدِيَهُمَا جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ المائدة: ٣٨.

٢ بيان ضلال المنافقين والكشف عن سلوكهم وإظهار ما بهم من سوء الطباع؛ كالجبن، والبخل، والحلف الكاذب، وأنّهم لا يهمّهم أمر الإسلام ونصره، كما ورد في سور: (البقرة، والتوبة، والمنافقون)؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ المنافقون: ١ - ٣.

٣ مجادلة أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى الإسلام، وبيان تحريفهم لكتب الله، ومناقشتهم في عقائدهم الباطلة، واختلافهم من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، كما ورد في سور (البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة)، وغيرها، ذلك أنّ أهل الكتاب كانوا جزءاً من المجتمع المدنيّ، ولم يكن لهم وجود يُذكر في مكّة المكرّمة، إضافة إلى تصديهم للدعوة الإسلاميّة؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ ﴾ آل عمران: ٧٠ - ٧٢.

٤ التحدث عن فرضيّة الجهاد وأحكامه؛ وذلك أنّ المسلمين أصبح لهم دولة وكيان، وهم بحاجة إلى قوة تحمي دولتهم ومجتمعهم، وتؤمّن نشر الدعوة الإسلاميّة. مثل سورة الأنفال وسورة محمد ﷺ. أمّا في مكة المكرمة فكان المسلمون ضعفاء ليس بمقدورهم مواجهة عدوهم، فلم يفرض عليهم الجهاد.

نشاط:

أرجع إلى القرآن الكريم، وأستخرج آية تتحدث عن مجادلة أهل الكتاب، غير ما ذكر في الدرس.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) التشريعات التفصيليّة من خصائص القرآن المكّيّ.

ب ( ) تحدثت الآيات المكّيّة بشكل تفصيليّ عن المنافقين.

جـ ( ) وردت الأحكام المتعلقة بالحدود والقصاص في السور المكّيّة.

د ( ) من السور القرآنيّة التي تحدثت بشكل تفصيليّ عن بني إسرائيل سورة البقرة.

٢ أعدّد الخصائص الموضوعيّة للقرآن المكّيّ.

٣ أعلل كلاً مما يأتي:

أ نزلت معظم التشريعات في المدينة المنورة، ولم تنزل في مكّة المكرّمة.

ب اهتمام الآيات المكّيّة بالدعوة إلى التوحيد.

جـ فُرِض الجهاد في المدينة المنورة، ولم يفرض في مكّة المكرّمة.

الدرس
١٠

خصائص المكّيّ والمدنيّ (الخصائص الأسلوبية) (٢)

من خلال تتبُّع العلماء للآيات المكّيّة والمدنيّة، استطاعوا وضع معيار وميزات للأسلوب في كلّ منهما، وهي ميزات واردة على سبيل التغليب لا القطع واليقين، **وأهم هذه الميزات:**

أولاً: خصائص القرآن المكّيّ:

١ **كلّ سورة وُجِّه الخطاب فيها للناس كافة**، مثل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾، وليس فيها ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ **هي سورة مكّيّة**؛ لأنّ السور المكّيّة تدعو الناس إلى التوحيد، وأصول العقائد، وأركان الإيمان، وفضائل الأخلاق، وهذه دعوة للناس كافة؛ قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ الأعراف: ١٥٨.

٢ **كلّ سورة فيها ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾ هي مكّيّة**؛ وذلك يناسب ما تقدم، بالإضافة إلى ما يبعثه هذا النداء من تذكير بالأصل الأول الذي ينتمي إليه الإنسان، وذلك يقتضي أن يكون الناس على منهج واحد، وهو اتّباع دعوة الرسول ﷺ؛ قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ الأعراف: ٣٥-٣٦.

٣ **كلّ سورة فيها لفظ (كلا) هي مكّيّة**، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن ثلاثاً وثلاثين مرة، في خمس عشرة سورة، كلها في النصف الأخير من القرآن الكريم، وحِكمة ذلك: أنّ هذه الكلمة تفيد الردع والزجر، وهي تناسب الردّ المؤثر العنيف على المشركين في الطور المكّيّ، وقد كان فيهم جبابرة غلاظ وعتاة معاندون، لا تلين قلوبهم للكلمة الحانية الرقيقة، بل يناسبهم أسلوب من نوع آخر، فيه شدّة ترعبهم وتخويف يتهددهم؛ قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ العلق: ١٣ - ١٥.

٤ **كلّ سورة ذُكِر في أولها أحرف الهجاء، مثل ﴿الٓمٓ﴾، و ﴿يٰسٓ﴾ و ﴿حٰمٓ﴾ هي سورة مكّيّة**، وذلك بالنظر لقوة التحدي الذي يتجلى في مثل هذه الأحرف، إذ جاءت تحمل تحدياً للعرب أن يأتوا بمثل هذا القرآن، أو بعض منه، هذا القرآن الذي يتألف من مثل هذه الأحرف،

وهم عاجزون عن الإتيان بمثله، مع نطقهم بالحروف نفسها، لذلك لا تُذكر هذه الأحرف غالباً إلا ويذكر بعدها القرآن الكريم؛ كقوله تعالى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ يس: ١-٢، وقوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ الزخرف: ١-٢.

٥ **قِصَر المقاطع**، فكلّ مقطع ينضوي على غاية في الروعة، والمتانة، والقوة، ويخاطب النفس البشرية فيهزها من الأعماق هزّاً، ويؤثّر فيها تأثيراً واضحاً بعذوبة في اللفظ، وقوة في المعنى تُبْهِر النفوس.

٦ **كثرة ورود القَسَم في السور المكّيّة**؛ فقد أقسم الله تعالى بالعديد من مخلوقاته؛ للدلالة على عِظَم قدرته، وتفرّده بالخلق والتدبير؛ فأقسم بالليل والنهار، والشمس والقمر، وغيرها؛ وذلك أنّ القسم يأتي للتأكيد، وأهل مكّة كانوا مرتابين ومعاندين، فاحتاجوا إلى كثرة القسم.

٧ **كلّ سورة فيها سجدة هي سورة مكّيّة**؛ لكون أهل مكّة كانوا يعظّمون الأصنام، ويسجدون لها، فناسب أن تتضمن السور المكّيّة ما يفيد أنّ السجود ينبغي أن يكون لله وحده؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورًا﴾ الفرقان: ٦٠.

ثانياً: خصائص القرآن المدنيّ:

١ **كلّ سورة وُجِّه فيها الخطاب للمؤمنين بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ هي سورة مدنية**؛ وذلك لأنّ غالبية المجتمع المدنيّ كان من المؤمنين الملتزمين بتعاليم الشريعة، ولهم القوة والسلطان في تطبيق هذه التعاليم والتشريعات النازلة عليهم، فكان المناسب تذكيرهم أنّ الإيمان يقتضي تنفيذ الأحكام الشرعيّة النازلة من الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٢٧٨ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩.

٢ **طول المقاطع والآيات**؛ لاشتمالها على تفاصيل الشريعة في مختلف نواحي الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وغيرها، وهي تقتضي البسط والإطناب وإطالة النفس؛ كآية الدَيْن، وآيات الميراث، وأحكام الأسرة في الزواج والطلاق، وغير ذلك، وهذه الأحكام يناسبها الشرح والتفصيل.

نشاط:

أرجع إلى المعجم المفهرس لآيات القرآن الكريم، وأستخرج خمس آيات فيها لفظ (كلا).

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) السور التي تبدأ بأحرف الهجاء سور مدنية .

ب ( ) يكثر في الآيات المكّيّة استخدام ألفاظ الزَجْر، مثل : كلمة(كلا) .

جـ ( ) الخطاب بـ(يا أيها الذين آمنوا) ما تختص به السور المكّيّة .

د ( ) الآيات التي يكون فيها الخطاب بـ (يا بني آدم) آيات مدنية .

٢ أذكر أمرين من الخصائص الأسلوبية للآيات المدنيّة .

٣ أعلل كلاً مما يأتي :

أ يكثر في الآيات المكّيّة استخدام أسلوب القَسَم .

ب تتميز السور المكّيّة عن المدنيّة بقِصَر الآيات والمقاطع .

الدرس

١١

فوائد العِلْم بالمكّيّ والمدنيّ

ذكر العلماء فوائد كثيرة للعِلْم بالمكّيّ والمدنيّ، من أهمها:

١ **الاستعانة به على تفسير القرآن الكريم**، فمعرفة أماكن النزول ومواقعها تساعد على فهم الآية، وتفسيرها تفسيراً واضحاً، مع أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

٢ **تذوق أساليب القرآن الكريم، والاستفادة منها في الدعوة إلى الله تعالى**، فإنّ لكل مقام مقالاً، ومراعاة مقتضى الحال من أخصّ معاني البلاغة. ومعرفة خصائص أسلوب القرآن المكّيّ، وأسلوب القرآن المدنيّ تعطي الدارس منهجاً لطرق الخطاب وأساليبه في الدعوة إلى الله، بما يناسب نفسية المخاطب ومشاعره، وطريقة تفكيره، وأحوال بيئته ومعتقداته، ويتبين ذلك جلياً بالمقارنة بين أنماط من الخطاب القرآني من مثل قوله تعالى -في مقام التهديد والوعيد لمن يصدون عن دين الله-: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ العلق: ١٥، مع قوله تعالى في خطاب ودود للمؤمنين: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾ الزخرف: ٦٨-٧٠.

٣ **الوقوف على السيرة النبوية من خلال الآيات القرآنيّة:**

يمكننا أن نتتبع سيرة النبي محمد ﷺ من خلال وقوفنا ومتابعتنا لآيات القرآن الكريم، والتي سايرت تاريخ الدعوة الإسلاميّة بأحداثها في العهدين المكّيّ والمدنيّ منذ بداية الوحي حتى آخر آية نزلت، فالأمر بالجهر بالدعوة ظاهر في قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ الحجر: ٩٤، وحادثة الإسراء في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ الإسراء: ١، والهجرة في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ التوبة: ٤٠.

وقد تضمنت بعض سور القرآن الكريم الحديث عن المعارك والغزوات التي حدثت زمن النبي ﷺ، ومن أمثلة ذلك:

- حديث سورة الأنفال عن معركة بدر.
- حديث سورة آل عمران عن معركة أُحُد.
- حديث سورة الأحزاب عن معركة الخندق.

٤ **معرفة الناسخ والمنسوخ**: إنّ معرفة المكّيّ والمدنيّ تقود إلى معرفة تاريخ التشريع، بحيث لو وردت آيتان متعارضتان، إحداهما مكّيّة، والأخرى مدنية، وثبت أن إحداهما منسوخة، فإنّنا نحكم بنسخ المدنيّة للمكّيّة.

٥ **معرفة تاريخ التشريع، والوقوف على سنّة الله الحكيمة في تشريعه**، وهي التدرّج في التشريع، وتقديم الأصول على الفروع، والإجمال على التفصيل. وقد أثمرت هذه السياسة الحكيمة نتائج طيبة عادت على الدعوة الإسلاميّة بالرضا والقبول والتسليم.

ومثال ذلك: التدرّج في تحريم الخمر، فكان أول ما نزل فيه قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ البقرة: ٢١٩.

ثمّ نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ النساء: ٤٣، وهذا يقتضي ألا يشرب المسلم الخمر وقت الصلاة، حتى لا يحضرها وهو سكران، فلا يعلم ما يقول فيها.

ثمّ نزل تحريم الخمر تحريماً قطعياً في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ المائدة: ٩٠-٩١؛ فقالوا: انتهينا ربنا انتهينا. ومثله التدرج في فرض الأحكام، إذ إنّها لم تنزل دفعة واحدة، وإنّما نزلت أولاً بأول؛ كالأمر بالصلاة، ثم الصيام، والزكاة، ثم بالحجّ، وهكذا.

٦ **الدلالة على مدى عناية علماء المسلمين بالقرآن الكريم**: اعتنى علماء المسلمين بالقرآن الكريم عناية فائقة، واهتمّوا به أيّما اهتمام، حتى إنّهم علموا ما نزل منه قبل الهجرة، وما نزل بعد الهجرة، وما نزل حضراً، وما نزل سفراً؛ كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ الزخرف: ٤٥، فقد نزلت في بيت المقدس. وما نزل منه

نهاراً، وما نزل منه ليلاً؛ كالآيات العشر الأخيرة من سورة آل عمران، وبدايتها ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ آل عمران: ١٩٠، ومعظم القرآن الكريم نزل نهاراً.

نشاط:

أرجع إلى سورة التوبة، وأكتب في دفتري تفسير الآيات التي تحدثت عن معركة حُنيْن.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يمكن للداعية أن يستفيد من تنوع الأساليب واختلافها في الآيات المكّيّة والمدنيّة.

ب ( ) القرآن الكريم هو المرجع الأول لأحداث السيرة النبوية.

جـ ( ) لا يمكن الاستفادة من المكّيّ والمدنيّ في معرفة الناسخ والمنسوخ.

د ( ) اهتمّ العلماء قديماً وحديثاً بعِلْم المكّيّ والمدنيّ.

٢ أمثّل من القرآن الكريم على معرفة سيرة المصطفى محمد ﷺ.

٣ أذكر ثلاث فوائد للعِلْم بالمكّيّ والمدنيّ.

٤ أذكر مثالاً لتدرّج القرآن الكريم في تشريع بعض الأحكام.

٥ في ضوء دراستي لفوائد المكّيّ والمدنيّ من القرآن، أستنبط الحكمة من التدرج في تشريع الأحكام.

الدرس

١٢

نزول القرآن الكريم (١)

القرآن الكريم نعمة الله تعالى إلى أهل الأرض، وحلْقة الوصل بين العباد وخالقهم، نزل به الروح الأمين جبريل عليه السلام على قلب الرسول محمد ﷺ؛ ليكون للعالمين بشيراً ونذيراً، وهادياً وسراجاً منيراً؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴾ النساء: ١٧٤.

فكيف أنزل القرآن الكريم؟، وما المدة الزمنية التي استغرقها نزوله؟، وهل نزل جملة واحدة أم نزل منجماً في فترات متباعدة؟، وما أول ما نزل منه؟، وما آخر ما نزل منه؟

كيفية نزول القرآن الكريم:

ذهب أهل العلم إلى أنّ القرآن الكريم نزل من عند الله سبحانه، وتعالى على قلب الرسول محمد ﷺ منجماً، وفي فترات متقطعة، في ثلاث وعشرين سنة، وهو القول المعتمد.

وقد كان كفار قريش يطالبون بنزوله جملة واحدة، كما هو الحال في الكتب السماوية السابقة؛ كالتوراة والإنجيل؛ قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ﴾ الفرقان: ٣٢.

إلا أنّ الله سبحانه وتعالى الذي هو أعلم بما هو أنسب لرسالته وأصلح لعباده، قد أنزله منجماً؛ وذلك لحِكَم متعددة، من أبرزها ما ذكره الله تعالى تكملة للآية السابقة، إذ قال: ﴿ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان: ٣٢.

تنزيل القرآن الكريم:

حفظ الله تعالى القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾ البروج: ٢١ - ٢٢، ثمّ أنزل الله تعالى القرآن الكريم مرتين، هما:

- **الأولى**: نزوله جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا تعظيماً لشأنه، ودليل ذلك: ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أُنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا»[1].
- **الثانية**: نزوله من بيت العزة في السماء الدنيا على قلب الرسول محمد ﷺ منجماً، في ثلاث وعشرين سنة -حسب الحاجة- والوقائع والأحداث منذ بعثته، وإلى حين وفاته ﷺ. ودليل ذلك

١ رواه الحاكم، كتاب التفسير.

ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «**بُعِث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكّة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثمّ أُمِر بالهجرة عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين**»[1].

وقد أخبر الله تعالى أنّ القرآن الكريم أُنزِل في شهر رمضان، وفي ليلة القدر، وفي ليلة مباركة؛ حيث قال الله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ البقرة: ١٨٥، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ القدر: ١، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ الدخان: ٣.

ولا تعارُض بين هذه الآيات الثلاث؛ فالليلة المباركة هي ليلة القدر من شهر رمضان؛ فيكون نزوله جملة واحدة إلى بيت العزة في السماء الدنيا في ليلة القدر، كما أنّ ابتداء نزوله على قلب رسول الله ﷺ كان في ليلة القدر، ثم نزل مفرّقاً على الشهور والأيام.

القَدر الذي كان ينزل من القرآن الكريم:

ثبت في الأحاديث النبوية الشريفة أنّ القرآن الكريم كان ينزل على الرسول ﷺ حسب الحاجة أو الواقعة؛ فينزل عليه خمس آيات، أو عشرُ آيات، أو أكثر من ذلك أو أقل، وربما نزلت عليه آية واحدة أو بعض آية.

وقد صحّ في الحديث المتفق عليه نزول آيات قصة الإفك جملة واحدة[2]، وهي عشر آيات، من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ النور: ١١-٢٠.

وقد جاء في الحديث الصحيح عن البراء بن عازب رضي الله عنه أنّه قال: لمّا نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ النساء: ٩٥، دعا رسول الله ﷺ زيداً بن ثابت فكتبها، فجاء عبد الله بن أمّ مكتوم، فشكا ضرارته، فأنزل الله سبحانه: ﴿غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ﴾ النساء: ٩٥ [3] وهي بعض آية، ومعنى شكى ضرارته؛ أي ما نزل به من ضرر، وهو فقدان البصر الذي يمنعه من المشاركة في الجهاد.

أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق:

وردت عدة أقوال للعلماء في بيان أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق، وهي كالآتي:

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب فضائل الصحابة، باب مبعث النبي ﷺ.

٢ أخرجه البخاريّ، كتاب المغازي، باب: حديث الإفك، ومسلم كتاب التوبة، باب: في حديث الإفك وقبول توبة القاذف.

٣ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، باب قول الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ . . .﴾.

١ **أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق** قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾ العلق: ١-٥، ويدل عليه ما رواه الشيخان، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «أول ما بُدِئَ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مِثل فلق الصبح، ثمّ حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يأتي حِراء؛ فيتحنث فيه الليالي ذوات العدد، ويتزود لذلك، ثمّ يرجع إلى خديجة رضي الله عنها، فتزوده لمثلها، حتى فاجأه الحقّ، وهو في غار حِراء، فجاءه المَلَك فيه، فقال: اقرأ، قال رسول الله ﷺ: فقلت: «ما أنا بقارئ»، فأخذني فغطَّني، حتى بلغ مني الجَهْد، ثمّ أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فغطَّني الثانية، حتى بلغ مني الجَهْد، ثمّ أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: «ما أنا بقارئ»، فغطَّني الثالثة، حتى بلغ مني الجَهْد، ثمّ أرسلني، فقال: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾، حتى بلغ: ﴿مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره»[1].

٢ وقيل إنّ أول ما نزل هو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، لما رواه الشيخان عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، قال: سألت جابراً بن عبد الله: أيّ القرآن أُنزل قبل؟، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾، قلت: أو ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾؟، قال: أحدِّثكم ما حدثنا به رسول الله ﷺ: «إنّي جاورت بحِراء، فلما قضيت جواري نزلت، فاستبطنت الوادي، فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني وشمالي، ثم نظرتُ إلى السماء فإذا هو -يعني جبريل-، فأخذتني رجفة، فأتيتُ خديجة فأمرتهم فدثّروني»، فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾[2].

٣ أول ما نزل من القرآن الكريم هو سورة (الفاتحة).

٤ أول ما نزل من القرآن الكريم ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾.

مناقشة الأقوال السابقة:

بالنظر إلى الأقوال السابقة يتبين أنّ أرجحها هو القول الأول المؤيَّد بالحديث الوارد عن السيدة عائشة رضي الله عنها؛ لدلالته الصريحة على ذلك.

أما حديث جابر، فقد أجيب عنه بأنّ السؤال فيه كان عن نزول سورة كاملة، فبيَّن جابر أنّ سورة المدّثِّر نزلت بكمالها قبل نزول تمام سورة العلق، فإن أول ما نزل منها صدرها، ويؤيد هذا ما في الصحيحين أيضاً

---

١ أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ. التحنّث: التعبد، وأصله ترك الحنث؛ أي الذنب. وغطّني؛ أي ضمّني ضمّاً شديداً، حتى كان لي غطيط، وهو صوت مَنْ حُبِسَت أنفاسه بما يشبه الخنق، والجَهْد: بفتح الجيم: يطلق على المشقة، وعلى الوسع، والطاقة، وبضمها: يطلق على الوسع، والطاقة لا غيره.

٢ أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

عن أبي سلمة، عن جابر قال: «سمعت رسول الله ﷺ وهو يُحدِّث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: **«بينا أنا أمشي سمعت صوتًا من السماء، فرفعت رأسي، فإذا المَلَك الذي جاءني بحِراء،**[1] **جالس على كرسيّ بين السماء، والأرض، فرجعت، فقلت: زمّلوني، فدثروني»**، فأنزل الله: (يَا أَيُّهَا المدّثِّر)». فهذا الحديث يدلّ على أنّ هذه القصة متأخرة عن نزول صدر سورة العلق، أو تكون (المدّثِّر) أول سورة نزلت بعد فترة الوحي.

أما بالنسبة للقول الثالث والرابع، فدليلهما أحاديث ضعيفة.

■ آخر ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق:

للعلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم أقوال عدة، منها:

١ آخر ما نزل آية الربا؛ لما أخرجه البخاريّ عن ابن عباس قال: «آخر آية نزلت آية الربا»[2]، والمراد بها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ﴾ البقرة: ٢٧٨.

٢ آخر ما نزل من القرآن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨١؛ لما رواه النَّسائيّ، وغيره، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير: «آخر شيء نزل من القرآن ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾... آخر الآية البقرة: ٢٨١.»[3]

٣ وقيل: إنّ آخر ما نزل آية الدَّيْن؛ لما رُوِيَ عن سعيد بن المسيب: «أنه بلغه أنّ أحدثَ القرآنِ عهداً بالعرش آيةُ الدَّيْنِ»، والمراد بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ البقرة: ٢٨٢.

وقد يجمع بين الروايات الثلاث أنّ هذه الآيات نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف، آية الربا، فآية ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾، فآية الدَّيْنِ؛ لأنّها في قصة واحدة. فأخبر كل راوٍ عن بعض ما نزل بأنّه آخر، وذلك صحيح، وبهذا لا يقع التنافر بينها.

٤ قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ المائدة: ٣، فإنّها نزلت بعرفةَ عام حجّة الوداع، ويدل ظاهرها على إكمال الفرائض والأحكام؛ لذا حمل كثير من العلماء إكمال الدين في هذه الآية على أنّ الله تعالى أتمّ عليهم نعمته بتمكينهم من البلد الحرام، وإجلاء المشركين عنه، وحجّهم وحدهم دون أن يشاركهم في البيت الحرام أحدٌ من المشركين، وقد كان المشركون يحجّون معهم من قبل، وذلك من تمام النعمة: ﴿وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

٢ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾.

٣ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا﴾.

٥ ذكر بعض العلماء أقوالاً أخرى في آخر ما نزل من القرآن الكريم، منها: أنّ آخر ما نزل آية الكلالة، فقد رَوَى الشيخان عن البراء بن عازب، قال: «آخر آية نزلت ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ النساء: ١٧٦»[١]، وحُمِلَ ذلك على أنّها مقيدة بما يتعلق بالمواريث، وهكذا.

والترجيح أنّ آخر ما نزل من القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٢٨١؛ لما أخرجه النَّسائيّ، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما «أنّها آخر ما نزل من القرآن الكريم»[٢]، إضافة إلى ما تضمّنته هذه الآية من الحديث عن الاستعداد ليوم الميعاد، والرجوع إلى الله تعالى، واستيفاء الجزاء العادل منه سبحانه وتعالى، بخلاف الأقوال الأخرى، إذ إنّ أصحابها ربما قالوها باجتهاد من عندهم، وغلبة ظنّهم، أو يكون المقصود: أنّها آخر ما نزل في موضوع معين، وليس المقصود على الإطلاق.

فوائد معرفة أول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل منه:

ذكر العلماء فوائد عديدة، منها:

١ **بيان اهتمام الصحابة رضي الله عنهم، وحفظهم القرآن الكريم**، حيث عرفوا متى نزلت كل آية، وأين نزلت، مصداقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ الحجر: ٩.

٢ **إدراك أسرار التشريع الإسلاميّ من خلال التدرج فيه**: فآيات القرآن الكريم قد عالجت النفس البشرية بهداية الله تعالى، وأخذت الناس بالأساليب الحكيمة التي ترقى بنفوسهم في سلّم الكمال، وتدرّجت بهم في الأحكام التي يستقيم بها منهج حياتهم على الحقّ، وتنتظم شؤون مجتمعهم على الطريق الأقوم؛ كتحريم الخمر.

٣ **تمييز الناسخ من المنسوخ**: فقد ترد الآيتان، أو الآيات في موضوع واحد، ويختلف الحكم في إحداها عن الأخرى، فإذا عُرِفَ ما نزل أولاً، وما نزل آخراً، كان حكم ما نزل آخراً ناسخاً لحكم ما نزل أولاً.

نشاط:

أرجع إلى بعض كتب علوم القرآن، وأذكر ما قاله العلماء في آخر ما نزل من القرآن الكريم في حُكْم القتل العمد.

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: «يستفتونك . . .»، ومسلم، كتاب الفرائض، باب: آخر أية أنزلت آية الكلالة.
٢ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا﴾.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) نزل القرآن الكريم على الرسول محمد ﷺ منجماً في سبع عشرة سنة .

ب ( ) كان كفار قريش يطلبون نزول القرآن الكريم جملة واحدة .

جـ ( ) نزلت آيات حديث الإفك متفرقة .

د ( ) من فوائد معرفة أول ما نزل من القرآن الكريم، وآخر ما نزل منه التمييز بين الناسخ والمنسوخ .

٢ أبيّن كيفية نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ، مستدلاً بآية من القرآن الكريم .

٣ ذكر العلماء أنّ للقرآن الكريم تنزُّلَيْنِ على الرأي الراجح . أذكرهما .

٤ أعلّل : إنّ أصحَّ الآراء في أول ما نزل من القرآن الكريم على الإطلاق صدرُ سورة العلق .

٥ أذكر الدليل على أنّ آخر آية نزلت على الإطلاق هي قوله تعالى : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ البقرة٢٨١ .

الدرس
١٣

نزول القرآن الكريم (٢)

نزل القرآن الكريم منجماً حسب الحوادث، وقد اهتمّ العلماء بأول ما نزل من القرآن وآخر ما نزل مطلقاً، واهتمّوا كذلك بمعرفة أوائل الآيات التى نزلت في موضوع معين، وهذا ما أطلق عليه «الأوائل الموضوعية» وفي هذا الدرس نبين أوائل الموضوعات نزولاً على رسول الله ﷺ ونوضّح أهمية هذه المعرفة.

أهمية معرفة أوائل الموضوعات وأواخرها نزولاً:

تكمن أهمية معرفة أول الموضوعات نزولاً، وآخرها في الآتي:

- التمييز بين الآيات التي تعالج علاقة المسلمين بغيرهم في مكّة والمدينة، فيما إذا وردت آيتان، أو آيات في موضوع واحد، وكان الحكم في إحدى هذه الآيات يعارض الحكم في الأخرى.

ومثال ذلك: أنّ الله تعالى أمر المؤمنين بالعفو والصفح مقابل الأذى الذي تعرضوا له من المشركين؛ قال تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ البقرة: ١٠٩، ثم أمرهم بالتربية الإيمانيّة؛ لتقوية إيمانهم استعداداً للقتال؛ إذ قال تعالى في بيان ذلك: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ النساء: ٧٧. وبعد ذلك، أذن لهم بقتال مَنْ قاتلهم، وهكذا، حتى أمرهم بقتال المشركين؛ حيث قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: ٣٩.

- معرفة تاريخ التشريع الإسلاميّ، ومراقبة سير التدرج، والحكمة في أخذ الناس بالهوادة والرفق، والبُعد عن الشِدّة والعنف، فيما أمر به أو نهى عنه.
- تعلُّم أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، ومعرفة أدب الدعوة، وكيفية اختيار الموضوع المناسب في خطاب الناس حسب الحاجة، والتركيز على الأولويات في اختيار مواضيع الدعوة.

بيان أوائل الموضوعات نزولاً:

وفيما يأتي بيان أوائل الموضوعات نزولاً:

■ أولاً: أول ما نزل في الأطعمة:

كانت أول آية نزلت في الأطعمة في مكّة آية الأنعام؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ فَمَنِ

﴿ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ الأنعام: ١٤٥؛ فالآية الكريمة نهت عن أكل الميتة والدم ولحم الخنزير، كما نهت عن تقديم الذبائح للأصنام.

نزلت آية أخرى في سورة النحل تؤكد أنّ الأصل في المطعومات الإباحة، وأنّ المؤمن عليه أن يشكر الله تعالى على نعمته، ثم أكّدت على تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وتقديم القرابين إلى الآلهة المزعومة؛ قال تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ١١٤ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ النحل: ١١٤- ١١٥.

نزلت بعدها آية في سورة البقرة تؤكد الأحكام نفسها؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ البقرة: ١٧٣.

نشاط:

أرجع إلى كتب التفسير، وأبيّن الوجه البلاغي الذي تضمّنته الآية ١٤٥ من سورة الأنعام، والآية ١٧٣ من سورة البقرة، حيث إنّ الأولى وردت بصيغة ﴿أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾، والثانية ﴿أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ﴾.

وآخر ما نزل في المطعومات آية في سورة المائدة، حيث فصّلت أنواعاً من المطعومات الميّتة المحرمة؛ كالمنخنقة والموقوذة والمتردّية والنطيحة؛ قال تعالى: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلۡمُنۡخَنِقَةُ وَٱلۡمَوۡقُوذَةُ وَٱلۡمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيۡتُمۡ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ المائدة: ٣؛ فالموقوذة هي التي ضُرِبَت حتى الموت، والمتردّية هي التي ماتت بسبب وقوعها من مكان مرتفع، والنطيحة هي التي ماتت بسبب النطح.

■ ثانياً: أول ما نزل من الأشربة:

لم يُحرِّم الله الخمر مرة واحدة، بل نزلت الآية الأولى تبيّن أنّ ضرر الخمر أكبر من نفعه، ثمّ نهت الثانية عن شرب الخمر عند اقتراب الصلاة، ثمّ حرّمت الأخيرة شرب الخمر تحريماً قاطعاً.

أفكر:

كيف يمكن أن أستفيد من التدرج في تحريم الخمر في ميدان الدعوة إلى الله تعالى؟

■ ثالثاً: ما نزل في أمر الجهاد:

على الرغم من تعرُّض المسلمين في أوائل الدعوة للأذى الشديد من كفار مكّة، إلا أنّ الله تعالى لم يأذن للمسلمين بالجهاد لرد الأذى، بل دعاهم إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ ففي المدينة المنورة طلب المسلمون من الرسول ﷺ أن يأذن لهم بالقتال؛ فنزلت الآيات الكريمة تطلب منهم كفّ أيديهم؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓاْ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ النساء: ٧٧.

وفي السنة الثانية من الهجرة أُذن لهم بالقتال؛ لردّ الظلم والعدوان؛ قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُواْ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ الحج: ٣٩.

■ رابعاً: أول ما نزل بشأن القتل:

ذكر العلماء أنّ أول آية نزلت في موضوع القتل قوله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٣.

■ خامساً: أول ما نزل في حق النساء:

إنّ أول ما ذكر في القرآن الكريم في حق النساء في سورة الليل قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴾ الليل: ٣-٤؛ فقد جمع الله تعالى في القَسم الذكر والأنثى؛ للدلالة على النظرة المتساوية بينهما.

ثم ذكرتِ الآيات الكريمة النظرة الدونيّة التي كانت عليها المرأة في الجاهلية، فكانت تُوأد وهي حية، خوفاً من الفقر والعار؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَىِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴾ التكوير: ٨-٩، وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ النحل: ٥٨.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) تحدّثت الآيات المكّيّة عن تعرُّض البنات للقتل، وهُنّ أحياء، خوفاً من العار.

ب ( ) الأصل في المطعومات أنّها محرمة، ما لم يأتِ دليل على الإباحة.

جـ ( ) ما أُهِلّ لغير الله به: هو ما ذُكِر عند ذبحه غير اسم الله، أو ذُبِح تقرباً للأصنام.

د ( ) أول ما نزل من الأشربة تحريم الخمر دون تدريج.

٢ أبيّن ثلاث فوائدَ لمعرفة الأوائل الموضوعيّة نزولاً في القرآن الكريم.

٣ أستدلّ على أول ما نزل من القرآن في المطعومات، وآخر ما نزل منها.

٤ كيف أوفّق بين قوله تعالى: ﴿كُفُّوٓاْ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، وهي تطلب كفّ اليد عن الجهاد، وقوله تعالى: (وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً)، وهي تأمر بالجهاد؟

٥ أبيّن أول ما نزل من الآيات في حقّ النساء.

الدرس
١٤

حكمة نزول القرآن الكريم منجماً

عرفت أن القرآن الكريم أنزل جملة واحدة إلى السماء الدنيا في ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، فكان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن حسب الحاجة والوقائع والأحداث التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ، إذ قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾ الشعراء: ١٩٢-١٩٥. فما الحكمة من نزوله منجماً؟، ولماذا لم ينزل دفعة واحدة، مثل: الكتب السماوية السابقة؟

حكم نزول القرآن الكريم منجماً:

لنزول القرآن الكريم مفرقاً فوائد كثيرة، وحِكَم جليلة، ومن هذه الحِكَم ما يأتي:

١. تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتثبيت المؤمنين على الحقّ:

فقد حرص النبي ﷺ على تبليغ دعوته؛ فوجد من قومه عناداً واستكباراً ونفوراً، ولم يكتفوا برفض دعوته، بل سارعوا إلى إيذائه، وتعذيب مَنْ آمن به، فكان بحاجة ماسّة إلى تثبيت فؤاده على الحق، وتثبيت الصحابة على الإيمان، وذلك ببيان أنّ هذه هي سنّة الله مع الأنبياء السابقين، فقد تعرضوا لما تعرض له وأصحابَه من الأذى؛ لذا أخبره الله تعالى بحالهم مع أقوامهم في سور عديدة؛ حيث قال تعالى: ﴿ وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ﴾ هود: ١٢٠؛ وذلك ليعلم الرسول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أنّ ما أصابهم قد أصاب مَنْ قبلهم فصبروا.

وقال تعالى أيضاً: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ الفرقان: ٣٢، فقد صرحت الآية الكريمة بالحكمة من نزول القرآن الكريم على فترات، تسلية للرسول ﷺ حتى لا يأخذه الحزن والأسى؛ فيصاب باليأس من شدّة ما تعرّض له وأصحابَه من الأذى، فكلما نزل عليه الوحي ازداد قوة وثباتاً.

أتعلم:

قُسمت سور القرآن الكريم إلى أربعة أقسام، وهي على النحو الآتي:

أ الطوال: وهي أول سبع سور في القرآن الكريم، من البقرة إلى التوبة.

ب المِئون: وهي ما زادت آياتها على مئة.

ج المثاني: وهي التي تليها في عدد الآيات، وسميت بالمثاني؛ لأنّها تثنى، وتكرر في القراءة.

د المفصّل: وتبدأ من أول سورة (ق)، وسميت بذلك؛ لكثرة الفصل بين سورها بالبسملة.

٢. تيسير حفظ القرآن الكريم وفهمه:

نزل القرآن الكريم على أمة لا تعرف القراءة والكتابة، بل تعتمد على الحفظ في الذاكرة، حيث قال تعالى في بيان ذلك: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ الجمعة: ٢.

فليس من السهل عليهم -وأكثرهم لا يكتبون- أن يحفظوا القرآن كله بيسر وسهولة لو نزل جملة واحدة. ومن الصعب أن يفهموا معانيه، ويتدبروا آياته، فكان نزوله مفرقاً عوناً للنبي ﷺ، وأصحابه على حفظه في الصدور، وفهم آياته، وتدبّر معانيه. فكلما نزلت الآية، أو الآيات حفظها النبي ﷺ، وحفظها الصحابة رضي الله عنهم، وتدبروا معانيها، ووقفوا عند أحكامها؛ قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ الإسراء: ١٠٦.

٣. التدرُّج في تربية الأمة على العقائد الحقّة والشرائع القويمة:

لقد أَلِف الناس العقائد الباطلة، واعتادوا على عبادات فاسدة، إضافة إلى التمسُّك بقيم وأخلاق رذيلة، فليس من السهل أن يتخلوا عنها بسهولة، وقد كان القرآن الكريم -بدايةً- يتناول أصول الإيمان بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما فيه من بعثٍ وجزاءٍ، وجنةٍ ونار، مستنداً إلى الأدلة العقليّة، والبراهين الساطعة، حتى يستأصل من نفوسهم ما أَلِفوه من العقائد الوثنيّة، ويغرس فيها عقيدة الإسلام.

وكان يأمر بمحاسن الأخلاق التي تزكو بها النفس، وينهى عن الفحشاء والمنكر، ويبين قواعد الحلال والحرام التي يقوم عليها صرح الدين؛ فعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنّة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أوَّلَ شيء: (لا تشربوا الخمر)؛ لقالوا: لا ندعُ الخمر أبداً، ولو نزل: لا تزنوا؛ لقالوا: (لا ندعُ الزنا أبداً)**»[1].

١ أخرجه البخاريّ، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن.

٤. مسايرة الحوادث والوقائع في تجدّدها وتفرّقها:

شملت أحكام القرآن الكريم تنظيم العلاقات بين الأفراد في تنظيم شؤون حياتهم في جميع المجالات، لكنها لم تُشرع مرة واحدة، فكلما حدثت حادثة بينهم نزل حكم الله فيها؛ كالمرأة التي جاءت تشتكي زوجها الذي ظاهرَ منها، وكان الظِهار في الجاهلية يُعدّ طلاقاً؛ فنزل قول الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١.

كما أنّ الآيات الكريمة كانت تنزل إجابة على سؤال من الكفار؛ كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ الإسراء: ٨٥، أو إجابة على سؤال يعرضه المؤمنون، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ البقرة: ٢١٩. أو للفت أنظار المسلمين إلى أخطائهم، وإرشادهم إلى الصواب. ومثال ذلك: ما وقع من المسلمين من خطأ يوم أُحُد، حين خالفوا أمر الرسول ﷺ، ونزلوا عن الجبل؛ ما تسبب في هزيمتهم، وكشف المنافقين الذين عملوا على تثبيطهم حين رجع زعيم المنافقين بثلث الجيش قبل بدء المعركة. ويوم حُنيْن عندما اغتروا بكثرتهم؛ ففرّوا عند أول المواجهة، وثبت النبي ﷺ، ومعه بعض الصحابة، ونزلت الملائكة لتأييده؛ فقال تعالى في شأن حُنيْن: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ التوبة: ٢٥.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب التفسير، وأكتب في دفتري تفسير الآيات من سورة آل عمران ١٥٢-١٥٨، والمتعلقة بمجريات معركة أُحُد.

٥. التحدي والإعجاز للدلالة على أنّ القرآن الكريم من عند الله تعالى:

تمادى المشركون في غيّهم، وبالغوا في عنادهم واستكبارهم، وأخذوا يسألون أسئلة تعجيزيّة؛ ليمتحنوا نبوّته ﷺ؛ فكانت الآيات الكريمة تنزل مجيبةً على استفساراتهم واعتراضاتهم، كلّ ذلك بأسلوب رصين، وسبك دقيق مترابط المعاني، ومتناسق في آياته وسوره، ما يدل قطعاً أنّه من عند الله، إذ كيف نزل القرآن الكريم في مناسبات متعددة ووقائع متتالية وأحداث متعاقبة، دون أن يظهر الضعف والتفكك في أسلوبه، والتعارض وعدم الانسجام في القضايا التي يعالجها، لولا أنّه كتاب محكم منزل من عزيز حكيم، حيث قال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ هود: ١، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ النساء: ٨٢.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) تنزيل القرآن الكريم مفرقاً يساعد على حفظه وفهمه .

ب ( ) الآيات الكريمة التي تحدثت عن قصص الأنبياء نزلت لمواساة النبي ﷺ وتثبيته على الحق .

جـ ( ) كانت أسئلة المشركين وأهل الكتاب للنبي محمد ﷺ بقصد التعلّم .

د ( ) لم تتحدث الآيات القرآنيّة عن أخطاء وقعت من المسلمين .

٢ أستدل من القرآن الكريم على أنّ من حِكَم تنزيله مفرقاً تثبيتُ قلب النبي محمد ﷺ .

٣ من حِكَم تنزيل القرآن الكريم مفرقاً حفظه وفهمه . أوضّح ذلك .

٤ من حِكَم تنزيل القرآن الكريم مفرقاً مسايرةُ الأحداث والوقائع . أمَثِّل على ذلك بمثالين .

٥ أعلّل : من حِكَم نزول القرآن الكريم منجماً التدرجُ في تربية الأمة على العقائد الحقّة والشرائع القويمة .

الوحـــدة

٣

أسباب النزول وجمع القرآن الكريم

الدرس
١٥

أسباب النزول (١)

أنزل الله القرآن؛ ليهدي البشريّة إلى الصراط المستقيم، ويخرجها من الظلمات إلى النور، ويقيم الحياة على دعائم الإيمان بالله تعالى، ويبني المجتمع على أساس من التكافل والتضامن.

هذه هي الأهداف العامّة التي نزل القرآن الكريم من أجل تحقيقها، وقد أخذ الصحابة الكرام بما أُنزل في القرآن الكريم فهماً وتطبيقاً، غير أنّهم عايشوا وقائع خاصة، وأشكلت عليهم مسائل احتاجوا لمعرفة حكم الله تعالى فيها، فكانوا يسألون الرسول ﷺ عن ذلك فيُنَزِّل الله تعالى قرآنا يبين حكم تلك الحوادث، ويجيب على تلك الأسئلة. وهذا ما سيكون الحديث حوله فيما يعرف بسبب النزول.

فما المقصود بسبب النزول؟ وكيف اعتنى العلماء بهذا العلم؟ وما الفرق بين سبب النزول والمناسبة بين الآيات؟

معنى سبب النزول:

هو ما نزل قرآن كريم بشأنه وقت وقوعه؛ كحادثة أو سؤال، ومثال ذلك لما أُمِرَ الرسول ﷺ بالجهر بالدعوة، بقوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ الشعراء: ٢١٤، صعد النبيّ ﷺ على الصفا، ونادى عشيرته، وأخبرهم أنّه رسول بشيرٌ ونذيرٌ، فقال أبو لهب: تباً لك، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت هذه الآية: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ المسد: ١ [1].

ومثال ذلك أيضاً: الخصومة التي حدثت بين جماعة الأوس والخزرج على الماء، بدسيسة من اليهود؛ ليفتنوا بين المسلمين، فتنادوا بينهم: السلاحَ السلاحَ؛ فنزلت آيات كريمة في سورة آل عمران تحذر من طاعة أهل الكتاب، وتبين أنّ طاعتهم تؤدي إلى الفرقة والاختلاف، وأنّ الإيمان بالله يقتضي أن يعتصموا بحبل الله جميعاً؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ﴾ آل عمران: ١٠٠ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ آل عمران: ١٠٣.

أو أن يسأل أحدهم سؤالاً، فينزل القرآن الكريم مجيباً على هذا السؤال، ومثال ذلك: سؤال المشركين بتوجيه من اليهود عن ذي القرنين، وأهل الكهف، والروح، لاختبار صدقه؛ فنزلت الآيات القرآنيّة تجيب عن هذه الأسئلة؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُواْ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا﴾ الكهف: ٨٣،

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

وقوله: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥، وقوله تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف: ٩.

نشاط:

ارجع إلى أحد كتب التفسير أو أحد الكتب الخاصّة بمعرفة أسباب النزول، وأكتب في دفتري مثالين: أحدهما عن بيان حكم حادثة وقعت، والأخرى جواباً على سؤال.

وتجدر الإشارة إلى أنّ سبب النزول مرتبط بحادثة وقعت زمن النبوّة، فنزلت الآيات تتحدث عنها، أو سؤال سئل؛ فنزلت الآيات تجيب عنه، وليس من أسباب النزول الآيات المتعلقة بقصص الأنبياء والأخبار السابقة، مثل: حادثة الفيل التي تحدّث القرآن الكريم عنها في سورة خاصّة هي سورة الفيل، أو قصص نوح وهود وإبراهيم، وغيرهم من الأنبياء.

عناية العلماء بأسباب النزول:

اهتمّ العلماء بعلوم القرآن عموماً، وبمعرفة أسباب النزول خصوصاً، فلمسوا شدّة الحاجة إليه في تفسير القرآن الكريم؛ لذلك نجد أنّ الكثير منهم أفرده بالتأليف، ومن أشهرهم:

١ عَلِيّ بن المدينيّ (ت ٢٣٤هـ) في كتابه: (أسباب النزول).

٢ أبو الحسن الواحديّ (ت ٤٦٨هـ) في كتابه: (أسباب النزول).

٣ ابن حجر العسقلانيّ (ت ٨٥٢ هـ) في كتابه: (العجاب في بيان الأسباب)

٤ جلال الدين السيوطيّ (ت ٩١١ هـ) في كتابه: (لباب النقول في أسباب النزول)، ويُعَدّ أهمّ مرجع في هذا الموضوع.

المناسبة بين الآيات والفرق بينها وبين أسباب النزول:

إنّ معرفة أسباب النزول تساعد في فهم المعنى المراد من النصّ القرآنيّ، ومعرفة المناسبة بين الآيات تساعد أيضاً على دقّة الفهم وحسن التأويل. فما المراد من المناسبة بين الآيات؟ وما الفرق بينها وبين أسباب النزول؟

المناسبة في اللغة: المقاربة.

أما في الاصطلاح فهي: وجه الارتباط بين الجملة والجملة في الآية الواحدة، أو بين الآية والآية في الآيات المتعددة، أو بين السورة والسورة.

فائدة معرفة المناسبة بين الآيات:

إنّ معرفة المناسبة بين الآيات تفيد في إدراك اتّساق المعاني، وإعجاز القرآن البلاغيّ، وانتظام كلامه، وروعة أسلوبه.

وقد اعتنى بعض المفسّرين بعلم المناسبة بين الجمل، أو الآيات، أو السور، فالجملة قد تأتي تأكيداً لما قبلها، أو بياناً لها، وقد تتعلق الآية بما قبلها على وجه معيّن؛ كالآيات التي تقابل بين صفات المؤمنين، وصفات المشركين، وصفات المنافقين، كما هو في أوائل سورة البقرة، أو أن تراعي المناسبة حال المخاطبين؛ كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ الغاشية: ١٧- ١٩، فالجمع بين الإبل والسماء والجبال مما ألفه المخاطبون واعتادوا عليه، وهو يلفت أنظارهم إلى قدرة الله تعالى في خلق هذه الأمور.

وقد تكون المناسبة بين السورة والسورة التي قبلها؛ كافتتاح سورة الأنعام بالحمد في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الأنعام: ١، وهو مناسب لأواخر سورة المائدة في قوله: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٢٠، فالله -سبحانه- المستحقُّ للحمد المذكور في أوائل سورة الأنعام.

الفرق بين المناسبة وسبب النزول:

يظهر الفرق بين المناسبة وسبب النزول في الآتي:

١ إنّ معرفة سبب النزول أمرٌ توقيفيّ، فعلم أسباب النزول يرجع إلى الإسناد الثابت عن صحابة الرسول ﷺ، أمّا علم المناسبة فهو قائم على الاجتهاد بالربط بين الآيات أو السور، ولم يرد فيها نقل مسند.

٢ علم مناسبة الآيات دقيق يحتاج إلى عمق في التفكير، وبُعد في النظر؛ لذلك لم يعمد إليه إلا القليل من العلماء؛ كالإمام الرازيّ في تفسيره، والزمخشريّ في (الكشاف) والبقاعي في كتابه (نظم الدرر)، أمّا سبب النزول فيعتمد على النقل.

٣ علم أسباب التنزيل يجمع على أهميته كلّ من يُعتدّ برأيهم من أهل التفسير، أمّا علم المناسبة بين الآيات فقد قال فيه بعض العلماء، وأعرض عنه البعض.

التقويم

١ ما المقصود بعلم أسباب النزول؟

٢ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) أجمع علماء التفسير على أهميّة علم أسباب النزول في معرفة معاني الآيات، أمّا علم المناسبة فقد اختلفوا في أهميّته.

ب ( ) علم أسباب النزول علمٌ عقليّ، بينما علم المناسبة علمٌ نقليّ.

جـ ( ) أول من ألّف في أسباب النزول الإمام السيوطيّ في كتابه: (لباب النقول في أسباب النزول).

د ( ) لا يكون سبب النزول إلا جواباً على سؤال.

هـ ( ) تُعَدُّ قصص الأنبياء السابقين من أسباب النزول.

٣ أذكر فرقين بين أسباب النزول وعلم المناسبة.

٤ أمثل على كل مما يأتي بمثال واحد:

أ اهتمام العلماء بعلم أسباب النزول.

ب تعلُّق سبب النزول بحادثة وقعت زمن الرسول ﷺ.

٥ أوضّح التناسب بين قوله تعالى في خاتمة سورة المائدة: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ المائدة: ١٢٠، وقوله تعالى في بداية سورة الأنعام: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ الأنعام: ١.

الدرس
١٦

أسباب النزول (٢)

نزلت الكثير من الآيات القرآنيّة؛ لبيان حكم حادثة وقعت، أو جواباً على سؤال، فما الطريقة التي نعرف من خلالها سبب النزول؟ وما الصيغ التي يرد بها هذا السبب؟

كيفية معرفة سبب النزول:

سبب النزول واقعة تاريخيّة، أو أمر وقع في عصر التنزيل، ولهذا فإنّ سبب معرفته والوقوف عليه لا يكون بغير الرواية والنقل الصحيح، فلا مجال فيه للاجتهاد وإعمال الرأي، ومن هنا، وجدنا أنّ السلف الصالح رضي الله عنهم كانوا يتورعون من القول في سبب النزول دون تثبت من صحة الرواية.

ويُعرف سبب النزول بأحد أمرين:

١ الرواية الصحيحة عن الرسول ﷺ.

٢ الرواية الصحيحة عن الصحابة رضي الله عنهم؛ لأنّهم هم الذين عاصروا الوحي، وعايشوا التنزيل، وسمعوا من الرسول ﷺ ما لم يسمعه غيرهم؛ فيكون قول الصحابيّ في سبب النزول له حكم الحديث المرفوع؛ لأنّه قول في أمر لا مجال فيه للاجتهاد، ويبعد أن يكون الصحابيّ قد قاله من تلقاء نفسه.

الصيغ التى يرد بها سبب النزول:

إنّ معرفة صيغ أسباب نزول الآيات القرآنيّة تساعد على الترجيح عند اختلاف الروايات في بيان سبب نزول آية معيّنة.

ولأسباب النزول صيغتان هما:

الصيغة الأولى: العبارة الصريحة في كون الحادثة سبباً في نـزول الآية:

وفي هذه الحالة تكون الصيغة نصّاً في بيان سبب النزول على وجه لا يقبل التأويل أو الاحتمال. وهي التي يقول فيها الصحابيّ مثلاً: سبب نزول هذه الآية كذا، أو سئل رسول الله عن كذا، فنزل قوله تعالى، فهذه صيغة صريحة في بيان سبب النزول. ومثال هذه الصيغة: ما ورد عَنْ عَبْدِ اللهِ ابن مسعود رضي الله عنه قال: بَيْنَمَا أَنا أَمْشِي مَعَ النَبِيّ ﷺ في حَرْثٍ، وَهُوَ مُتَّكِئٌ عَلى عَسِيبٍ إِذْ مَرَّ بِنَفَرٍ مِنَ

الْيَهودِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: سَلوهُ عَنِ الرُّوحِ، فَقَالُوا: مَا رَابَكُمْ إِلَيْهِ لاَ يَسْتَقْبِلُكُمْ بِشَيْءٍ تَكْرَهُونَهُ. فَقَالوا: سَلُوهُ، فَقَامَ إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ، فَسَأَلَهُ عَنِ الرُّوحِ، قَالَ: فَسكَتَ النبيّ ﷺ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئاً؛ فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْهِ، قَالَ: فَقُمْتُ مَكَانِي، فَلَمَّا نَزَلَ الْوَحْي قَالَ: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الإسراء: ٨٥ [1].

وكذلك إذا أتى بفاء التعقيب، وقرنها بعبارة الإنزال بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول: حدث كذا وكذا؛ فأنزل الله تعالى آية كذا، أو فنزلت آية كذا، أو يقول: سئل رسول الله ﷺ عن كذا؛ فنزلت آية كذا، فهذه الصيغة صريحة في بيان سبب النزول؛ لأنّ قائلها أوضحَ فيها أنّ نزول الآية، أو الآيات ترتّبَ على وقوع تلك الحادثة، أو توجيه هذا السؤال.

ومثال قول الصحابيّ: (حدث كذا فنزلت آية كذا) ما ثبت في الصحيح عن مسروق قال: سمعت خباباً قال: جئت العاصي بن وائل السهميّ أتقاضاه حقاً لي عنده، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد، فقلت: لا، حتى تموت، ثم تبعث، قال: وإنّي لميّت، ثم مبعوث؟، قلت: نعم، قال: إنّ لي هناك مالاً وولداً فأقضيكَهُ؛ فنزلت هذه الآية: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ مريم: ٧٧ [2].

■ الصيغة الثانية: العبارة غير الصريحة في بيان سبب النزول:

وفي هذه الحالة يُحتمل أن يُراد بالعبارة سبب النزول، ويُحتمل أن يُراد بها التفسير؛ كأن يقول الصحابيّ رضي الله عنه: (نزلت هذه الآية في كذا)، فعندئذ يتوقف فهم المراد منها على دليل أو قرينة توضح ذلك؛ فمثلاً إذا ذكر الصحابيّ في عبارته بعد حرف الجر (في) شخصاً، أو حادثة، كأن يقول: نزلت هذه الآية في فلان، أو في قوم، أو في حادثة، كان المقصود بها ذكر سبب النزول. أمّا إذا ذُكِر بعد حرف الجر معنى تشتمل عليه الآية، أو حكمٌ شرعيٌّ مأخوذٌ منها، فالمقصود بعبارته التفسير في هذه الحالة.

ومن الأمثلة على ذلك:

أولاً: ما قُصد به سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رجل من بني سهم مع تميم الداريّ، وعديّ بن بداء، فمات السهميّ بأرض ليس بها مسلم، فلمّا قدما بتركته، فقدوا جاماً من فضة مخوّصاً من ذهب؛ فأحلفهما رسول الله

---

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾.

٢ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴾.

* جاماً: كاساً، مخوّصاً: منقوش فيه خطوط طويلة وهو ورق النخل.

ﷺ، ثمّ وجد الجام بمكة، فقالوا: ابتعناه من تميم وعديّ؛ فقام رجلان من أوليائه؛ فحلفا لَشهادتُنا أحقُّ من شهادتهما، وإنّ الجام لصاحبهم. قال: وفيهم نزلت هذه الآية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ ﴾ المائدة: ١٠٦ [1].

ثانياً: ما قُصد به التفسير:

عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها في قول الله تعالى: ﴿ وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا ﴾ النساء: ١٢٨، قَالَتْ: أُنْزِلَتْ فِي الْمَرْأَةِ تَكُونُ عِنْدَ الرَّجُلِ، فَتَطُولُ صُحْبَتُهَا، فَيُرِيدُ طَلَاقَهَا، فَتَقُولُ: لا تُطَلِّقْنِي، وَأَمْسِكْنِي، وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنِّي؛ فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآية. [2]

نشاط:

أرجع إلى واحد من كتب علوم القرآن، وأكتب في دفتري رواية تدلّ على أنّ السلف كانوا يتورعون من القول في سبب النزول دون تثبت من صحة الرواية.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) قول الصحابيّ في سبب النزول له حكم الحديث المرفوع.

ب ( ) العبارة الصريحة في سبب النزول قد يراد بها التفسير.

جـ ( ) قول الصحابيّ: (حدث كذا؛ فنزلت آية كذا) عبارة غير صريحة في سبب النزول.

د ( ) قول الصحابيّ: (أنزلت هذه الآية في فلان) يدل على سبب نزول الآية.

٢ يُعرف سبب النزول بأحد أمرين. أبيّنهما.

٣ أذكر مثالاً على الصيغة الصريحة لسبب النزول.

٤ أبيّن الفائدة من معرفة صيغ أسباب النزول.

---

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير...، باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ... ﴾.

٢ أخرجه مسلم، كتاب التفسير.

الدرس
١٧

فوائد معرفة أسباب نزول الآيات القرآنيّة الكريمة

إنّ المتدبر للقرآن الكريم يرى أنّ معظمه قد نزل -ابتداء- غير مرتبط بسبب من الأسباب، وإنّما نزل؛ ليكون هداية للناس إلى ما يسعدهم ويهديهم إلى الصراط المستقيم، كما أنّه يرى أنّ قسماً منه قد نزل لسبب من الأسباب الخاصّة؛ كالإجابة على أسئلة السائلين، وإرشاد مَنْ أخطأ إلى الحكم السليم.

ولمعرفة أسباب النزول فوائد من أهمها:

١ بيان أنّ القرآن الكريم قد نزل من الله تعالى؛ وذلك لأنّ النبيّ ﷺ يُسأل عن الشيء، فيتوقف عن الجواب أحياناً، حتى ينزل عليه الوحي، أو يخفي الأمر الواقع، فينزل الوحي مبيناً له مثال ذلك قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ المنافقون: ٨، ففي صحيح البخاريّ: أنّ زيداً بن أرقم رضي الله عنه سمع عبد الله بن أبيّ -رأس المنافقين- يقول: ذلك يريد أنّه الأعزّ، ورسول الله ﷺ وأصحابه هم الأذلّ، فأخبر زيد عمه بذلك، فأخبر به النبيّ ﷺ، فدعا النبيّ ﷺ زيداً؛ فأخبره بما سمع، ثمّ أرسل إلى عبد الله بن أُبيّ وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فصدقهم رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى تصديق زيد في هذه الآية؛ فاستبان الأمر لرسول الله ﷺ.[1]

٢ بيان عناية الله تعالى برسوله ﷺ في الدفاع عنه، ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ الفرقان: ٣٢، وكذلك آيات الإفك؛ فإنها دفاع عن عرض النبيّ ﷺ، وتطهير له عمّا دنسه به الأفّاكون.

٣ بيان عناية الله تعالى بعباده في تفريج كرباتهم وإزالة غمّهم وأحزانهم. ومثال ذلك: آية التيمُّم، وهي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ النساء: ٤٣، جاء في صحيح البخاريّ أنّه ضاع عقد لعائشة رضي الله عنها، وهي مع النبيّ ﷺ في بعض أسفاره، فأقام النبيّ ﷺ لطلبه، وأقام الناس على غير ماء، فشكوا ذلك إلى أبي بكر، فذكر الحديث، وفيه:

---

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾.

فأنزل الله آية التيمُّم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر.[1]

٤ الاستعانة بمعرفة السبب على فهم الآية أو الآيات، ودفع الإشكال عنها، ومعرفة مقاصدها معرفة سليمة، وتفسيرها تفسيراً صحيحاً.

قال الإمام ابن تيمية -رحمه الله-: «معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإنّ العلم بالسبب يورث العلم بالمسبّب». ومن أمثلة ذلك: ما جاء في الحديث من أنّ عروة بن الزبير رضي الله عنهما أشكل عليه وجوب السعي بين الصفا والمروة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ البقرة: ١٥٨، وسبب هذا الإشكال أنّ الآية نفت الجناح، ونفي الجناح؛ أي: الإثم والحرج في رأيه لا يتفق مع وجوب السعي بين الصفا والمروة في حالة الحجّ، فكان أن قال رضي الله عنه: فوالله ما على أحد جناح ألا يطوف بالصفا والمروة!!، فقالت له عائشة رضي الله عنها: بئسما قلت يا بن أختي، إنّ هذه الآية لو كانت كما أوّلتها، لكانت فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكنها أنزلت في الأنصار، كانوا قبل أن يدخلوا في الإسلام يهلون؛ أي يحجّون لمناة الطاغية؛ أي لصنم كبير كانوا يعبدونه عند المشلل (اسم مكان)، فكانوا بعد الإسلام يتحرجون من السعي بين الصفا والمروة، فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، وقالوا: إنّا كنّا نتحرّج أن نطوف بين الصفا والمروة؛ لأنّه يذكّرهم بما كانوا يفعلونه في الجاهليّة؛ فأنزل الله تعالى هذه الآية. ثم قالت عائشة لعروة: «وقد سنّ رسول الله ﷺ الطواف بينهما، فليس لأحد أن يترك الطواف بينهما»[2]؛ فمعرفة سبب النزول جعل السيدة عائشة رضي الله عنها تفهم الآية فهماً سليماً، وتزيل الإشكال الذي وقر في ذهن ابن أختها عروة بن الزبير!!، بأن بينت له أنّ نفي الجناح المقصود به نفي الحرج عند بعض المسلمين الذين كان يذكرهم السعي بينهما بما كانوا يفعلونه في الجاهليّة، وليس نفي وجوب السعي بينهما.

٥ معرفة سبب النزول يساعد على بيان ما هو حقّ، وما هو باطل فيما وقع من أحداث. ومن أمثلة ذلك: قصّة طعمة بن أبيرق الذي سرق درعاً، وأودعها عند رجل يهوديّ، فلما وجد صاحب الدرع درعه، وذهب إلى النبيّ ﷺ، وقصّ عليه ما حدث، أنكر طعمة السرقة، وادّعى أنّ اليهوديّ هو الذي سرقها، وجاء أقارب طعمة؛ ليدافعوا عنه، فأنزل الله آيات من سورة النساء، بيّنت ما هو حقّ، وما هو باطل في هذه القضية الملتبسة، هي قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ

١ أخرجه البخاري، كتاب التيمم، باب قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟﴾.
٢ أخرجه البخاري، كتاب الحج، باب وجوب الحج.

ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ النساء: ١٠٥ - ١٠٩، وبذلك كان معرفة سبب نزول هذه الآيات الكريمة كاشفاً عن السارق الحقيقيّ، وهو طعمة بن أبيرق، ومبرئاً لمن اتُّهم ظلماً بالسرقة، وهو اليهوديّ.

٦ ويوضح سبب النزول فيمن نزلت الآية حتى لا تُحمل على غيره بدافع الخصومة والتحامل؛ كالذي ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ الأحقاف: ١٧، فقد أراد (معاوية) رضي الله عنه أن يستخلف (يزيد) رضي الله عنه، وكتب إلى (مروان) عامله على المدينة بذلك، فجمع الناس وخطبهم، ودعاهم إلى بيعة (يزيد)؛ فأبى عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله عنهما أن يبايع، فأراده (مروان) بسوء، لولا أن دخل بيت عائشة، وقال مروان: إنّ هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى ﴾؛ فردت عليه عائشة رضي الله عنها: «ما أنزل الله فينا شيئًا من القرآن إلا أنّ الله أنزل عذري»؛[1] أي براءة عائشة رضي الله عنها من حادثة الأفك. وفي بعض الروايات: فبلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت: كذب مروان، والله ما هو به، ولو شئت أن أسمي الذي نزلت فيه لسميته»[2].

أفكر:

لم تسمِّ عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها مَنْ أُنزل فيه قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾ الأحقاف: ١٧، لماذا؟!

٧ بيان الحكمة من تشريع بعض الأحكام، وبيان مراعاة التشريع الإسلاميّ لمصالح الناس في معالجة الحوادث رحمة وتيسيراً عليهم، إذ يظهر أثر ذلك واضحاً في الكثير من التشريعات الإسلامية؛ كآيات الظهار الواردة في سورة المجادلة نزلت لبيان أنّ الظهار لا يُعَدُّ كلاماً كما كان عليه الحال في الجاهلية وتلزمه الكفارة.

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة الاحقاق، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾.
٢ أخرجه النسائيّ في السنن الكبرى، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ ﴾.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) نزل جميع القرآن الكريم ابتداء من غير سبب .

ب ( ) كان الأنصار قبل أن يدخلوا في الإسلام يحجّون لمناة الطاغية .

جـ ( ) معرفة سبب نزول (الآية) تبيّن اسم الشخص الذي نزلت بحقّه (هذه الآية) .

د ( ) قال أسيد بن حضير ﷺ عقب نزول آية التيمُّم : إنّها أول بركتكم يا آل أبي بكر .

٢ أذكر ثلاث فوائد لمعرفة أسباب النزول .

٣ من فوائد معرفة أسباب النزول بيان معنى الآية على الوجه الحقيقيّ لها . أوضّح ذلك من خلال المثال؟

٤ ماذا قال مروان عامل معاوية ﷺ على المدينة للناس لمّا طلب البيعة ليزيد؟، وبمَ ردّت عليه أم المؤمنين عائشة ﷺ؟

الدرس

١٨

جمع القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ

أنزل الله تعالى القرآن الكريم على قلب رسوله محمد ﷺ، وتعهّد له بحفظه؛ فقال: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩، **وقد يسّر الله أسباب هذا الحفظ عن طريقين:**

- الأول: حفظه غيباً في القلوب والصدور.
- الثاني: كتابته وتدوينه في الصحف والسطور.

والجمع بالمعنى الثاني كتابة وتدويناً حدث في العصر الأول ثلاث مرات:

- الأولى: في عهد النبيّ ﷺ.
- الثانية: في عهد الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
- الثالثة: في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وسنتحدث في هذا الدرس عن الجمع في عهد النبيّ ﷺ، ويطلق على أمرين:

أولاً: جمع القرآن؛ بمعنى حفظه في القلوب والصدور غيباً:

كان القرآن ينزل على النبيّ ﷺ فيتلوه على أصحابه على تمهل حتى يحفظوا لفظه ويفهموا معناه، وكان ﷺ شديد العناية بحفظ القرآن وتثبيته، حتى بلغ من شدّة عنايته به وحرصه عليه، أنّه كان يحرك به لسانه؛ أي يعيد الكلمات التي يتلوها عليه الملك؛ إذ يقصد بذلك استعجال حفظ القرآن خشية أن تفلت منه كلمة، أو يضيع منه حرف، وما زال كذلك حتى طمأنه ربه، ووعده أن يحفظه له في صدره، وأن ييسر له قراءته، وفهم مراده ومعناه؛ قال تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾ القيامة: ١٦ - ١٩، وقال في موضع آخر: ﴿ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤، وقد يسّر الله تعالى حفظ القرآن الكريم، وتثبيته في قلب النبيّ ﷺ بمذاكرة جبريل عليه السلام إياه في رمضان من كلّ عام، حتى كان العام الذي توفي فيه الرسول ﷺ، فذاكره فيه وراجعه معه مرتين.

عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كلّ ليلة من رمضان؛ فيدارسه القرآن، فلرسولُ الله ﷺ أجود بالخير من الريح المرسلة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان يعرض على النبيّ ﷺ القرآن كلّ عام مرة؛ فعُرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه»[2].

وقد كان القرآن الكريم شُغْل النبيّ ﷺ الشاغل في سرّه وعلانيته، وحضره وسفره، وفي وحدته وبين صحابته، وفي عُسره ويسره، لا يغيب عن قلبه، ولا يألو جهداً في تنفيذ أوامره ونواهيه، والاعتبار بمواعظه وقصصه، والتأدب بآدابه وأخلاقه، وتبليغه إلى الناس كافة، ومن ثمّ كان مرجع المسلمين في حفظ القرآن وفهمه والوقوف على أسراره ومعانيه، فهو سيد الحفّاظ وأولهم.

حفظ الصحابة رضي الله عنهم للقرآن الكريم:

جعل الصحابة القرآن الكريم في المحلّ الأول، يتنافسون في حفظ لفظه، ويتسابقون في فهم معناه، ويتركون نومهم وراحتهم من أجل حفظه وتلاوته، يتلونه في فراغهم، ويقومون به في ليلهم؛ قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ الذاريات: ١٧-١٨، حتى لقد كان يُسمع لهم بقراءته دويّ كدويّ النحل، بل إنّ منازلهم عرفت ومُيِّزت من سماع تلاوتهم للقرآن؛ فعن أبي موسى الأشعري: قال النبيّ ﷺ: «إنّي لأعرف أصوات الأشعريين بالقرآن، حين يدخلون بالليل، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل، إن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار»[3].

وكان ﷺ يشجعهم ويحثّهم على حفظ القرآن ومدارسته، ويبعث مَنْ يُعلِّمهم ويُقرؤهم، فقد بعث مصعب بن عمير وعبد الله بن أمّ رضي الله عنهم مكتوم لأهل المدينة يقرؤهم القرآن، وبجهودهما ما بقي بيت في المدينة قبل الهجرة إلا دخله القرآن.

قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «كان الرجل إذا هاجر دفعه النبيّ ﷺ إلى رجل منا يعلّمه القرآن[4]، وكان يسمع لمسجد الرسول ﷺ ضجّة بتلاوة القرآن، حتى أمرهم رسول الله ﷺ أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا».

لهذا كان الحفّاظ من الصحابة كثيرين، منهم الخلفاء الراشدون الأربعة: (أبو بكر وعمر وعثمان وعليّ)، وعبد الله بن مسعود، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمرو بن العاص،

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى الرسول.
٢ أخرجه البخاريّ في الصحيح. كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبيّ ﷺ.
٣ أخرجه البخاريّ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر.
٤ أخرجه أحمد في مسنده، مسندعبادة بن الصامت.

وحذيفة بن اليمان ﷺ، وغيرهم كثير رضي الله ، ويدلّ على كثرتهم أنّه استشهد من الحفظة سبعون رجلاً يوم بئر معونة، وسبعون في معركة اليمامة، وقيل: سبعمائة.

■ ثانياً: جمع القرآن بمعنى كتابته وتدوينه:

لم يكتفِ النبيّ ﷺ بحفظ القرآن الكريم وتعليمه لأصحابه وحفظهم له، بل أضاف إلى ذلك كتابته وتدوينه في السطور، وكان للنبيّ ﷺ كُتّاب يكتبون القرآن، وكان يطلق عليهم **(كُتّاب الوحي)**، منهم: أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي، وخالد بن الوليد، ومعاوية بن أبي سفيان، وزيد بن ثابت، وأُبيّ بن كعب ﷺ، وغيرهم، فكان إذا نزل عليه شيء من القرآن دعا بعض هؤلاء الكتاب؛ فيأمره بكتابة ما نزل من الآيات في الموضع المحدد من السورة حسب ما كان يرشده إليه أمين الوحي جبريل عليه السلام.

عن عبد الله بن عباس ﷺ، قال: «كان رسول الله ﷺ إذا نزلت عليه سورة دعا بعض مَنْ يكتب، فقال: ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا». (١)

وعن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ -إذ شَخَص ببصره ثم صوبه- نظر إلى أعلى، ثم أرجع بصره، ثمّ قال: أتاني جبريل، فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع من السورة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾ النحل: ٩٠. (٢)

وكان الصحابة ﷺ يكتبون القرآن الكريم على العسب: وهي جريد النخل، واللّخاف: وهي الحجارة الرقيقة، والرقاع: جمع رقعة، وقد تكون من الورق أو الجلد. قال زيد بن ثابت ﷺ: كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع؛ بمعنى نجمع.

وقد أمر رسول الله ﷺ أن يكتبوا القرآن، ونهاهم أن يكتبوا شيئاً غيره، فعن أبي سعيد الخدري ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «**لا تكتبوا عني، ومَنْ كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه**»(٣).

وسبب هذا النهي مزيد العناية بالقرآن الكريم، وكتابته وتوثيقه حتى لا تنصرف جهودهم إلا له، وحتى لا ينشغلوا بغيره عنه، إضافة إلى مخافة اختلاط القرآن الكريم بالسنّة النبويّة، وبعد أن أمن الاختلاط بينهما أذن الرسول ﷺ للصحابة بكتابة الحديث الشريف.

---

١ أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب فضائل القرآن، باب ثواب القرآن.
٢ أخرجه أحمد في مسنده، مسند عثمان بن أبي العاص.
٣ أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب التثبت في الحديث وحكم كتابة العلم.

وقد كان السبب الباعث على كتابة القرآن في عهد النبيّ ﷺ -مع أنّ حفظة القرآن من الصحابة رضي الله عنهم كانوا كثيرين- ما يأتي :

١ تقوية المكتوب للمحفوظ ومساندته ؛ لتتوفر للقرآن الكريم كلّ عوامل الحفظ والبقاء ، ولهذا كان المعتمد عليه عند الجمع الحفظ والكتابة .

٢ تبليغ الوحي على الوجه الأكمل ؛ لأنّ الاعتماد على حفظ الصحابة غير كافٍ ؛ لأنّهم عرضة للنسيان أو الموت ، مثلما حصل في معركة اليمامة ، أمّا الكتابة فباقية لا تزول .

ولم يجمع القرآن في عهد النبيّ ﷺ في مصحف واحد للأسباب الآتية:

- قِصَر المدة بين آخر ما نزل من القرآن وبين وفاة النبيّ ﷺ ، وهي تسع ليالٍ ، حيث لا يمكن جمعه في هذه المدة القصيرة .
- ترتيب آيات القرآن وسوره لم يكن حسب النزول ، بل كان حسب تناسب الآيات وترابطها ، وقد تنزل الآية أو السورة بعد غيرها ، وتكون في ترتيب الكتابة قبلها .
- إنّ القرآن الكريم لم ينزل مرة واحدة ، بل نزل مفرقاً في مدى ثلاث وعشرين سنة .
- عدم وجود دواعي الكتابة ، مثل : ما وُجِد زمن أبي بكر الصديق ، وزمن عثمان بن عفان رضي الله عنهما ، فالمسلمون بخير ، والقرّاء كثيرون ، والفتنة مأمونة ، وأدوات الكتابة في صحف غير متيسرة .
- إنّ النبيّ ﷺ كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات .

وخلاصة القول ، إنّ القرآن الكريم جُمِع كلّه في عهد رسول الله ﷺ في الصدور حفظاً ، وفي السطور كتابة وتدويناً ، وكان محفوظاً موثقاً مصوناً ؛ مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر : ٩ .

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب الحديث الشريف ، وأكتب حديثاً يدل على فضل تدارس القرآن الكريم .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) تمّ حفظ القرآن الكريم زمن النبيّ ﷺ في الصدور فقط .

ب ( ) نهى النبيّ ﷺ عن كتابة الحديث الشريف في أول عهده .

جـ ( ) تمّت كتابة القرآن الكريم على العسب والرقاع وغيرها .

د ( ) كان جبريل عليه السلام يذاكر القرآن الكريم مع النبيّ ﷺ في كل سنة مرتين .

هـ ( ) استشهد يوم بئر معونة أربعون من حفظة القرآن الكريم .

٢ أذكر أربعة من الصحابة رضي الله عنهم الذين حفظوا القرآن غيباً زمن النبيّ ﷺ .

٣ أعدّد ثلاثة أسباب لعدم كتابة القرآن في مصحف واحد زمن النبيّ ﷺ .

٤ أعلل ما يأتي :

أ نهى رسول الله ﷺ أن يُكْتَب شيئاً غير القرآن الكريم .

ب أمر النبيّ ﷺ كُتّاب الوحي بكتابة القرآن الكريم، مع وجود الكثير من الحفظة .

الدرس
١٩

جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر الصديق ﵁

كُتب القرآن الكريم بين يَدي رسول الله ﷺ، فقد كان النبيّ ﷺ كلما نزلت عليه آية أو أكثر، أمر كتبة الوحي بكتابة هذه الآيات مرتبة، فكانت كلّ سورة في صحيفة أو أكثر.

وتوفي النبيّ ﷺ، ولم يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد، بل تمّ جمعه في عهد أبي بكر الصديق ﵁، فكيف تمّ جمعه؟، وما الأسباب التي دعت إلى جمعه في مصحف واحد؟.

سبب جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ﵁:

ارتدَّت كثير من القبائل العربية بعد وفاة النبيّ ﷺ، وبعضها رفض تأدية الزكاة؛ فجهَّز خليفة رسول الله ﷺ جيوشاً لحرب المرتدين دفاعاً عن عقيدة الإسلام، وكانت حرب أهل اليمامة سنة اثنتي عشرة للهجرة من أشدّ الحروب، واستشهد في هذه الغزوة سبعون حافظاً للقرآن الكريم؛ فخشي عمر الفاروق ﵁ أن يضيع القرآن الكريم باستشهاد حفظته، فدخل على أبي بكرٍ الصديق ﵁، وحدّثه في الأمر، ونصحه أن يجمع القرآن الكريم في مصحف واحد؛ فتردد أبو بكر ﵁ أول الأمر، وقال: كيف أفعل فعلاً لم يفعله رسول الله ﷺ؟، فظل الفاروق ﵁ يراجعه، حتى أقنعه بأنّ في ذلك مصلحة شرعيّة يحفظ بها كتاب الله من الضياع، وكان هذا هو السبب الذي دفع أبا بكر الصديق ﵁ إلى جمع القرآن الكريم.

طريقة جمع القرآن الكريم في عهد الصديق ﵁:

أرسل أبو بكر الصديق ﵁ إلى زيد بن ثابت ﵁، وكان من كتبة الوحي وحفظة القرآن الكريم، وكان ممّن شهد عرض رسول الله ﷺ للقرآن الكريم العرضة الأخيرة قبل وفاته، فحدثه في الأمر. قال زيد: أرسل أبو بكر ﵁ في طلبي إثر موقعة اليمامة، فإذا عمر ﵁ عنده، فقال أبو بكر ﵁: إنّ عمر ﵁ أتاني، فقال: إنّ القتل اسْتَحَر بقرّاء القرآن، وإنّي أخشى القتل بالقرّاء في المواطن؛ فيذهب كثير من القرآن، وإنّي أريد أن يؤمر بجمع القرآن، فقلت لعمر: كيف نفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ، قال عمر: هو -والله- خير، فلم يزل يراجعني، حتى شرح الله صدري لذلك، وقال: إنّك شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبعِ القرآن فاجمعه، فو الله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل مما أمراني به.

خطة زيد بن ثابت ﷺ في جمع القرآن الكريم:

وقد اتبع زيد بن ثابت في جمع القرآن الكريم طريقة دقيقة محكمة، قائمة على منهجية علمية ثابتة، تقوم على القواعد الآتية:

١ طلب مِنْ كلّ مَنْ كتبَ مِنَ القرآن شيئاً بين يديّ رسول الله ﷺ أن يأتي به، فقد أخرج أبو داود في سننه عن طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب، قال: قدم عمر، فقال: مَنْ كان تلقّى من رسول الله ﷺ شيئاً من القرآن فليأتِ به، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح، والعسب.[١]

٢ كان لا يقبل من أحد شيئاً، حتى يشهد شاهدان من الصحابة أنّه كتبه بين يدي رسول الله ﷺ، مع كون زيد، وعمر ﷺ حافظيْنِ للقرآن الكريم، ولكنّه كان يفعل ذلك مبالغةً في الاحتياط. أخرج أبو داود عن طريق هشام بن عروة عن أبيه قال: إنّ أبا بكر قال لعمر، وزيد: اقعُدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهديْنِ على شيء من كتاب الله فاكتباه.[٢]

٣ كان زيد ﷺ لا يقبل من أحد شيئاً إلا بعد سماع الشهود أولاً، ثمّ مقارنة ما كتب في الرقاع والعسب، بما هو محفوظ في صدور الحفظة من كتاب الله -عزّ وجلّ-، حتى جمعه وكتبه في مصحف واحد بين دفتين.

وظلّت هذه الصحف المكتوبة عند أبي بكر الصديق ﷺ حتى توفاه الله، ثمّ حفظت عند عمر ﷺ، حتى توفاه الله، ثم حفظت عند أمّ المؤمنين حفصة بنت عمر ﷺ إلى أن طلبها عثمان ﷺ.

وقد سمي القرآن الكريم بعد جمعه في عهد أبي بكر ﷺ بالمصحف، فبعد جمعه قال أبو بكر ﷺ: التمسوا له اسماً، فقال بعضهم: نسميه (السفر)، قال: ذلك اسم تسميه اليهود؛ فكرهوا ذلك، فقال بعضهم: (المصحف)؛ فإنّ الحبشة يسمون مثله (المصحف)؛ فاجتمع رأيهم على ذلك.

أسباب اختيار زيد بن ثابت ﷺ لمهمة جمع القرآن الكريم:

اختار الصديق ﷺ زيداً لجمع القرآن الكريم للأسباب الآتية:

١ إنّ زيداً ﷺ من كتبة الوحي.

٢ إنّه شهد العرضة الأخيرة للقرآن الكريم، وهي آخر تلاوة للقرآن الكريم قام بها الرسول ﷺ.

٣ إنّه شابٌّ يتصف بالقوة والجَلَد.

---

١ أخرجه أبو داود، كتاب المصاحف.

٢ أخرجه أبو داود، كتاب المصاحف.

٤ إنّه يتميز بالفطنة ورجاحة العقل .

٥ اتصافه بالتقوى والأمانة وحسن الخلق .

الفرق بين جمع القرآن زمن النبيّ ﷺ، وجمعه زمن أبي بكر رضي الله عنه:

يظهر الفرق بين جمع القرآن في زمن الرسول ﷺ وبين الجمع الثاني للقرآن الكريم زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في الأمور الآتية :

١ كان جمع القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ؛ بمعنى أنّ حَفَظة القرآن كانوا يحفظونه في الصدور، وكان كُتّاب الوحي يكتبونه بين يدي رسول الله ﷺ.

٢ كتابة القرآن الكريم في زمن النبيّ ﷺ كانت مفرّقة في عدة صحائف من الجلود وعسب النخل وغير ذلك من أدوات الكتابة على شكل مخطوطات متفرقة عند كتبة الوحي، فكانت الآيات مرتبة كما نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ، إذ كان يقول لكتبة الوحي ألحقوا هذه الآية أو الآيات بآيات كذا في سورة كذا .

٣ الجمع زمن أبي بكرٍ رضي الله عنه : كان يجمع لهذه الصحائف مرتبة الآيات والسور ويكتبها في مصحف بين دفتين بعد التأكد من موافقة المكتوب في الصحائف و المحفوظ في الصدور .

وقد استغرق جمع القرآن الكريم من زيد بن ثابت سنة كاملة، و بذلك ندرك مدى الجهد الكبير الذي بذله، و العمل الجليل الذي قام به الصحابة رضي الله عنهم في جمع القرآن الكريم، ومدى دقتهم وثباتهم وتوثيقهم في عملية الجمع، كيف لا و قد سخر الله تعالى رجالاً كأبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان وعلي و زيد رضي الله عنهم لحفظ القرآن الكريم، ويسر حفظه للمئات من الصحابة؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ .

■ مزايا جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكرٍ رضي الله عنه:

تميز جمع القرآن الكريم في زمن أبي بكر رضي الله عنه بالمزايا الآتية :

١ جمع القرآن على أدقّ وجوهِ البحث والتحري والتثبّت .

٢ حظي مصحف أبي بكر رضي الله عنه بإجماع الأمة عليه، وتواتر ما فيه منذ عصر الصحابة حتى عصرنا الحاضر، وقد نسبَ الفضل في ذلك إلى أبي بكر رضي الله عنه، فعن علي رضي الله عنه قال : أعظم الناس في المصاحف أجراً أبو بكر .[1]

١ أخرجه ابن سعد وأبو نعيم بسندٍ حسن، ينظر كنز العمال، جزء٢، صفحة ٥٧٢

وتجدر الإشارة إلى أنّ بعض الصحابة ﷺ كان لديهم صحفٌ فيها القرآن الكريم، لكنها لم تبلغ من الدقّة والتوثيق والتواتر والإجماع عليها، مثل: المصحف الذي جمعه أبو بكر ﷺ، فقد كان يشمل أيضاً وجوه قراءات القرآن الكريم للأحرف السبعة التي نزل بها الوحي. أما صحفهم فكانت تشمل إلى جانب الآيات الكريمة تفسيراً لبعض المفردات، مثل: إضافة كلمة العصر فوق كلمة الوسطى في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ البقرة: ٢٣٨.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأكتب في دفتري أمثلة أخرى لتفسير المفردات في مصاحف الصحابة غير التي ذكرت في الدرس.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) سبب جمع القرآن الكريم في عهد أبي بكر ﷺ اختلاف القراء في الأمصار.

ب ( ) أشار علي بن أبي طالب ﷺ على أبي بكر ﷺ أن يجمع القرآن الكريم.

جـ ( ) اعتمد زيد في جمع القرآن الكريم على ما كتبه كُتّاب الوحي فقط.

د ( ) اشترط زيد لقبول ما كتبه كُتّاب الوحي شهادة شاهد واحد أنهم كتبوا ذلك بين يدي رسول الله ﷺ.

٢ أوضّح السبب الذي دفع أبا بكر ﷺ على القيام بجمع القرآن الكريم.

٣ أبيّن السبب الذي دفع أبا بكر لاختيار زيد بن ثابت لمهمة جمع القرآن الكريم.

٤ قارن بين جمع القرآن في زمن أبي بكر الصديق وجمعه في عهد النبيّ ﷺ.

٥ أوضّح المنهجية العلميّة التي اعتمد عليها زيد ﷺ في عملية جمع القرآن الكريم.

٦ أقارن بين المصحف الذي جمعه الصديق ﷺ، وباقي الصحائف التي كانت عند أفراد الصحابة.

الدرس
٢٠

جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه

جُمع القرآن مرة ثالثة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه سنة ٢٥ هـ، وكان لهذا الجمع ظروفه وملابساته الخاصّة وأسبابه، نتعرف إليها في هذا الدرس:

سبب جمع القرآن:

كان سبب جمع القرآن الكريم في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه هو اختلاف أهل الأمصار والبلاد الإسلامية في القراءات القرآنيّة اختلافاً وصل إلى حد الخصومة، وقد كان لهذا الخلاف في القراءات أسبابه، **وأهم هذه الأسباب ما يأتي:**

١ تفرّق الصحابة رضي الله عنهم في البلدان في عهد عثمان رضي الله عنه، وحمل كلّ واحد منهم ما سمعه من رسول الله ﷺ، وقد يكون عند أحدهم من القراءات ما ليس عند غيره، وصار كل قارئ ينتصر لقراءته، ويخطِّئ قراءة غيره.

عن أنس رضي الله عنه «أنّ حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهل الشام في أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة. فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى، فأرسل إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف، ثم نردّها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّه إنما نزل بلسانهم، ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف ردّ عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كلّ أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سواه من القرآن في كلّ صحيفة أو مصحف أن يحرق.[1]

٢ عدم علم بعض الصحابة والتابعين أنّ القرآن الكريم أنزل على سبعة أحرف، وأنّ مَنْ قرأ على أيّ حرف منها فقد أصاب كما ورد في الحديث الصحيح أنّ جبريل جاء إلى النبيّ ﷺ فقال: «**إنّ**

١ أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب جمع القرآن.

الله يأمرك أن تقرأ أمّتُك القرآن على سبعة أحرف، فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا. [1]

٣ بُعْد كثير من الصحابة عن مركز الخلافة –المدينة المنورة– التي تعد حاضرة السنّة النبويّة، ومرجعاً يحسم فيه كلّ خلاف؛ لأنّ أهلها أعلم وأفهم بالسنّة والأحكام.

٤ عدم وجود مصحف إمام يرجعون إليه عند اختلافهم.

نتيجة هذه العوامل اشتدّ الخلاف بين القرّاء وتلاميذهم، وعظم الأمر فأفزع ذلك عثمان ﷺ، وخشي عواقب هذا الاختلاف السيئة في التقليل من الثقة بالقرآن الكريم وقراءاته الثابتة، وهو أساس عروة المسلمين ورمز وحدتهم الكبرى، فقاموا بمهمتهم خير قيام، وكتبوا المصاحف مرتبة السور والآيات على الوجه المعروف اليوم، فلما انتهوا أرسل عثمان ﷺ إلى كلّ بلد من البلدان المشهورة بمصحف؛ ليجتمع الناس في القراءة عليه تلافياً لما حدث في ذلك الوقت من الاختلاف والتنازع، وأمر بما سواها من المصاحف التي كانت عند أفراد من الصحابة أن يحرق.

قال علي ﷺ: «لو كنت الوالي وقت عثمان لفعلت في المصاحف مثل الذي فعل عثمان».

مزايا الجمع في عهد عثمان ﷺ:

فقد امتاز الجمع في عهد عثمان ﷺ بما يأتي:

١ الاقتصار فيه على حرف واحد هو حرف قريش.

٢ الاقتصار فيه على ما ثبت بالتواتر، وما استقر عليه الأمر في العرضة الأخيرة.

٣ ترتيب آياته وسوره على الوجه المعروف اليوم.

٤ نسخه من غير نَقْط ولا شكل.

٥ تجريده من كلّ ما ليس قرآناً؛ كالذي كان يكتبه بعض الصحابة في مصاحفهم شرحاً للمعنى، أو زيادة على وجه التفسير.

وقد قام عثمان ﷺ بنسخ المصاحف، وإرسالها إلى الأمصار والمدن الإسلاميّة، فأرسل مصحفاً إلى كلّ من مكة المكرمة والشام والكوفة والبصرة واليمن والبحرين، وأبقى مصحفاً في المدينة المنورة، وهذا المصحف في كلّ قطر يُعَدّ مرجعاً وحيداً لمنع الخلاف وحسم النزاع.

١ أخرجه مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب بيان أن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ﷺ للقرآن الكريم:

يختلف جمع أبي بكر ﷺ عن جمع عثمان ﷺ في أمرين:

١ **السبب:** فالسبب لدى أبي بكر ﷺ لجمع القرآن الكريم هو خشية ذهابه، أو ضياع شيء منه نتيجة لذهاب الحفظة واستشهادهم في المعارك حين كثر القتل فيهم. والسبب لدى عثمان ﷺ هو كثرة الاختلاف في وجوه القراءة، حين شاهد هذا الاختلاف عنده في المدينة المنورة، وفي البلدان البعيدة عنه، وخطّأ بعضهم بعضاً، فكان الغرض إطفاء الفتنة المشتعلة نتيجة هذا الاختلاف وجمع شمل المسلمين وتوحيد كلمتهم، والمحافظة على كتاب الله من التغيير والتبديل.

٢ **الكيفية:** اختلفت الكيفية زمن عثمان، عنها في زمن أبي بكر ﷺ **في الأمور الآتية:**

- جَمْعُ أبي بكر ﷺ للقرآن الكريم كان في مصحف واحد نقلاً لما كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب، وأمّا الجمع في عهد عثمان ﷺ فقد كان عبارة عن نقل ما في صحف أبي بكر ﷺ في مصحف واحد إمام، واستنساخ مصاحف منه ترسل إلى الآفاق الإسلاميّة.
- المصحف في عهد أبي بكر ﷺ كان مشتملاً على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، أمّا المصحف في عهد عثمان ﷺ فقد اقتصر على حرف واحد، وهو حرف قريش.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأكتب في دفتري مقالاً من عشرة أسطر أبيِّن فيه أهمية نسخ المصاحف زمن عثمان ﷺ.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) سبب جمع القرآن في عهد عثمان ﷺ خوفاً من ضياع شيء منه .

ب ( ) كان من أسباب اختلاف القرّاء في عهد عثمان ﷺ بُعدهم عن مركز المدينة المنورة .

جـ ( ) اشتمل القرآن في عهد عثمان ﷺ على الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم .

د ( ) جمع عثمان ﷺ القرآن الكريم من الصحف التي جمع أبو بكر ﷺ فيها القرآن، وكانت عند حفصة بنت عمر ﷺ .

٢ أبيّن أسباب الاختلاف في القراءات في عهد عثمان ﷺ .

٣ أذكر أسماء النفر الذين عهد إليهم عثمان ﷺ بجمع القرآن الكريم .

٤ أذكر مزايا الجمع في عهد عثمان ﷺ .

٥ أبيّن الفرق بين جمع أبي بكر وجمع عثمان ﷺ للقرآن الكريم من ناحية الكيفيّة .

الدرس

٢١

شبهات حول جمع القرآن الكريم والرد عليها

كان القرآن الكريم ولا يزال هدفاً لأعداء الإسلام يسددون إليه سهام المطاعن، ويتخذون من علومه مثاراً للشبهات، يلفقونها زوراً وكذباً ويزوّجونها ظلماً وعدواناً. ومن هذه الشبهات ما أثير حول جمع القرآن الكريم، وكان الهدف منها النيل من القرآن الكريم، ونزْع الثقة عنه، وخلخلة الإيمان به، حتى لا يبقى نصّ إلهيّ مصون من غير تغيير وتبديل أو زيادة ونقص.

ونورد فيما يأتي أهمّ هذه الشبهات، ونردّ عليها:

أولاً: شبهة الزيادة في سور القرآن الكريم:

قال أصحاب هذه الشبهة: إنّ في المصحف الذي بين أيدينا الآن ما ليس بقرآن، ويمثلون على ذلك بفاتحة الكتاب والمعوذتين، وحجّتهم في ذلك أنّ الصحابيّ عبد الله بن مسعود ﷺ أسقطها من مصحفه، ومن ثمّ أنكرها كقرآن.

الرد على هذه الشبهة:

١ عدم صحة النقل، فإنّ ما نُسب إلى ابن مسعود ﷺ غير صحيح؛ أي لم ينقل عنه برواية صحيحة، وهو مخالف لما أجمعت عليه الأمة الإسلامية من أنّ الفاتحة والمعوذتين من القرآن الكريم.

٢ استحالة حصول هذا الأمر من صحابيّ جليل كعبد الله بن مسعود، وهو الذي صاحب رسول الله ﷺ، وشهد نزول الوحي، وهو الأعلم من غيره بالقرآن الكريم. وقد ورد في الحديث الصحيح أنّ رسول الله ﷺ أمر بقراءة المعوذتين في الصلاة[1]. فهل يُعقل أن يخفى ذلك على ابن مسعود ﷺ. أمّا القول بإنكاره الفاتحة فهو أشدّ غرابة، فهي أمّ الكتاب، وتُكرر في كلّ ركعة من ركعات الصلاة، على لسان كلّ مسلم، فحاشا لابن مسعود أن يكون قد خفي عليه قرآنيتها، فضلاً عن إنكاره إياها.

١ أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبد الله بن مسعود.

ثانياً: شبهة النقص في القرآن الكريم:

قال أصحاب هذه الشبهة: إنّ المصحف الذي بين أيدينا الآن فيه نقص، وهناك آيات أنزلت على رسول الله لم تكتب فيه، واستدلوا على ذلك بما جاء في الحديث الصحيح عن عائشة ﵂ قالت: «كانَ النبيُّ ﷺ يَسْتَمِعُ قِرَاءَةَ رَجُلٍ في الْمَسْجِدِ. فَقَالَ: رَحِمَهُ اللهُ لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُهَا»[1].

الرد على هذه الشبهة:

١ النسيان جائز على رسول الله ﷺ فيما لا يخل بالتبليغ، وهذه الآية التي نسيها الرسول ﷺ كان قد حفظها من قبل، واستكتبها كُتّاب الوحي، وحفظها عدد كبير من الصحابة ﵃ في صدورهم، فنسيان الرسول ﷺ المؤقت لها لا يؤثر في تبليغه، حيث إنّ التبليغ قد تمّ، وكتبها الكُتّاب وحفظها الحفّاظ، فلا يؤثر ذلك في دقّة جمع القرآن.

٢ هذا الحديث لا يدلّ على أنّ الآيات التي سمعها رسول الله ﷺ قد مُسحت من ذهنه تماماً، بل يفيد أنّها كانت غائبة عنه، ثم ذكرها، وحضرت في ذهنه بقراءة الصحابيّ لها. وغيبة الشيء عن الذهن غير محوه منه، بدليل أنّ الحافظ لأيّ نصّ من النصوص يغيب عنه هذا النص إذا اشتغل ذهنه بغيره، بينما هو مخزون في حافظته يمكنه استحضاره إذا أراد. فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ القرآن الكريم كانت تتمّ مدارسته مع جبريل ﵇، أدركنا أنّ هذا النسيان كان مؤقتاً، أو أنّه مجرد غيبة للذهن. قال رسول ﷺ: «**إنّ جبريل كان يعارضني القرآن كل سنّة مرة، وإنه عارضني العام مرتين و لا أراه إلا حضر أجلي**»[2].

ثالثاً: شبهة تحريف القرآن وتبديله من الصحابة:

وهذه الشبهة مصدرها في الغالب مجموعة من غلاة الشيعة، الذين وجهوا أصابع الاتهام لأبي بكر وعمر وعثمان ﵃ بأنهم حرّفوا القرآن الكريم، وأسقطوا بعض آياته وسوره.

ومن أقوالهم الآتي:

- إنّ سورة الأحزاب كانت في طولها مثل سورة الأنعام، وأسقطوا منها فضائل آل البيت.
- إنّ هناك سورة تسمى سورة الولاية كانت في القرآن، ثمّ أسقطت بتمامها.

---

١ أخرجه البخاريّ. كتاب فضائل القرآن، باب نسيان القرآن.

٢ أخرجه البخاريّ. كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ.

- إنّ قوله تعالى: (أمّة هي أربى من أمة) في سورة النحل ليس كلام الله، بل هو محرّف عن موضعه، وحقيقة المنزل: (أئمة هي أزكى من أئمتكم).
- إنّ الصحابة أسقطوا لفظ (بعلي بن أبي طالب) من بعد (وكفى الله المؤمنين القتال).

■ الرد على هذه الشبهة:

١ هذه اتهامات لا دليل لها، ولم تثبت بأسانيد صحيحة، اتُّهم بها الصحابة ﷺ، زوراً وبهتاناً، بقصد تشويه صورتهم النقية، وهي تنمّ عن الحقد والضغينة.

٢ إنّ بعض علماء الشيعة أنفسهم تبرؤوا من هذه الاتهامات، واعتبروا القول بها سخفاً لا قيمة له، ومنهم: الطبرسيّ، وهو من علماء الشيعة المفسّرين، وصاحب تفسير (مجمع البيان في تفسير القرآن)، حيث أنكرها جملة وتفصيلاً.

٣ قيام التواتر على أنّ الموجود بين دفتَي المصحف هو القرآن الكريم من غير زيادة ولا نقصان ولا تغيير ولا تبديل.

٤ لو كانت ادّعاءات التحريف صحيحة، لكان أول ما فعله علي بن أبي طالب ﷺ بعد استلام الخلافة، هو تصحيح ما حرّفه الخلفاء من قبله. ولكنه لم يفعل شيئاً من هذا، ولم يثبت عنه أنّه اتّهم أحداً منهم أنّه حرّف أو غيّر شيئاً من القرآن. بل إنّه ﷺ كان أول المشاركين في جمع القرآن، ومدَح القائمين عليه.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأكتب في دفتري مقالاً أبين فيه الرد على الشبهات التي أثارها المستشرقون حول جمع القرآن الكريم ونسخه.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) ثبت أنّ الصحابيّ عبد الله بن مسعود قد أنكر أن تكون الفاتحة من القرآن الكريم .

ب ( ) يعتقد بعض غلاة الشيعة أنّ القرآن الكريم الذي بين أيدينا فيه بعض السور والآيات المحرّفة .

جـ ( ) شارك علي بن أبي طالب ﷺ في جمع القرآن الكريم .

د ( ) إنكار شيء من القرآن دليل على كفر منكره وإلحاده .

٢ أبيّن معنى النسيان في قوله ﷺ : «**رَحِمَهُ اللهُ، لَقَدْ أَذْكَرَنِي آيَةً كُنْتُ أُنْسِيتُها**» .

٣ أوضّح الهدف من الشبهات التي أثيرت حول جمع القرآن الكريم .

٤ من الشُبَه التي أثارها بعض غلاة الشيعة ادعاؤهم بوجود سورة في القرآن تسمى سورة الولاية، ولكنها أسقطت . أناقش هذه الشبهة، وأردّ عليها .

الدرس
٢٢

الآيات والسور في القرآن الكريم: معناها وترتيبها

القرآن الكريم عبارة عن مجموعة من السور الكريمة، وعددها مئة وأربع عشرة سورة، وكلّ سورة تتكون من مجموعة من الآيات الكريمة. فما معنى الآية، وما معنى السورة؟

الآية:

أولاً: معنى الآية لغة واصطلاحاً:

تطلق الآية في اللغة على عدة معانٍ، منها:

١ **العلامة:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ٢٤٨؛ أي علامة ملكه.

٢ **العبرة والعظة:** قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ﴾ الشعراء: ٨.

٣ **المعجزة:** قال تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ﴾ البقرة: ٢١١؛ أي معجزة ظاهرة.

٤ **الدليل والبرهان:** قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: ١٩٠؛ أي برهاناً ودليلاً لأصحاب العقول.

الآية في الاصطلاح: هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن لها مطلع ومقطع.

ثانياً: ترتيب الآيات في القرآن الكريم أمر توقيفيّ تلقّاه رسول الله ﷺ من جبريل عليه السلام وأجمع عليه علماء الأمة:

فقد كان جبريل عليه السلام يتنزل بالآيات على رسول الله ﷺ، ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول ﷺ كتبة الوحي بكتابتها في موضعها، ويقول لهم: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا أو كذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، كما بلّغها أصحابه كذلك، والدليل على ذلك ما يأتي:

١ ما ورد عن ابن الزبير أنّه قال: «قلت لعثمان: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ البقرة: ٢٣٤، قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟، قال: يا بن أخي، لا أُغَيِّر شيئًا من مكانه»[1].

---

١ أخرجه البخاري، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ . . .﴾.

٢ عن عمربن الخطاب ﷺ قال: ما سألت النبي ﷺ عن شيء أكثر مما سألته عن الكلالة، حتى طعن بأصبعه في صدري، وقال: «**تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء**»[١].

٣ ما ورد عن عثمان بن أبي العاص ﷺ قال: «كنت جالساً عند رسول الله ﷺ إذ شَخَصَ ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ النحل: ٩٠ إلى آخرها». [٢]

٤ وقوف عثمان بن عفان ﷺ في جمع القرآن عند موضع كلّ آية من سورتها في القرآن، لا يغيّرها من موضعها.

٥ قراءة رسول الله ﷺ لسور عديدة بترتيب آياتها في الصلاة، أو في خطبة الجمعة؛ كسور البقرة وآل عمران والنساء.

■ ثالثاً: معنى السورة لغة واصطلاحاً:

- **السورة لغة**: مشتقة من السور وهو البناء المرتفع الذي يحيط بالبنيان، وسميت السورة بهذا الاسم؛ لسموها ورفعتها وإحاطتها بالآيات كإحاطة السور بالبنيان.
- **والسورة في الاصطلاح**: تطلق على مجموعة الآيات القرآنيّة التي لها فاتحة وخاتمة.

■ رابعاً: ترتيب السور في القرآن الكريم:

ذكر العلماء في ترتيب السور في القرآن الكريم أقوالاً، أهمها:

- **القول الأول**: إنّه توقيفيّ شأنه في ذلك شأن الآيات القرآنيّة-وهو قول الجمهور من العلماء- تولاه النبيّ ﷺ، كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن في عهد النبيّ ﷺ مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه؛ ما يدل على عدم المخالفة والإجماع عليه.

والدليل على ذلك:

١ أنّ رسول الله ﷺ قرأ بعض السور مرتبة في صلاته على الترتيب الذي عليه القرآن الكريم.

٢ قول الرسول ﷺ: «**اقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران**»[٣] فالنبيّ ﷺ ذكر السورتين على ترتيبهما في المصحف الشريف.

---

١ أخرجه مسلم، كتاب الفرائض، باب ميراث الكلالة.
٢ أخرجه أحمد في مسنده، مسند عثمان بن أبي العاص.
٣ أخرجه مسلم، باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة.

- **القول الثاني**: إنّ ترتيب السور القرآنيّة تمّ باجتهاد من الصحابة ﷺ بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب؛ فقد كان مصحف عليّ ﷺ مرتباً حسب النزول، أوله: اقرأ، ثم المدثر، ثم (ن والقلم)، ثم المزمل وهكذا... إلى آخر المكّيّ والمدنيّ. وكان أول مصحف ابن مسعود ﷺ: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وهذا القول يتعارض مع صحيح الروايات التي تدل على أنّ ترتيب كثيرٍ من سور القرآن الكريم توقيفيّ، إضافة إلى أنّ الصحابة ﷺ قاموا بحرق مصاحفهم الخاصّة بهم عن رضا وطواعية، وذلك بعد نسخ المصحف في عهد عثمان بن عفان ﷺ.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأكتب في دفتري أدلة أخرى حول ترتيب السور في القرآن الكريم.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الآية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ تعني المعجزة

ب ( ) من معاني الآية في اللغة العلامة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ﴾.

جـ ( ) ترتيب الآيات في القرآن الكريم أمر اجتهادي.

د ( ) آية الصيف وردت في آخر سورة آل عمران.

٢ أذكر دليلين على أنّ ترتيب الآيات في القرآن الكريم أمر توقيفيّ.

٣ أبيّن معنى السورة في الاصطلاح.

٤ بمَ استدلّ العلماء على أنّ ترتيب السور في القرآن الكريم تمّ باجتهاد الصحابة.

٥ أعلّل: سبب تسمية سور القرآن الكريم بهذا الاسم.

الدرس
٢٣

رسم المصحف الشريف ونقطه وشكله

تلقت الأمة الإسلامية منذ عهد عثمان ﷺ الرسم القرآنيّ بالقبول، وتواتر هذا الرسم عبر الأجيال، وجرى العمل وفقه حتى يومنا هذا. وعرف بالرسم العثمانيّ نسبة إلى عثمان بن عفان ﷺ.

الرسم العثمانيّ:

التزم الكتبة الرسم العثمانيّ بأمر من عثمان ﷺ، فقد أمر زيداً ﷺ ومعه القرشيون الثلاثة بقوله: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنّه إنّما نزل بلسانهم». لذلك وجب على المسلمين أن يحافظوا على هذا الرسم الإملائيّ للمصحف؛ لأنّ في ذلك ضمانة قوية لصيانته من التغيير والتبديل.

قال البيهقيّ في شعب الإيمان: «مَنْ كتب مصحفاً فينبغي له أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنّهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظنّ بأنفسنا استدراكاً عليهم»[1].

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ رسم حروف المصحف أمرٌ اصطلح عليه صحابة رسول الله ﷺ. فلا يقال: لماذا كتبت كلمة (الربوا) بالواو والألف ولم تكتب دون واو؟، ولماذا كتبت (مائة) بزيادة ألف؟، ولماذا كتبت كلمة (سموات) دون ألف بعد حرف الميم مثلاً؟، فالجواب أنّ هذه الكتابة لا يصحّ تغييرها بحجة تسهيل القراءة على المتعلمين. فبعض الكلمات مثلاً عند تجريدها من النقط والشكل يمكن أن تقرأ على وجهين، كقوله تعالى: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ الحجرات: ٦، يمكن أن تقرأ (فتثبتوا)، وكلمة (ننشزها) بالزاي يصح أن تقرأ (ننشرها) بالراء، وهي قراءة واردة؛ ولذلك فإن الرسم القرآني يتحمل القراءتين الصحيحتين.

فوائد الرسم العثماني:

للرسم العثماني عدة فوائد منها:

١ معرفة الوجوه المختلفة للقراءات؛ كالرسم العثماني في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ الفاتحة: ٤، فتُقرأ بالألف (مالك) وتقرأ دون ألف (ملك).

---

١ البيهقي، شعب الإيمان، فصل في إفراد المصحف للقرآن وتجريده فيه عما سواه، (٢/ ٥٤٦).

٢ معرفة أصل الحركة؛ ككتابة الكسرة ياء في قوله تعالى: ﴿وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ النحل: ٩٠، أو للدلالة على أصل الحرف، ككتابة (الصلوة) و(الزكوة)؛ إذ إنّ أصل صلّى صلو، وأصل زكّى زكو.

تنقيط المصحف وتشكيله:

كانت المصاحف العثمانية خالية من النقط والشكل، إذ إنّ السليقة العربية السليمة التي تميز بها العرب لا تحتاج إلى الشكل بالحركات أو النقط. ولما اختلط العرب بالعجم فسد اللسان العربيّ، ورأى أهل الرأي وجوب شكله وتنقيطه؛ إذ إنّ بقاءه دون شكل وتنقيط يحتمل اختلافاً في القراءة بين الياء أو التاء، والباء أو النون وغيرهما من الاختلافات خاصّة عند غير العرب.

وبقي الناس يقرؤون القرآن الكريم دون شكل أو نقط حتى خلافة عبد الملك بن مروان سنة ٦٥ هـ، فخاف أن يتطرق التحريف إلى النصّ القرآنيّ إذا ظلت المصاحف دون تشكيل وتنقيط، فأمر بتشكيله وتنقيطه.

وقد مر التشكيل والتنقيط للمصحف العثماني في ثلاث مراحل، هي:

- **أولاً**: قام أبو الأسود الدؤلي بأمر من علي ﷺ بتشكيل المصحف الشريف، فقد سمع أعرابياً يقرأ قول الله تعالى: (**إنّ الله بريء من المشركين ورسولِه**)، حيث جَرّ حرف اللام في قوله: ورسوله، وهذا يعني أنّ الله تبرّأ من المشركين ورسول الله ﷺ، مع أنّ القراءة الصحيحة فتح حرف اللام في قوله: (ورسولَه)؛ أي عطف كلمة (رسولَه) على لفظ الجلالة «الله». والمعنى أنّ الله تبرأ من المشركين، وكذلك تبرأ منهم رسول الله ﷺ، فذهب أبو الأسود الدؤلي إلى والي البصرة، وكان قد أشار عليه أن يجعل للقرآن الكريم علامات يُعرف بها، فجعل أبو الأسود الدؤلي علامة الفتحة نقطة فوق الحرف، وعلامة الكسرة نقطة أسفله، وجعل علامة الضمة نقطة بين أجزاء الحرف، وجعل علامة السكون نقطتين.

  وروي أيضاً أنّ عبد الملك بن مروان طلب من الحجاج أن يختار مَنْ يقوم بنقط القرآن وشكله، فأمر الحجاجُ نصرَ بن عاصم ويحيى بن يعمر أن يضعا علامات على الحروف المتشابهة، مثل: (الجيم والحاء)، و(الدال والذال)، (العين والغين)، وغيرها من الحروف.

- **ثانياً**: قام الخليل بن أحمد بوضع إشارات غير التي وضعها أبو الأسود ونصر بن عاصم، فقد وضع بدل الفتحة شكلة مستطيلة فوق الحرف، والكسرة شكلة مستطيلة تحت الحرف، والضمة واو

صغرى، وبدل التنوين شكلتين مستطيلتين علامة على تنوين الفتح، وضمتين صغيرتين بدل تنوين الضم، والألف المحذوفة محلها ألف حمراء.

- **ثالثاً**: في القرن الثالث الهجريّ أجاد العلماء في رسم المصحف وحسّنوا فيه، وتنافسوا في اختيار الخطوط الجميلة، وابتكار العلامات المميزة، فجعلوا للحرف المشدد علامة كالقوس، ولألف الوصل جرَّة فوقها أو تحتها، ثم وضعوا أسماء السور، وعدد الآيات القرآنيّة، والرموز التي تشير إلى آخر الآيات، وعلامات الوقف اللازم والجائز والممنوع، وغير ذلك من العلامات.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأكتب في دفتري فائدة أخرى من فوائد الرسم العثماني.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يجوز كتابة المصحف الشريف بغير الرسم العثماني.

ب ( ) أول مَنْ وضع النقط على القرآن الكريم هو الخليل بن أحمد.

جـ ( ) طلب الحجاج بن يوسف من نصر بن عاصم أن ينقط القرآن الكريم.

د ( ) منذ أن أمر عثمان بن عفان بنسخ المصحف كانت المصاحف بغير شكل ولا تنقيط.

٢ أعلل: لم يكن الصحابة رضي الله عنهم بحاجة إلى تنقيط القرآن.

٣ أفسّر السبب الذي دعا المسلمين إلى تنقيط القرآن الكريم.

٤ أبيّن المراحل التي تمّ فيها تنقيط القرآن وتشكيله.

٥ أذكر فائدتين للرسم العثمانيّ.

الوحـــدة

٤

تفسير القرآن الكريم

الدرس

٢٤

نشأة علم التفسير وتطوره

جرت سنّة الله تعالى أن يرسل كلّ رسول بلسان قومه؛ لتسهل مخاطبتهم ودعوتهم إلى الله؛ قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمۡۖ ﴾ إبراهيم: ٤ .

وبما أنّ رسول الله محمداً ﷺ عربيّ، فإنّ الكتاب الذي أنزل عليه جاء بلسان عربيّ؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ يوسف: ٢ .

وفي هذا الدرس نتحدث عن نشأة علم التفسير وتطوره، وعن معنى التفسير والتأويل، والفرق بينهما .

أولاً: كيف نشأ علم التفسير؟

أنزل الله كتابه الكريم؛ ليكون دستوراً للمسلمين ومنهاجاً يسيرون عليه في حياتهم، فيصبحون سادة وقادة للأمم جميعاً عن طريق التزامهم بهدي القرآن الكريم ونُظُمه الحكيمة .

ومن هنا توجّب على المسلمين فهم القرآن وتدبّره، والوقوف على ما حوى من نصح وإرشاد، وذلك لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدلّ عليه آيات القرآن الكريم، وهو ما نسميه (علم التفسير) .

وقد مر تفسير القرآن الكريم بمراحل عديدة، هي:

١ تفسير القرآن في عهد النبيّ ﷺ .

٢ تفسير القرآن الكريم في عهد الصحابة .

٣ تفسير القرآن الكريم في عهد التابعين .

٤ **تدوين التفسير كجزء من أبواب الحديث النبويّ**، وذلك في أواخر عهد بني أميّة وأوائل عهد العباسيين، حيث كان التفسير باباً من أبواب الحديث النبويّ، ولم يفرد له تأليف خاصّ يفسّر القرآن الكريم سورة سورة، وآية آية من أوله إلى منتهاه .

٥ **إفراد التفسير بالتأليف**: حيث أصبح التفسير علماً قائماً بذاته؛ منفصلاً عن الحديث الشريف، فَفُسِّرَ القرآن الكريم جميعه حسب ترتيب المصحف، ومن أشهر مَنْ فعل ذلك: محمد بن جرير الطبريّ المتوفى سنة ٣١٠ هـ .

٦ **مرحلة التوسُّع في تفسير القرآن الكريم**: اتسعت العلوم في هذه المرحلة، واختلطت العلوم العقليّة بالنقليّة، وحرص كلّ متخصص بعلم معين على إظهاره في تفسيره، **ومن أمثلة ذلك**:

- الإمام فخر الدين الرازيّ في كتابه (مفاتيح الغيب)؛ إذ توسّع في بيان أقوال علماء الكلام والفلاسفة.
- الإمام القرطبيّ في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن)؛ إذ اعتنى بإظهار الفروع الفقهيّة والأحكام الشرعيّة.
- الزمخشريّ في تفسيره (الكشاف)؛ إذ اهتم ببيان وجوه البلاغة في القرآن الكريم.

٧ **التفسير المعاصر للقرآن الكريم**: ظهرت في عصرنا مجموعة من التفاسير المعاصرة التي اهتمّ أصحابها بحاجات العصر، وتناولوا في تفاسيرهم الكشف عما تضمنه القرآن الكريم من أسس الحياة الاجتماعيّة، ومبادئ التشريع، وطرق الإصلاح لأحوال المسلمين، مثل: تفسير المنار لمحمد رشيد رضا، وفي ظلال القرآن للشهيد سيد قطب.

ثانياً: معنى التفسير والتأويل:

التفسير في اللّغة: هو الإيضاح والتبيين؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ الفرقان: ٣٣؛ أي بياناً وتفصيلاً؛ فقولنا: فسَّر بمعنى بيّن ووضّح، وكلام مفسَّر؛ أي واضح ظاهر.

أمّا التفسير في الاصطلاح فهو: علم يعرف به فهم كتاب الله تعالى، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكمه.

والتأويل في اللّغة: مأخوذ من (الأَوْل) بمعنى الرجوع، نقول: آل إليه أولاً ومآلاً: رجع.

والتأويل اصطلاحاً له معنيان:

- **الأول**: التأويل بمعنى التفسير، فهما مترادفان.
- **الثاني**: صرف الكلمة عن معناها الظاهر إلى معنى آخر لدليل يدل على ذلك؛ فقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ النصر: ١ - ٣، فهمَ منها علماء الصحابة أنّ المراد بالفتح (فتح مكة)، وهو المعنى الظاهر، وفهمَ ابن عباس رضي الله عنهما قُرب أجل النبيّ ﷺ، قال ابن عباس: يقول الله له: «إذا جاء نصر الله والفتح فقد اقترب أجلك فسبح بحمد ربك واستغفره»[1] ففهم الصحابة من باب التفسير، وفهم ابن عباس من باب التأويل.

١ رواه أحمد بن حنبل في المسند، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

ثالثاً: الفرق بين التفسير والتأويل:

ذكر العلماء فروقاً بين التفسير والتأويل، أهمها:

١ أنّ التفسير ما كان مبيناً في القرآن الكريم، أو في صحيح السنّة؛ لأنّ معناه ظهر وبان، والتأويل ما استنبطه العلماء من النصوص؛ كاستنباطهم الأحكام الشرعيّة وأسرار البلاغة.

٢ أنّ التفسير أكثر ما يستعمل في الألفاظ والمفردات، كأن يقول المفسِّر: (العِهن): معناه الصوف. والتأويل أكثر ما يستعمل في الجمل والتراكيب؛ كتأويل قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾ على أنّه القرآن الكريم والسنّة النبويّة.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن الكريم، وأمثل الفرق بين التفسير والتأويل.

التقويم

١ أعرّف التأويل اصطلاحاً.

٢ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) أُفرد التفسير بالتدوين في عهد الصحابة رضي الله عنهم.

ب ( ) تفسير أحكام القرآن للقرطبيّ يهتم بالنواحي البلاغية.

جـ ( ) من أشهر التفاسير المعاصرة تفسير في ظلال القرآن للشهيد سيد قطب.

د ( ) التفسير في اللّغة معناه البيان والتوضيح.

هـ ( ) يطلق التأويل بمعنى التفسير.

٣ أعدّد المراحل التي مر بها تفسير القرآن الكريم.

٤ أقارن بين التفسير والتأويل.

٥ أمثل بكتابين في التفسير يمثلان مرحلة التوسع في تفسير القرآن الكريم.

الدرس
٢٥

التفسير في عهد النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

تكفّل الله -عزّ وجلّ- بحفظ القرآن الكريم وبيانه؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ القيامة: ١٧-١٩.

أولاً: التفسير في عهد النبيّ ﷺ:

كان النبيّ ﷺ يفهم معاني القرآن الكريم جملة وتفصيلاً، وبيّن لأصحابه ما يحتاجون لبيانه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤، فهذه الآية تبين أنّ النبيّ ﷺ مكلف ببيان معاني القرآن الكريم، فكان الصحابة يلجؤون إليه فيما يشكل عليهم من معانٍ، ومن أمثلة ذلك:

- **المثال الأول**: عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لمّا نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ الأنعام: ٢٨، شقّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسول الله، وأيّنا لا يظلم نفسه؟، قال: إنّه ليس كما تظنّون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ لقمان: ٣١، إنّما هو الشرك)[١].
- **المثال الثاني**: عن أنس رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **(الكوثر نهر أعطانيه ربّي في الجنة)**[٢].

ومن القرآن ما لا يُعلم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ؛ كتفصيل وجوه أمره ونهيه وبيان مقادير ما فرضه الله تعالى من أحكام؛ كالصلاة والزكاة فيما أطلق عليه (وجوه بيان السنّة للقرآن الكريم).

أوجه بيان السنّة للقرآن:

١ **تفصيل المجمل**: فقد جاء في القرآن الكريم الأمر بالصلاة من غير تفصيل؛ فقام النبيّ ﷺ بصلاته وتعليمه للمسلمين ببيان أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها، وقال: **(صلّوا كما رأيتموني أصلّي)**[٣].
وفرض الله الحج من غير تفصيل لمناسكه، فبين الرسول ﷺ كيفيته، وقال: **«خذوا عني مناسككم»**[٤].

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، باب قوله تعالى ولم يلبسوا إيمانهم بظلم.
٢ أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال: إن البسملة آية.
٣ أخرجه البخاريّ، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافرين.
٤ أخرجه مسلم، كتاب الحج، باب استحباب رمي جمرة العقبة.

وفرض الله الزكاة على المسلمين من غير أن يبين ما تجب فيه من أموال وعروض وزروع، ومن غير بيان النصاب الذي تجب فيه الزكاة من تلك الأموال، فبينت السنّة ذلك كله.

٢ **تخصيص العام**: ومن ذلك ما ورد في بيان قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾ النساء: ١١، فهذا حكم عام جاءت السنّة النبويّة وخصّت الوارث بغير القاتل، بقوله ﷺ: «**لا يرث القاتل**»[1].

٣ **تقييد المطلق**: كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا ﴾ المائدة: ٣٨؛ فالآية الكريمة لم تعين موضعاً خاصاً في قطع اليد؛ إذ تطلق اليد على الكف وعلى الساعد وعلى الذراع، ولكنّ السنّة بيّنت هذا وقيّدت القطع بأن يكون من الرسغ.

■ ثانياً: التفسير في عهد الصحابة ﷺ:

كان الصحابة ﷺ يفهمون القرآن من حيث الجملة؛ لأنّه نزل بلغتهم، وإن كانوا لا يفهمون جميع دقائقه وتفاصيله، وكانوا يتفاوتون في الفهم، وقد يغيب عن واحد منهم ما لا يغيب عن الآخر.

عن أنس ﷺ أنّ عمر بن الخطاب ﷺ قرأ على المنبر: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ عبس: ٣١. فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبّ؟، ثم رجع إلى نفسه، فقال: إنّ هذا هو التكلّف يا عمر.

وعن مجاهد عن ابن عباس ﷺ قال: كنت لا أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بئر، فقال أحدهما: أنا فطرتها؛ أي ابتدأتها.

■ تفاوت الصحابة في فهم القرآن الكريم:

لم يكن الصحابة الكرام ﷺ على درجة واحدة في فهم معاني القرآن الكريم، بل تفاوتت مراتبهم، وأُشكل على بعضهم ما ظهر للآخر، **وهذا يرجع إلى للأسباب الآتية**:

١ **اختلافهم في أدوات الفهم**: فقد كانوا يتفاوتون في العلم باللّغة، فمنهم مَنْ كان واسع الاطلاع فيها، ملمّاً بغريبها، ومنهم دون ذلك.

٢ **ملازمتهم للرسول ﷺ**: فمنهم مَنْ كان ملازماً له؛ فيعرف من أسباب النزول ما لا يعرفه غيره.

٣ **تفاوتهم في القدرات العقليّة**: فالصحابة لم يكونوا في درجتهم العلميّة ومواهبهم العقليّة سواء، بل كانوا متفاوتين في ذلك، شأنهم شأن باقي البشر.

---

١ أخرجه الترمذيّ، كتاب الفرائض، باب ما جاء في إبطال ميراث القاتل.

ميزات التفسير في هذا العصر:

تميز التفسير في عصر الصحابة بالميزات الآتية :

١ لم يفسَّر القرآن جميعه، وإنّما فسِّر بعض منه، وهو ما غمض فهمه، وهذا الغموض يزداد كلما بَعُد الناس عن عصر النبيّ ﷺ، فكان التفسير يتزايد تبعاً لتزايد هذا الغموض إلى أن تمّ تفسير آيات القرآن الكريم جميعاً.

٢ قلّة الاختلاف بين الصحابة في فهم معاني القرآن بالنسبة للاختلاف الذي ظهر بعدهم.

٣ الاكتفاء بالمعنى الإجماليّ، وعدم البحث عن المعاني التفصيليّة، فكان يكفي أن يفهموا من مثل قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾ عبس: ٣١، أنّه تعداد لنعم الله تعالى على عباده، وإن لم يفهموا المعنى الحرفيّ للأبّ.

٤ الاقتصار على توضيح المعنى الذي فهموه بأخصر لفظ، فيكفي أن يعبِّروا عن معنى قوله تعالى: ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ﴾ المائدة: ٣؛ غير متعرض لمعصية، فإن زادوا على هذا الاختصار فما عرفوه من أسباب النزول.

٥ لم يدوَّن شيء من التفسير في هذا العصر؛ لأنّ التدوين لم يكن إلا في القرن الثاني الهجري، إلا ما أثبته بعض الصحابة من تفسير قليل في مصاحفهم.

٦ اتخذ التفسير في هذا العصر شكل رواية الحديث الشريف، بل كان جزءاً منه وفرعاً من فروعه، ولم يتخذ التفسير شكلاً منظماً، بل كانت هذه التفسيرات تروى منثورة لآيات متفرقة، كما كان الشأن في رواية الحديث؛ فحديث صلاة بجانب حديث جهاد، بجانب حديث ميراث، بجانب حديث في تفسير آية . . . وهكذا.

ومن أشهر الصحابة في علم التفسير الخلفاء الراشدون الأربعة، وعبد الله بن عباس، وعبد الله بن مسعود، ، وأبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعريّ رضي الله عنهم، وغيرهم.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب التفسير، وأكتب في دفتري تفسير قوله تعالى: ﴿ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴾.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) كان الصحابة ﷺ يفهمون كلّ معاني آيات القرآن الكريم دون الحاجة إلى بيان من الرسول ﷺ.

ب ( ) تفاوت الصحابة ﷺ في فهم القرآن الكريم.

جـ ( ) كان النبيّ ﷺ يوضح المعاني المجملة في القرآن الكريم؛ كبيان أحكام الصلاة والحجّ.

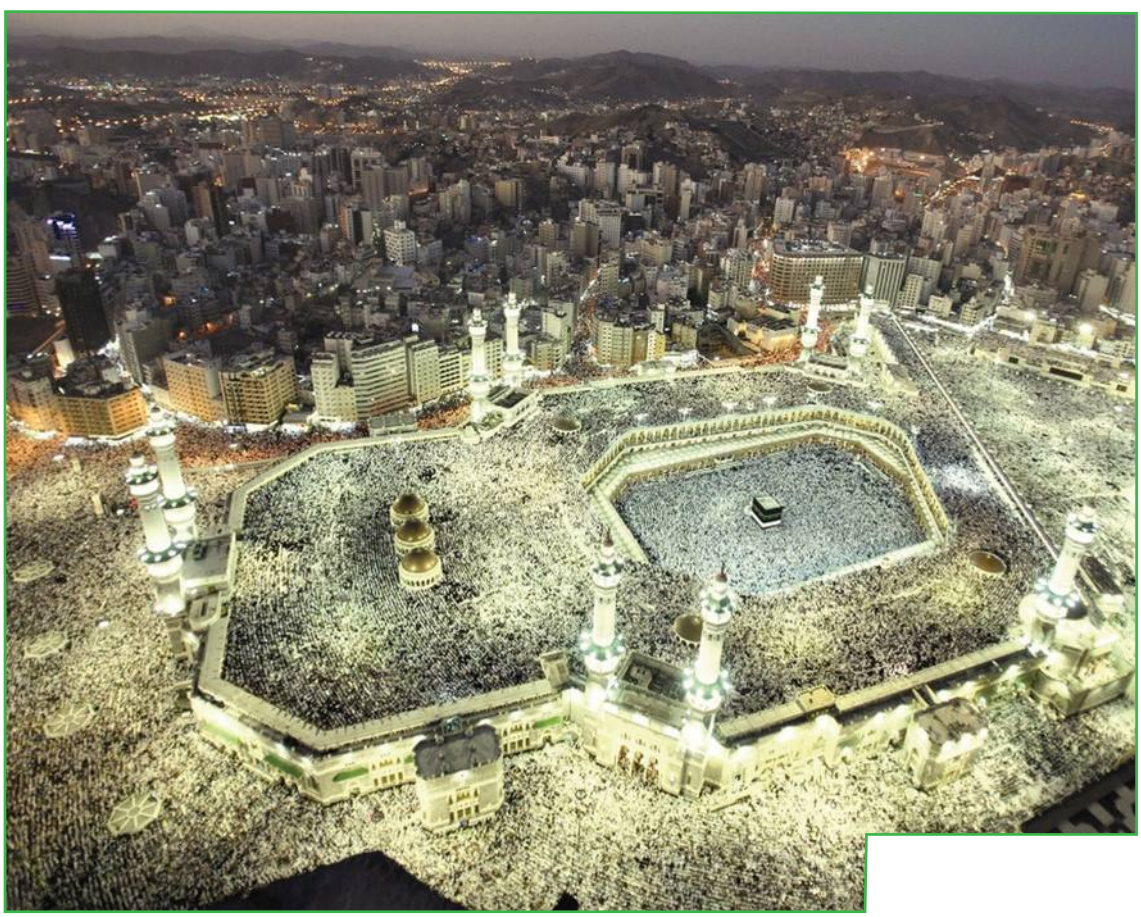
د ( ) من أشهر الصحابة في التفسير ابن عباس ﷺ.

٢ أذكر ثلاث ميزات للتفسير في عصر الصحابة ﷺ.

٣ أوضّح أسباب تفاوت الصحابة في تفسير القرآن الكريم.

٤ أمثّل بمثالين على أنّ السنّة النبويّة قيّدت المطلق الوارد في القرآن الكريم، وخصّصت عامّه.

الفصل الدراسي الثاني



الدرس
٢٦

التفسير في عصر التابعين

انتهت المرحلة الأولى للتفسير بانتهاء عهد الصحابة ﷺ، وبدأت المرحلة الثانية للتفسير من عصر التابعين الذين تتلمذوا على الصحابة وأخذوا عنهم.

وكما اشتهر بعض أعلام الصحابة بالتفسير والرجوع إليهم في معرفة بعض ما خفي من كتاب الله تعالى، اشتهر أيضاً بالتفسير أعلام من التابعين اعتمدوا في فهمهم لكتاب الله على ما جاء في القرآن الكريم والسنّة النبويّة، وما ورد عن الصحابة من تفسير، وما فتح الله به عليهم من طريق الاجتهاد والنظر.

مدارس التفسير في عهد التابعين:

اتسعت الفتوحات الإسلاميّة، وانتقل كثير من أعلام الصحابة إلى الأمصار المفتوحة، وحملوا معهم إلى هذه البلاد ما عندهم من العلم، وما حفظوه عن رسول الله ﷺ، فجلس إليهم الكثير من التابعين يأخذون عنهم العلم وينقلونه لمن بعدهم، فقامت في هذه البلاد المختلفة مدارس علميّة أساتذتها الصحابة وتلاميذها التابعون؛ فنشأت مدارس للتفسير في كلّ من مكة والمدينة والعراق، وهي أشهر مدارس التفسير في هذا العصر.

(١) مدرسة أهل مكة:

يرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى الصحابيّ الجليل، شيخ المفسِّرين وترجمان القرآن عبد الله ابن عباس ﷺ، فكان يجلس لأصحابه من التابعين، يُفسِّر لهم كتاب الله، ويوضح لهم ما أشكل من معانيه، وكان تلاميذه يحفظون عنه ما يقول، وينقلونه لمنْ بعدهم.

وتلاميذ هذه المدرسة هم أعلم الناس بالتفسير؛ لأنّهم أصحاب عبد الله بن عباس، وقد اشتهر منهم عدد كبير، منهم: مجاهد بن جبر، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة مولى ابن عباس.

(٢) مدرسة أهل المدينة:

كان بالمدينة كثير من الصحابة أقاموا بها، ولم يتحولوا عنها كغيرهم من الصحابة الذين تفرقوا في الأمصار، فاستقروا في المدينة يعلِّمون أتباعهم كتاب الله تعالى وسنّة رسوله؛ فنشأت في المدينة مدرسة للتفسير، يرجع الفضل في إنشائها إلى الصحابيّ الجليل أبيّ بن كعب ﷺ. ومن أشهر تلاميذ هذه المدرسة: أبو العالية الرياحيّ، ومحمد بن كعب القرظيّ، وزيد بن أسلم.

(٣) مدرسة أهل العراق:

يرجع الفضل في تأسيس هذه المدرسة إلى الصحابيّ الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ؛ لأنّ سيدنا عمر ﷺ لمّا ولى عمار بن ياسر على الكوفة بعث معه عبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، فجعل الكوفيون يجلسون إليه ويأخذون عنه أكثر مما يأخذون عن غيره من الصحابة.

وتُعدّ هذه المدرسة نواة مدرسة أهل الرأي التي توارثها علماء العراق عن عبد الله بن مسعود ﷺ. وأشهر تلاميذ هذه المدرسة: علقمة بن قيس، والحسن البصري، وقتادة بن دعامة السدوسيّ.

■ ميزات التفسير في عهد التابعين:

أهم ميزات التفسير في عهد التابعين هي:

١ دخل في التفسير كثير مما نُقِل عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى -الإسرائيليات-؛ وذلك لكثرة مَنْ دخل من أهل الكتاب في الإسلام، وكان لا يزال عالقاً بأذهانهم من الأخبار ما لا يتصل بالأحكام الشرعيّة؛ كأخبار بدء الخليقة، وكثير من القصص؛ كذكر أسماء أصحاب الكهف، وأسماء الطيور التي أحياها الله تعالى لإبراهيم عليه السلام، وغير ذلك. ويرجع السبب في نقل هذه الإسرائيليات، إلى أنّ النفس البشريّة تميل بطبيعتها إلى حبّ الاستطلاع، ومعرفة التفاصيل التي لم تذكر في القرآن الكريم؛ فتساهل التابعون فأدخلوا في التفسير كثيراً مما ورد عن أهل الكتاب.

٢ أخذ التفسير في هذه المرحلة طابع التلقّي والرواية؛ فصار التابعون يتلقون عن مشايخهم من الصحابة؛ فالمكّيّون أخذوا التفسير عن ابن عباس، وأهل المدينة أخذوه عن أبيّ بن كعب، وأهل العراق عن عبد الله بن مسعود.

٣ كثرة الاختلاف بين التابعين في التفسير مقارنة عمّا كان عليه الأمر في زمن الصحابة رضي الله عنهم، وإن كان اختلافاً قليلاً بالنسبة لما وقع بعد ذلك ممّن جاء بعدهم.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب التراجم التاريخية، وأكتب في دفتري تعريفاً بالتابعي مجاهد بن جبر المكي بما لا يزيد عن خمسة أسطر.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) الاجتهاد مصدر من مصادر التفسير في عهد التابعين .

ب ( ) يرجع الفضل في تأسيس مدرسة أهل المدينة إلى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

جـ ( ) الحسن البصريّ من أشهر تلاميذ مدرسة العراق في التفسير .

د ( ) كثر دخول الإسرائيليات في التفسير في عهد التابعين .

٢ أعدّد أشهر مدارس التفسير في عهد التابعين، وأبيّن مؤسس كلّ مدرسة .

٣ أوضّح ميزات التفسير في عهد التابعين .

٤ أبيّن سبب دخول الإسرائيليات في التفسير زمن التابعين .

الدرس
٢٧

شروط التفسير وضوابطه

التفسير من أشرف العلوم وأجلها؛ لأنّه يبحث في بيان المراد بألفاظ القرآن الكريم، ويوضح معاني الآيات، ويرشد إلى معرفة الأحكام الشرعيّة العمليّة المتعلقة بسلوك الإنسان في الحياة.

وفي القرآن الكريم آيات واضحة المعاني، وفيه آيات تحتاج إلى تفسير وبيان. فما شروط المفسِّر؟، وما ضوابط التفسير؟

أولاً: الشروط الواجب توفرها في المفسِّر:

لا يصح أن يتصدر التفسير إلا من توفرت فيه الشروط الآتية:

١ **صحة الاعتقاد والتحرر عن الهوى:**

إنّ العقيدة تترك آثاراً في نفس صاحبها، فإذا كانت عقيدة المفسِّر باطلة أدى ذلك إلى تحريف النصوص وحملها على غير المراد منها؛ لتوافق أهواءه ومذهبه الباطل، لذا لا بدّ أن يكون المفسِّر صاحب عقيدة صحيحة مستمدة في أصولها من القرآن الكريم والسنّة النبويّة الصحيحة، ومتجرداً من اتّباع الأهواء.

٢ **أن يكون عالماً بالقرآن الكريم وعلومه:**

يحتاج المفسِّر إلى معرفة علوم القرآن الكريم؛ كعلم القراءات الذي يساعد في ترجيح دلالة على أخرى، ومعرفة أسباب النزول والمكّيّ والمدنيّ؛ لأنها تعين على بيان المعنى المراد.

٣ **العلم بالسنّة النبويّة المشرّفة وعلومها:**

يحتاج المفسِّر إلى معرفة السنّة النبويّة؛ لأنّ الرسول ﷺ أوتي القرآن ومثله معه، والسنّة النبويّة تبين آيات القرآن الكريم وتفصّلها؛ كمعرفة عدد ركعات الصلاة، وشروطها وأركانها، ومعرفة مناسك الحجّ وغير ذلك من الأحكام، كما أنّ النبيّ ﷺ فسَّر الكثير من الآيات الكريمة التي نقلها الصحابة عنه، وقام علماء الحديث بجمعها وتبويبها في كتب السنّة الشريفة.

٤ **العلم باللّغة العربيّة:**

إنّ القرآن الكريم نزل بلسان عربيّ مبين؛ لذا يتوقف فهم الآيات والمراد منها على معرفة ألفاظ اللّغة العربيّة ودلالاتها. كما أنّ علم النحو يساعد في فهم المراد من الآيات القرآنيّة؛ كمعرفة أنّ

المطلوب في الوضوء غسل الرجلين لا مسحهما؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى عطَف الرِّجلين على غسل اليدين في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ المائدة: ٦.

كما لا بدّ للمفسِّر من معرفة أساليب الخطاب من طلب أو إنشاء أو استفهام؛ لأنّ معرفة علوم البلاغة بصورة عامة تعين المفسِّر على بيان إعجاز القرآن الكريم وفهم دلالات ألفاظه وتراكيبه.

٥ **العلم بقواعد أصول الفقه:**

يقوم المفسِّر بتفسير آيات الأحكام، ومعرفة الأحكام وحسن استنباطها يعتمد على معرفة قواعد أصول الفقه، فيحكم من خلالها أنّ الأمر في الآيات الكريمة بالصلاة والصيام والزكاة والحجّ للوجوب، وأنّ الأمر بكتابة الدَّيْن للندب، وأنّ النهي في الآيات الكريمة عن الزنا، والسرقة والربا للتحريم.

٦ **قوة الفهم ودقته:**

وهذا يُمكِّنُ المفسِّر من ترجيح معنى على آخر، أو استنباط معنى يتفق مع نصوص الشريعة ومقاصد الإسلام العامة.

٧ **المعرفة العامة بالإنسان والحياة وقضايا المجتمع:**

فالقرآن الكريم يعالج مشاكل الإنسان ويأخذ بيده نحو طريق النجاة والسعادة. ومما تجدر الإشارة إليه أنّ القضايا الإنسانيّة والاجتماعيّة متجددة ومتطورة، ومن هنا يلزم المفسِّر الإلمام بهذه المستجدات لتحقيق أغراض القرآن الكريم وأهدافه في الإصلاح.

٨ **اطّلاع المفسِّر على مبادئ العلوم الحديثة التي لها صلة بالآيات القرآنيّة**؛ كعلم الطب والفلك والأحياء، وغيرها.

ثانياً: ضوابط التفسير:

بعد بيان أهم الشروط الواجب توفرها بالمفسِّر، نبيّن هنا مجموعة من الضوابط التي ينبغي على المفسِّر أن يلتزم بها، ونجملها في الآتي:

١ الاعتماد على التفسير بالمأثور أولاً؛ فيفسَّر القرآن بالقرآن وبالسنّة النبويّة وأقوال الصحابة رضي الله عنهم.

٢ موافقة التفسير أحد أوجه دلالات اللفظ العربيّ؛ فيقدم الحقيقة على المجاز، ثمّ يقف على أوجه الإعراب والبلاغة للتراكيب، ولا يحمّل الألفاظ معنى يتعارض مع دلالات اللّغة العربيّة، كما يفعل أصحاب التفسير الباطنيّ؛ كتفسيرهم لقوله تعالى: ﴿قَالَ أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ

قَلْبِي ﴾ البقرة: ٢٦٠. قالوا: ﴿قَلْبِي﴾ تعني صديقي. وتفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا ﴾ يس: ٨٠. قالوا: ﴿مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ تعني: إبراهيم عليه السلام، و﴿نَارًا﴾؛ أي نوراً، وهو محمد ﷺ. فهذه تفسيرات باطلة؛ لمخالفتها دلالات اللّغة العربيّة.

٣ عدم التوسع في تفصيل القصص القرآنيّ، والوقوف عند حدود النصّ دونما تفصيل، وعدم الأخذ بالروايات الإسرائيلية؛ كالبحث في عدد أصحاب الكهف وأسمائهم، وما حدث مع أيوب عليه السلام وزوجه حين ابتلاه الله سبحانه وتعالى بالمرض، وبحثهم في تفاصيل سفينة نوح عليه السلام، واسم الغلام الذي قتله العبد الصالح، ونوع شجرة عصا موسى عليه السلام؛ لعدم وجود ما يثبت صحتها من جهة، وعدم ترتُّب أيّة فائدة على معرفتها من جهة أخرى.

٤ العمل على تحقيق الغاية الأساسيّة للقرآن الكريم، وهي الهداية، فلا يتوسع المفسِّر في إثارة قضايا ثانويّة لا علاقة لها بالنصّ القرآنيّ؛ كمن يسهب في الحديث عن الإعجاز العلميّ والعدديّ، وكأنّ القرآن الكريم كتاب طبّ أو فيزياء أو فلك.

نشاط:

أستدل من أحد كتب التفسير على أهمية معرفة المفسر لقواعد اللغة العربية من خلال تفسير آية قرآنية.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يشترط في المفسِّر أن يحفظ القرآن الكريم كاملاً.

ب ( ) يقدم المفسِّر الدلالة الحقيقيّة على المجازيّة في جميع الحالات.

جـ ( ) يشترط في المفسِّر العلم بعلوم اللّغة العربيّة من نحو وصرف وبلاغة.

د ( ) يستعين المفسِّر بالمأثور من تفاسير الصحابة رضي الله عنهم.

٢ أمثّل على أهمية معرفة المفسِّر لعلوم اللّغة العربيّة، ومنها علم النحو.

٣ أعلّل ما يأتي:

أ من ضوابط التفسير عدم التوسع في تفاصيل القصص القرآنيّ من خلال الروايات الإسرائيليّة.

ب يشترط في المفسِّر العلم بالسنّة النبويّة الشريفة وعلوم الحديث.

الدرس
٢٨

الترجمة التفسيريّة للقرآن الكريم

عرفت أنّ التفسير علم يبحث في بيان مدلولات ألفاظ القرآن الكريم وبيان معاني آياته، وأنّ القرآن الكريم أنزله الله للناس كافة؛ ليكون لهم هادياً ومرشداً للطريق الأقوم، ولما نزل القرآن باللّغة العربيّة فلا بدّ -إذن- من ترجمة تفسيره حتى يستطيع غير العرب أن يفهموه، ويتعلموا أحكامه وتوجيهاته وإرشاداته. **فما المقصود بالترجمة التفسيريّة؟، وما الفرق بينها وبين تفسير القرآن الكريم؟**. هذا ما سنتناوله في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

أولاً: حكم الترجمة التفسيريّة والحاجة إليها:

قبل الحديث عن الترجمة التفسيريّة لا بدّ من بيان الحاجة إلى الترجمة، ولمعرفة ذلك نتأمل قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٩.

يدرك مَنْ تعلّم اللّغة العربيّة أنّ المقصود من النهي عن **جعل اليد مغلولة إلى العنق**: النهي عن البخل، وأنّ المقصود من النهي عن **بسطها كلّ البسط**: الإسراف والتبذير، فكيف يمكن لِمَنْ أراد أن يترجم هذه الآية ترجمة حرفيّة أن يدرك المعنى المطلوب؟، وإذا حاول فسوف يأتي بمعنى مغاير لما طلبته الآية الكريمة، فيقول: إنّ الآية نهت عن ربط اليد في العنق، ومدها كلّ المدّ؛ لذلك نقول بحرمة الترجمة الحرفيّة واستحالتها؛ لأنّه لا توجد لغة غير العربيّة قادرة على استيعاب دلالات الآيات القرآنيّة وأساليبها.

ولكن، كيف يتمكّن المسلمون من غير العرب من معرفة معاني القرآن الكريم وأحكامه؛ لتطبيقها في سلوكهم اليومي؟، ومن أجل ذلك كان لا بدّ من ترجمة تفسير القرآن الكريم؛ للتعرّف على توجيهاته وأحكامه، والقاعدة الشرعيّة تقول: **(ما لا يتمّ الواجب إلا به فهو واجب)**؛ لذلك كانت ترجمة تفسير القرآن الكريم بلغات العالم المختلفة فرضاً من فروض الكفاية، إذا قام به بعض المسلمين سقط الإثم عن الباقين.

ثانياً: المقصود من الترجمة التفسيريّة:

الترجمة التفسيريّة للقرآن الكريم: تعني أن يعمد المترجم إلى المعنى الذي يدلّ عليه النصّ القرآنيّ؛ فيفهمه ثم يصبه في قالب يؤديه من اللّغة الأخرى، من غير أن يكلف نفسه عناء الوقوف عند كلّ مفردة.

وترجمة معاني القرآن الكريم إلى لغات أخرى لا تُعدّ قرآناً، بل هي أقرب ما تكون إلى التفسير؛ لأنّ القرآن الكريم هو كلام الله المنزّل باللّغة العربيّة.

ثالثاً: شروط الترجمة التفسيريّة:

وضع العلماء مجموعة من الشروط الواجب الالتزام بها عند ترجمة تفسير القرآن الكريم، نجملها في الآتي:

١ أن تكون الترجمة التفسيريّة مستمدة من الأحاديث النبويّة الشريفة، وعلوم اللّغة العربيّة، والأصول المقررة في الشريعة الإسلاميّة.

٢ أن يتقن المترجم اللّغتين: اللّغة العربيّة المفسِّرة لآيات القرآن الكريم، واللّغة التي يريد الترجمة إليها.

٣ أن يكتب القرآن الكريم أولاً، ثم يأتي بعده بالتفسير، ثم يتبعه الترجمة التفسيريّة.

رابعاً: الفرق بين التفسير والترجمة التفسيريّة:

يمكن إجمال الفرق بين التفسير والترجمة التفسيريّة في الآتي:

١ اختلاف اللّغة بين التفسير والترجمة التفسيريّة؛ فلغة التفسير هي لغة أصليّة، وهي اللّغة العربيّة غالباً، أمّا الترجمة التفسيريّة فتكون بلغة أخرى.

٢ يمكن لقارئ التفسير ومتفهمه أن يلاحظ نظم الأصل ودلالته، فإن وجد خطأ فيه نبّه إليه، أمّا قارئ الترجمة فلا يمكّنه من ملاحظة نظم الأصل المعجز؛ لجهله بنظم القرآن الكريم ودلالته.

٣ الترجمة التفسيريّة لا يصحّ فيها الاستطراد، بينما التفسير فمن المفروض أن يسهب المفسِّر في البيان والإيضاح.

أفكر:

لا تصحّ قراءة الترجمة التفسيريّة في الصلاة. أعلّل ذلك.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يمكن ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية.

ب ( ) تسمى الترجمة التفسيريّة قرآناً.

جـ ( ) لا تختلف لغة الترجمة التفسيريّة عن لغة الأصل.

د ( ) الترجمة التفسيريّة للقرآن الكريم فرض كفاية.

٢ أعلّل: حاجة المسلمين في كلّ عصر إلى الترجمة التفسيريّة.

٣ أفسِّر سبب استحالة ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفيّة.

٤ أقارن بين التفسير والترجمة التفسيريّة.

الدرس
٢٩

مناهج التفسير القرآنيّ

جاء القرآن الكريم بتعاليم فريدة فيها سعادة البشرية، والعمل بهذه التعاليم لا يتحقق إلا بفهم القرآن وتدبر معانيه، وهذا أمر لا سبيل إليه إلا من خلال تفسير القرآن الكريم، فمن أجل ذلك توجهت الجهود نحو تفسير القرآن الكريم، وبذل المفسِّرون وسعهم واجتهادهم، كلّ حسب طاقته ووجهته؛ فتعددت مناهجهم في تفسير النصّ القرآنيّ على ما سنبيّنه في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

شرف علم التفسير وأهميته:

لبيان أهمية التفسير ومكانته يمكن تدبر ما نقله السيوطي عن الراغب الأصبهاني: «التفسير من أجلّ علوم الشريعة وأرفعها قدراً، وهو أشرف العلوم موضوعاً وغرضاً وحاجة إليه؛ لأنّ موضوعه كلام الله تعالى، أمّا الغرض منه فهو الاعتصام بالعروة الوثقى، والوصول إلى السعادة الحقيقية، ثمّ اشتدّت الحاجة إليه؛ لأنّ كلّ كمال دينيّ أو دنيويّ لا بدّ أن يظهر لنا من خلال التدبر في النصّ السابق».

وإنّ أهمية التفسير تكمن في الآتي:

١ إنّ علم التفسير من أشرف العلوم؛ لارتباطه بكتاب الله تعالى.

٢ إنّ الغاية من هذا العلم هي بيان معاني القرآن الكريم واستنباط أحكامه من أجل تطبيقها في واقع الحياة.

٣ فهم الآيات القرآنيّة من خلال علم التفسير يقود إلى الاعتصام بحبل الله المتين، والتمسك بشريعته الغرّاء، وفي ذلك تحقيق للسعادة في الدنيا والآخرة.

تعريف مناهج التفسير:

المناهج: جمع مفرده منهج، وهو الطريق الواضح؛ قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ المائدة: ٤٨.

ويطلق المنهج في اتجاهين:

- **الأول: إطلاق ماديّ**، حيث يطلق على الطريق الواضحة المستقيمة المعروفة التي يسهل السير عليها.
- **الثاني: إطلاق معنويّ**، حيث يطلق على الخطة العلميّة المحددة التي يلتزم بها الباحث، ويسير وفق قواعدها ومبادئها.

أمّا مناهج التفسير، فنعني بها: الطريقة التي يتبعها كل مفسِّر في فهم القرآن، واكتشاف أسراره ومعانيه.

كيفية معرفة منهج المفسِّر:

لمعرفة منهج المفسِّر طريقان، هما:

- **الطريق الأول:** أن ينصّ المفسِّر على منهجه في تفسيره، سواء أكان في المقدمة أم في أيّ موضع من تفسيره. ومثال ذلك: ما فعله ابن كثير في مقدمة تفسيره، حيث نصّ صراحة على المنهج الذي سيسلكه في التفسير.
- **الطريق الثاني:** أن يتم استنباط منهجه في التفسير عن طريق الاستقراء؛ وذلك من خلال تتبع تفسيره والنظر في طريقته في التفسير.

أهمية معرفة مناهج التفسير القرآنيّ:

تنطوي معرفة مناهج المفسِّرين على فوائد جمة، أهمها:

١ امتلاك الأسلوب العلميّ في التعامل مع الآيات القرآنيّة، وذلك من خلال التعرف إلى الطريقة التي سلكها كلُّ مفسِّر في استنباط الحِكم والمعاني والدلالات من الآيات الكريمة، فيكون المنهج الذي سلكه المفسِّر معيناً لنا في فهم النص القرآنيّ.

٢ معرفة منهج المفسِّر تعدّ مفتاحاً للتعامل مع تفسيره، والإفادة منه على أفضل وجه وأحسنه؛ فالمعرفة المسبقة لمناهج المفسِّرين تؤدي إلى سهولة التعامل مع تفاسيرهم.

٣ سهولة الوصول إلى أيّة جزئيّة تتعلق بتفسير الآية، فمَنْ أراد البحث في القضايا البلاغيّة، سيتجه إلى التفاسير التي اعتنت بهذا الجانب؛ كتفسير الكشاف للزمخشريّ، ومَنْ أراد الوقوف على الروايات المأثورة عن الصحابة، سيتجه إلى التفاسير التي اعتنت بهذا الجانب؛ كتفسير الطبريّ، وهكذا.

أهم مناهج التفسير القرآنيّ:

تنقسم مناهج التفسير القرآنيّ إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من حيث المصادر التي يُستمد منها التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

١ **التفسير بالمأثور.**

٢ **التفسير بالرأي باتجاهاته المختلفة:** الفقهيّة والبلاغيّة والموضوعيّة والعلميّة، وغير ذلك.

وسيأتي الحديث عن هذين القسمين لاحقاً.

القسم الثاني: من حيث التوسع والإيجاز في التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

١ **التفسير التحليليّ**: وهو أن يعمد المفسِّر إلى تحليل الآية ببيان سبب نزولها، ومعاني مفرداتها وتراكيبها، ووجوه الإعراب، وبيان الأحكام الفقهيّة، وما إلى ذلك، وهو الغالب على التفاسير.

٢ **التفسير الإجماليّ**: وهو أن يعمد المفسِّر إلى بيان المعنى العام للآية دون التعرض للتفاصيل.

القسم الثالث: من حيث عموم موضوعات التفسير، وهو بهذا الاعتبار ينقسم إلى:

١ **التفسير الموضوعيّ**: وهو بيان موضوع ما من خلال آيات القرآن الكريم في جميع القرآن، أو في سورة واحدة. ومثاله: المرأة في القرآن لعباس محمود العقاد، والربا في القرآن الكريم لأبي الأعلى المودوديّ.

٢ **التفسير المقارَن**: وهو أن يعمد المفسِّر إلى قولين أو أكثر في التفسير، ويقارن بينها مع ترجيح أحدها على الآخر.

نشاط:

أرجع إلى كتاب (التفسير والمفسِّرون) للذهبيّ، وأستخرج منه منهج الإمام الألوسيّ في التفسير على شكل نقاط.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) تفسير القرآن الكريم هو السبيل الأمثل لفهم القرآن الكريم وتدبّر معانيه.

ب ( ) المنهج في اللّغة يعني الطريق الواضح.

جـ ( ) جميع المفسِّرين بيّنوا على مناهجهم في التفسير في مقدمة تفاسيرهم.

د ( ) الاتجاه الفقهيّ في التفسير يتبع التفسير بالرأي.

٢ أذكر ثلاثة فوائد لمعرفة مناهج المفسِّرين.

٣ أعرّف التفسير الموضوعيّ، وأذكر مثالاً عليه.

٤ أقارن بين التفسير التحليليّ والتفسير الموضوعيّ.

٥ أبيّن كيفية معرفة منهج المفسِّر في تفسيره.

الدرس
٣٠

التفسير بالمأثور

اعتمد المفسِّرون في تفسيرهم -كما عرفت سابقاً- على منهجين: أحدهما يعتمد على النقل، وهو التفسير بالمأثور، والآخر يعتمد على الاجتهاد والاستدلال، وهو التفسير بالرأي. وفي هذا الدرس سنوضح المقصود بالتفسير بالمأثور، والمنهج الذي يقوم عليه.

معنى التفسير بالمأثور:

هو منهج علميّ في التفسير يعتمد على تفسير القرآن الكريم بالقرآن وبالسنّة وبأقوال الصحابة والتابعين.

- أمّا **تفسير القرآن بالقرآن** فهو أشرف أنواع التفسير وأجلّها، فما أُجمِل في مكان فإنّه قد فسِّر في موضع آخر، وما اختُصر في مكان فقد بُسِط في موضع آخر.
- وأمّا **تفسير القرآن بالسنّة**، فلأنها جاءت مبيّنة لكتاب الله وموضّحة لمعانيه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ النحل: ٤٤.
- وأمّا **تفسير القرآن بأقوال الصحابة** رضي الله عنهم، فلأنهم أعلم الناس بكتاب الله؛ لمصاحبتهم رسول الله ﷺ وحضور مجالسه، فهم الذين شاهدوا التنزيل، وهم أهل اللسان العربيّ.
- وأمّا **تفسير القرآن بأقوال التابعين**، فلأنهم تلقوا أقوالهم في الغالب من الصحابة.

أهميته:

التفسير بالمأثور أساس التفسير؛ لأنّ أغلب العلوم التي يقوم عليها التفسير تنبثق من التفسير بالمأثور؛ كعلم القراءات والناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وفضائل القرآن والمكّيّ والمدنيّ، وكلّ هذه المعارف لا تؤخذ إلاّ بالنقل الصحيح عن النبيّ ﷺ والصحابة رضي الله عنهم.

ومما يدل على أهمية هذا النوع من التفسير: عناية العلماء بتدوينه مبكراً، ففي صحيحَي البخاريّ ومسلم، وغيرهما من كتب السنّة المطهرة أبواب خاصة بالتفسير، جمع فيها أصحاب تلك الكتب ما صحّ عندهم من التفسير بالمأثور عن النبيّ ﷺ.

■ أمثلة على التفسير بالمأثور:

١ **مثال تفسير القرآن بالقرآن:**

- قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ الطارق: ١-٣، فإنّ كلمة ﴿ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ بيان لكلمة ﴿ٱلطَّارِقُ﴾ التي قبلها.
- قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ البقرة: ٣٧، والمقصود بالكلمات التي تلقّاها آدم عليه السلام من ربه، بيّنه قوله تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ الأعراف: ٢٣.

٢ **ومثال تفسير القرآن بالسنّة:**

- ما جاء عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ﴾ الأنفال: ٦٠، حيث فُسّرت (القوة) في الآية بما ثبت عن رسول الله ﷺ في قوله: «**ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي، ألا إنّ القوة الرمي**»[١].
- ما جاء عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ البقرة: ٢٣٨، حيث فسّرت ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ في الآية بما ثبت عن رسول الله ﷺ في قوله: «**الصلاة الوسطى صلاة العصر**»[٢].

٣ **ومثال تفسير القرآن بأقوال الصحابة:**

- ما جاء عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ النصر: ١. فقال: «أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه»[٣].
- ما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ المائدة: ٣، حيث فهم منها نعي النبيّ ﷺ، فبكى وقال: ما بعد الكمال إلا النقص.

٤ **ومثال تفسير القرآن بأقوال التابعين:**

- ما رواه الطبريّ عن مجاهد بن جبر المكّيّ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ البقرة: ٦٥، حيث قال: «مُسخت قلوبهم ولم يُمسخوا قردة، وإنّما هو مثل ضربه الله لهم؛ كمثل الحمار يحمل أسفارا».

---

١ أخرجه مسلم، كتاب الأمارة، باب فضل الرمي والحث عليه.
٢ أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى صلاة العصر.
٣ أخرجه البخاريّ، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام.

حكم التفسير بالمأثور

التفسير بالمأثور إذا صحّ سنده يجب الأخذ به ولا يصح العدول عنه؛ لأنّه طريق المعرفة الصحيحة، وهو أسلم طريق للحفظ من الزلل والزيغ في كتاب الله تعالى. **وبيان ذلك على النحو الآتي:**

١ تفسير القرآن بالقرآن، لا شك في قبوله؛ لأنّ الله تعالى أعلم بكلامه، وأوضّح الكلام ما يفسِّر بعضه بعضاً.

٢ وتفسير القرآن بالسنّة الصحيحة مقبول أيضاً ويجب الأخذ به؛ لأنّ النبيّ ﷺ هو المكلّف ببيان معاني القرآن الكريم، ولا بيان بعد بيانه ﷺ.

وأمّا التفسير المنقول عن الصحابة، فهو قسمان:

- ما ليس للرأي فيه مجال؛ كأسباب النزول وقضايا الغيب، فهذا يجب الأخذ به؛ لأنّه يعامل معاملة الحديث المرفوع إلى النبيّ ﷺ.
- ما قاله الصحابة على سبيل الاجتهاد والاستدلال، فهذا من قبيل التفسير بالرأي الذي يجوز لغيرهم الاجتهاد فيه. ولكن يبقى لتفسير الصحابة أهمية خاصة؛ لأنهم عاصروا الرسول ﷺ، وشهدوا نزول القرآن الكريم، وهم أهل اللسان العربيّ، وأعلم الناس بلغة القرآن.

وأمّا التفسير المنقول عن التابعين فليس بحجة، ولا يجب الأخذ به، اللهمّ إلا فيما أجمعوا عليه، فإنّ الإجماع حجّة ملزمة.

نشاط:

أرجع إلى كتاب التفسير في صحيح البخاريّ، وأستخرج منه مثالين على التفسير بالمأثور.

المآخذ على التفسير بالمأثور:

من أهم المآخذ على التفسير بالمأثور:

١ **الوضع في التفسير:** ظهر الوضع في التفسير حين اختلف المسلمون وتفرَّقوا إلى مذاهب وفرق، فلجأ أصحاب المذاهب المنحرفة إلى نسبة الكثير من الأقوال في التفسير إلى الصحابة من أجل تأييد مذهبهم، كما دخل في الإسلام مَنْ أبطن الكفر بقصد الكيد له، وتضليل أهله؛ فوضعوا ما وضعوا من روايات باطلة في التفسير بعد أن عجزوا عن أن ينالوا من هذا الدين عن طريق الحرب والقوة، أو عن طريق البرهان والحُجَّة.

٢ **الإسرائيليّات**: وهي كل ما رُوي عن أهل الكتاب من كتبهم أو عن علمائهم. ولقد كان لهذه الإسرائيليات التي أخذها بعض المفسِّرين عن أهل الكتاب، وشرحوا بها كتاب الله تعالى أثر سيّئ في التفسير؛ لأنّه دخل من خلالها كثير من القصص الخياليّ المخترَع، التي شوّهت جمال التفسير القرآنيّ.

وتنقسم الإسرائيليات إلى ثلاثة أقسام، هي:

- ما يوافق شرعنا، فهو مقبول.
- ما يخالف شرعنا، فهو مردود.
- ما لم يوافق شرعنا ولم يخالفه، وهو المسكوت عنه. وهذا القسم نتوقف فيه، فلا نؤمن به ولا نُكذِّبه، لقوله ﷺ: «**لا تُصَدِّقوا أهل الكتاب ولا تُكَذِّبوهم**»[1].

والقسم الثالث غالبه مما ليس فيه فائدة تعود إلى أمر دينيّ. ومثاله: الحديث عن أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعصا موسى من أيّ الشجر كانت، وأسماء الطيور التي أحياها الله لإبراهيم، إلى غير ذلك مما لا فائدة فيه تعود على المكلَّفين في دنياهم أو دينهم.

٣ **حذف الإسناد**: كان التفسير بالمأثور ينقل بأسانيده، حتى جاء من ألّف في التفسير واختصر الأسانيد، فأصبحنا نجد الأقوال منسوبة إلى أصحابها دون سند، فيقولون: قال ابن عباس، أو قال علي بن أبي طالب مثلاً دون سند لهذا القول، فالتبس الصحيح بالضعيف، وأصبح بعض من ينظر في هذه الروايات غير قادر على تمييز صحيحها من سقيمها.

والحقّ أنّ هذا السبب يكاد يكون أخطر الأسباب جميعاً؛ لأنّ حذف الأسانيد جعل مَنْ ينظر في هذه الكتب يظنّ صحة كلّ ما جاء فيها، وجعل كثيراً من المفسِّرين ينقلون عنها ما فيها من الإسرائيليّات والقصص المخترع على أنّه صحيح كله، مع أنّ فيها ما يخالف النقل ولا يتفق مع العقل.

نشاط:

أرجع إلى تفسير الطبريّ، وأستخرج منه رواية من الإسرائيليات، وأردّ عليها.

١ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، سورة البقرة، باب قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.

التقويم

١ أعرّف التفسير بالمأثور .

٢ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة ، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) قول الصحابيّ في أسباب النزول يُعدّ من قبيل الاجتهاد .

ب ( ) يجب الأخذ بقول التابعيّ في التفسير .

جـ ( ) السنّة النبويّة مبيّنة للقرآن الكريم .

د ( ) التابعون هم الذين شاهدوا تنزيل القرآن ، وهم أعلم الناس به .

هـ ( ) تُعدّ الإسرائيليّات من أخطر أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور .

٣ أذكر مثالاً على تفسير القرآن بالقرآن .

٤ أوضّح أهمية التفسير بالمأثور .

٥ أعلل : حذف الأسانيد من أخطر أسباب الضعف في رواية التفسير بالمأثور .

الدرس
٣١

من أعلام التفسير في عصر الصحابة رضي الله عنهم

عبد الله بن عباس رضي الله عنهما:

اشتهر في تفسير القرآن الكريم مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم، وفي مقدمتهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما الملقب بترجمان القرآن.

نسبه ونشأته:

هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشيّ الهاشميّ، ابن عم رسول الله ﷺ، وأمه لُبابة الكبرى بنت الحارث بن حَزَن الهلالية، وُلِد ابن عباس، والنبيّ ﷺ وأصحابه وأقاربه محاصرون في شِعب أبي طالب؛ وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين، ولازم النبيّ ﷺ في صغره؛ لقرابته منه، ولأنّ خالته ميمونة كانت من أزواج رسول الله ﷺ، وتُوفي رسول الله ﷺ وله من العمر ثلاث عشرة سنة، ولازم كبار الصحابة وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله ﷺ، وكانت وفاته سنة ثمانٍ وستين للهجرة على الأرجح، وعمره سبعون سنة، مات بالطائف ودُفن فيها، وتولى وضعه في قبره محمد بن علي بن أبي طالب، وقال بعد أن سوَّى عليه التراب: مات -واللهِ- اليوم حَبْرُ هذه الأُمَّة.

مبلغه من العلم:

كان ابن عباس رضي الله عنهما يُلقَّب بالحَبْر والبحر؛ لكثرة علمه، وكان على درجة عظيمة من الاجتهاد والمعرفة بمعاني كتاب الله؛ ولذا انتهت إليه الرياسة في التفسير، وكان عمر رضي الله عنه يُجلسه في مجلسه مع كبار الصحابة ويُدنيه منه، وكان يقول له: إنّك لأصبح فتياننا وجهاً، وأحسنهم خُلُقاً، وأفقههم في كتاب الله. وقال في شأنه: ذاكم فتى الكهول، إنَّ له لساناً سَؤولاً، وقلباً عَقولاً، وكان لفرط أدبه إذا سأله عمر مع الصحابة عن شيء يقول: لا أتكلم حتى يتكلموا. وكان عمر رضي الله عنه يعتدّ برأي ابن عباس مع حداثة سنّه، يدلنا على ذلك: ما رواه ابن الأثير في كتابه (أُسد الغابة) عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: «إنّ عمر كان إذا جاءته الأقضية المعضلة قال لابن عباس: إنّها قد طرأت علينا أقضية وعضل، فأنت لها ولأمثالها، فكان يأخذ بقوله، وما كان يدعو لذلك أحداً سواه، قال عبيد الله: وعُمَر هو عُمَر؛ يعني في حذقه واجتهاده لله وللمسلمين».

أسباب نبوغه:

يرجع هذا النبوغ الواسع إلى أسباب، نجملها فيما يأتي:

١ دعاء النبيّ ﷺ له بقوله: «**اللّهمّ علِّمه الكتاب والحكمة**»، وفي رواية أخرى: «**اللّهمّ فقِّهه في الدين، وعلِّمه التأويل**»[١].

٢ نشأته في بيت النبوّة، وملازمته رسول الله ﷺ منذ صغره، فكان يسمع منه الشيء الكثير، ويشهد كثيراً من الحوادث والظروف التي نزلت فيها آيات القرآن.

٣ ملازمته لأكابر الصحابة بعد وفاة النبيّ ﷺ، يأخذ عنهم ويروي لهم، ويعرف منهم مواطن نزول القرآن، وأسباب النزول.

٤ حفظه اللّغة العربيّة، ومعرفته علومها وآدابها وخصائصها وأساليبها.

٥ بلوغه مرتبة الاجتهاد، وعدم تحرّجه منه، وشجاعته في بيان ما يعتقد أنّه الحقّ.

ومن الأمثلة على ذلك: روي أنّ رجلاً أتى ابن عمر يسأله عن معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَاۖ﴾ الأنبياء: ٣٠ . . . ، فقال: اذهب إلى ابن عباس، ثمّ تعال أخبرني، فذهب إليه بالمسألة، فقال: كانت السماوات رتقاً لا تمطر، وكانت الأرض رتقاً لا تنبت، ففتق هذه بالمطر، وهذه بالنبات، فرجع الرجل إلى ابن عمر فأخبره، فقال: قد كنتُ أقول: ما يعجبني جرأة ابن عباس على تفسير القرآن، فالآن قد علمت أنّه أوتِيَ علماً.

رجوع ابن عباس إلى الشعر العربيّ القديم في تفسير القرآن الكريم:

كان ابن عباس رضي الله عنهما يرجع في فهم معاني الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم إلى الشعر الجاهليّ، وكان غيره من الصحابة يسلك هذا الطريق في فهم غريب القرآن، ويحضّ على الرجوع إلى الشعر العربيّ القديم، ليُستعان به على فهم معاني الألفاظ القرآنيّة الغريبة

ورد أنّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لأصحابه: «عليكم بديوانكم لا تضلُّوا، قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية، فإنّ فيه تفسير كتابكم، ومعاني كلامكم».

١ رواه أحمد في مسنده مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب. والحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة، باب: ذكر عبد الله بن العباس ابن عبد المطلب.

الرواية عن ابن عباس:

رُوِي عن ابن عباس ﵄ في التفسير الشيءُ الكثير، وتعددت الروايات عنه، وكثر الوضع عليه؛ لكونه من بيت النبوّة، والوضع عليه يُكسب الموضوع ثقة وقوة أكثر مما لو وُضِع على غيره.

نماذج من تفسير ابن عباس لآيات من القرآن الكريم:

١ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ القصص: ٢٨:

فقد أشكل على بعض أهل العلم: أيّ الأجلين قضى موسى ﵇؟، هل كان ثمانيَ سنين؟، أم أنّه أتمّ عشراً؟، ولمّا لم يقف على رأي توجّه إلى ابن عباس ليسأله عما أشكل عليه، وفي هذا يروي الإمام الطبريّ في تفسيره، عن سعيد بن جبير قال: «قال يهوديّ بالكوفة -وأنا أتجهّز للحجّ- إنّي أراك رجلاً تتبع العلم، فأخبرني أيّ الأجلين قضى موسى؟، قلت: لا أعلم، وأنا الآن قادم على حَبْر العرب -يعنى ابن عباس-، فسائلهُ عن ذلك، فلمّا قدمتُ مكة سألتُ ابن عباس عن ذلك، وأخبرته بقول اليهوديّ، فقال ابن عباس: قضى أكثرهما وأطيبهما، إنَّ النبيّ إذا وعد لم يُخلف، وقال سعيد: فقدمتُ العراق، فلقيتُ اليهوديّ، فأخبرته فقال: صدق، وما أُنزِلَ على موسى، هذا والله العالم».

٢ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ البقرة: ٢٦٦:

وحول تفسير هذه الآية يقول الإمام الطبريّ: «إنّ عمر سأل الناس عن هذه الآية... فما وجد أحداً يشفيه، حتى قال ابن عباس وهو خلفه: يا أمير المؤمنين؛ إنّي أجد في نفسي منها شيئاً، فتلفتُّ إليه فقال: تحوّل ههنا، لِمَ تُحقِّر نفسك؟، قال: هذا مَثَلٌ ضربه الله -عزَّ وجلّ-، فقال: أيودُّ أحدكم أن يعمل عمره بعمل أهل الخير وأهل السعادة، حتى إذا كان أحوج ما يكون إلى أن يختمه بخير حين فني عمره واقترب أجله، ختم ذلك بعمل من عمل أهل الشقاء، فأفسده كله».

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) توفي رسول الله ﷺ وكان عُمر ابن عباس رضي الله عنهما عشر سنين .

ب ( ) لازم ابن عباس رضي الله عنهما كبار الصحابة، وأخذ عنهم ما فاته من حديث رسول الله ﷺ .

جـ ( ) كان ابن عباس رضي الله عنهما يلقَّب بالحَبْر والبحر؛ لكثرة علمه .

د ( ) كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا يعتدّ برأي ابن عباس؛ لحداثة سنّه .

هـ ( ) كان ابن عباس رضي الله عنهما يرجع في فهم معاني المفردات القرآنيّة إلى الشعر العربيّ القديم .

٢ أذكر ثلاثة أمور كانت سبباً في نبوغ ابن عباس رضي الله عنهما .

٣ أبيّن سبب الوضع على ابن عباس رضي الله عنهما .

٤ هاتِ نموذجين من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما .

الدرس
٣٢

نماذج من التفسير بالمأثور

تحدثنا سابقاً عن التفسير بالمأثور، وبيّنا أنّه من أفضل مناهج التفسير وأعلاها؛ نظراً لاعتماده على تفسير القرآن بالقرآن وبالسنّة النبويّة والآثار الواردة عن الصحابة والتابعين. ونعرض في هذا الدرس لبعض النماذج في التفسير بالمأثور من أمّهات كتب التفسير.

أشهر كتب التفسير بالمأثور:

هناك العديد من كتب التفسير التي اعتمدت على منهج التفسير بالمأثور، منها:

- جامع البيان في تفسير القرآن لابن جرير الطبريّ
- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء الحافظ ابن كثير.
- المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الأندلسيّ.
- الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطيّ

وسنعرض في هذا الدرس لمجموعة من النماذج لهذا النوع من التفسير، مختارة من تفسيريّ الطبريّ وابن كثير.

أولاً: نموذج من تفسير جامع البيان للطبريّ:

يعتبر تفسير ابن جرير من أقوم التفاسير وأشهرها، كما يعتبر المرجع الأول عند المفسِّرين الذين عنوا بالتفسير النقليّ، وإن كان في الوقت نفسه يُعدّ مرجعاً مهماً من مراجع التفسير العقليّ، نظراً لما فيه من الاستنباط وتوجيه الأقوال وترجيح بعضها على بعض.

وإليكم نموذج من تفسيره:

- **(القول) في تأويل** قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣.
- **يقول تعالى ذكرُه:** ومَنْ أحسن أيّها الناس قولاً ممّن قال ربنا الله، ثمّ استقام على الإيمان به، والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال، وعمل به من ذلك. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

■ **ذكر مَنْ قال ذلك:**

١ حدثنا محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا محمد بن ثور، عن معمر، قال: تلا الحسن: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فصلت: ٣٣، قال: هذا حبيب الله، هذا وليّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبّ الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، وقال: إنّني من المسلمين، فهذا خليفة الله.

٢ حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾... الآية، قال: هذا عبد صدّق قولَه عملُه، وموالجَه مخرجُه، وسرَّه علانيتُه، وشاهدَه مغيبُه، وإنّ المنافق عبد خالف قولَه عملُه، وموالجَه مخرجُه، وسرَّه علانيتُه، وشاهدَه مغيبُه.

واختلف أهل العلم في الذي أريد بهذه الصفة من الناس، فقال بعضهم: عني بها نبيّ الله ﷺ.

■ **ذكر مَنْ قال ذلك:**

١ حدثنا محمد بن الحسين، قال: حدثنا أحمد، قال: حدثنا أسباط، عن السدّيّ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، قال: محمد ﷺ حين دعا إلى الإسلام.

٢ حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، قال: هذا رسول الله ﷺ. وقال آخرون: عُني به المؤذّن.

■ **ذكر مَنْ قال ذلك:**

حدثني داود بن سليمان بن يزيد البصريّ، قال: حدثنا عمرو بن جرير البجليّ، عن إسماعيل ابن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، في قول الله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾، قال: المؤذن: ﴿وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾، قال: الصلاة ما بين الأذان إلى الإقامة. وقوله: ﴿وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، يقول: وقال: إنّني ممَّن خضع لله بالطاعة، وذلّ له بالعبوديّة، وخشع له بالإيمان بوحدانيته.

وبالنظر في النموذج السابق وغيره من النماذج في تفسير الطبريّ، يتبيّن أنّ طريقته في التفسير تقوم على الآتي:

١ إنّه إذا أراد أن يفسِّر الآية من القرآن الكريم يقول: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا»، ثم يفسّر الآية ويستشهد على ما قاله بما يرويه بسنده إلى الصحابة أو التابعين من التفسير بالمأثور عنهم في هذه الآية.

٢ إذا كان في الآية قولان أو أكثر، فإنّه يعرض لكلّ ما قيل فيها، ويستشهد على كلّ قول بما يرويه في ذلك عن الصحابة أو التابعين.

٣ لا يقتصر على مجرد الرواية، بل نجده يتعرض لتوجيه الأقوال، ويرجّح بعضها على بعض.

٤ يتعرض لنواحي الإعراب، إذا دعت الحاجة لذلك.

٥ يستنبط الأحكام التي يمكن أن تؤخذ من الآية الكريمة، مع توجيه الأدلة وترجيح ما يختار منها.

نشاط:

أرجع إلى تفسير الطبريّ، وأكتب في دفتري نموذجاً يظهر فيه اهتمام الطبريّ بقضايا الإعراب.

ثانياً: نموذج من تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

تفسير ابن كثير من أشهر ما دُوِّن في التفسير بالمأثور، ويُعَدّ في هذا المجال الكتاب الثاني بعد كتاب ابن جرير. وقد قدَّم له مؤلفه بمقدمة طويلة مهمة، تعرَّض فيها لكثير من الأُمور التي لها تعلق واتصال بالقرآن الكريم وتفسيره.

وإليكم نموذجاً من تفسيره:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ المائدة: ١.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا نُعَيْم بن حماد، حدثنا عبد الله بن المبارك، حدثنا مِسْعَر، حدثني مَعْن وعَوْف -أو أحدهما- أنّ رجلاً أتى عبد الله بن مسعود ﷺ، فقال: اعهدْ إليَّ. فقال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ فارْعِها سَمْعَك، فإنّه خَيْر يأمر به، أو شَرّ ينهى عنه. . . .

وقال ابن جرير: حدثني المثنى، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثنا اللَّيْث، حدثني يونس، قال: قال محمد بن مسلم: قرأت كتاب رسول الله ﷺ الذي كُتب لعمرو بن حَزْم حين بعثه إلى نَجْران، وكان الكتاب عند أبي بكر بن حزم، فيه: هذا بيان من الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾؛ فكتب الآيات منها حتى بلغ: ﴿إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد، حدثنا يونس بن بُكَيْر، حدثنا محمد بن إسحاق، حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم، عن أبيه، قال: هذا كتابُ رسول الله ﷺ عندنا، الذي كتبه لعمرو بن حَزْم، حين بعثه إلى اليمن يُفَقه أهلها، ويعلمهم السنّة، ويأخذ صدقاتهم، فكتب له كتاباً وعهداً، وأمره فيه بأمره، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من الله ورسوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ عَهْدٌ من محمد رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم، حين بعثه إلى اليمن، أمره بتقوى الله في أمره كلّه، فإنّ الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون».

قوله تعالى: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما ومجاهد وغير واحد: يعني بالعقود: العهود. وحكى ابن جرير الإجماع على ذلك، قال: والعهود ما كانوا يتعاهدون عليه من الحلف وغيره.

وقال عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ يعني بالعهود: ما أحلّ الله وما حرّم، وما فرض وما حَدّ في القرآن كله، فلا تغدروا ولا تنكثوا، ثم شدّد في ذلك، فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ الرعد: ٢٥.

وقال الضحاك: ﴿أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ قال: «ما أحلّ الله وما حرّم وما أخذ الله من الميثاق على مَنْ أقرّ بالإيمان بالنبيّ ﷺ والكتاب أن يوفوا بما أخذ الله عليهم من الفرائض من الحلال والحرام... إلخ».

وبالنظر في النموذج السابق وغيره من النماذج في تفسير ابن كثير، يتبين أنّ طريقته في التفسير تقوم على الآتي:

١ يذكر الآية، ثم يُفسّرها بعبارة سهلة موجزة، وإن أمكن توضيح الآية بآية أخرى ذكرها، وقارن بين الآيتين حتى يتبين المعنى ويظهر المراد، وهو شديد العناية بهذا النوع من التفسير الذي يطلق عليه تفسير القرآن بالقرآن، بل يعدّ تفسيره من أشهر كتب التفسير في الاهتمام بتفسير القرآن بالقرآن.

٢ يورد الأحاديث المرفوعة -ذات العلاقة بتفسير الآية- بأسانيدها، ويبيّن ما يُحتَج به وما لا يُحتَج به منها، ثمّ يذكر أقوال الصحابة والتابعين ومَنْ يليهم من علماء السَلَف.

٣ يقوم بالترجيح بين الروايات المختلفة، ويُعَدِّل بعض الرواة ويُجَرِّح بعضاً آخر؛ وذلك بناء على معرفته الوثيقة بعلم الحديث وأصوله.

٤ كثيراً ما نجده ينقل من تفسير ابن جرير وابن أبي حاتم وتفسير ابن عطية، وغيرهم ممّن تقدَّمه من المفسِّرين.

٥ يُنَبِّه إلى ما في التفسير بالمأثور من الروايات الإسرائيلية، ويحذر منها بشدّة.

٦ يذكر أقوال العلماء وأدلتهم في المسائل الفقهيّة عندما يتعرض لآية من آيات الأحكام، ويناقش الأقوال ويرجح بينها.

نشاط:

أرجع إلى تفسير ابن كثير، وأكتب في دفتري نموذجاً يظهر فيه عرض ابن كثير للمسائل الفقهيّة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) من أشهر كتب التفسير بالمأثور جامع البيان في تفسير القرآن للطبريّ.

ب ( ) لا يتعرض ابن جرير الطبريّ لنواحي الإعراب في تفسيره.

جـ ( ) لا يهتم ابن كثير بالقضايا الفقهية في تفسيره مطلقاً.

د ( ) يذكر ابن كثير الروايات بأسانيدها، ويتعرض لبيان درجتها من حيث الصحة والضعف.

٢ أذكر ثلاثة من أشهر كتب التفسير بالمأثور.

٣ أستنتج القواسم المشتركة بين منهج الطبريّ ومنهج ابن كثير في التفسير.

الدرس
٣٣

التفسير بالرأي

تحدثنا في درس سابق عن النوع الأول من أنواع التفسير وهو التفسير بالمأثور، ونتحدث في هذا الدرس عن النوع الثاني وهو التفسير بالرأي. **فما المقصود بهذا التفسير؟، وما حكمه؟، وما أقسامه؟، وما أهم صوره؟**

معنى التفسير بالرأي:

يطلق على **الرأي لغة**: الاعتقاد والاجتهاد والتفكّر في مبادئ الأمور. **والتفسير بالرأي**: يعني أن يستخدم المفسِّر عقله في فَهْم آيات القرآن الكريم واستنباط أحكامه، باذلاً وسعه وطاقته. وقد يطلق على **التفسير بالرأي**: التفسير العقليّ أو التفسير الاجتهاديّ؛ لأنّه قائم على الاجتهاد العقليّ.

أقسام التفسير بالرأي:

الناظر في أقوال السلف الصالح في التفسير بالرأي يجدها تسير في اتجاهين:

الأول: مدح التفسير بالرأي، ومن أمثلة ذلك:

١ ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ، أنه قال لشريح لما بعثه على قضاء الكوفة: «انظر ما تبيّن لك في كتاب الله؛ فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبيّن لك في كتاب الله، فاتبع فيه سنّة رسول الله، وما لم يتبيّن لك فيه سنّة، فاجتهد رأيك».

٢ ما ورد عن الحسن البصري أنّه قال لأبي سلمة بن عبد الرحمن الذي سأله: أرأيت ما تُفتي به الناس، أشيءٌ سمعته أم برأيك؟، فقال الحسن: ما كلّ ما نُفتي به الناس سمعناه، ولكنّ رَأينا لهم خيرٌ من رأيهم لأنفسهم».

الثاني: ذمّ التفسير بالرأي، ومن أمثلة ذلك:

٣ ما ورد عن أبي بكر الصديق ﷺ حينما سُئل عن تفسير حرف من القرآن. فقال: «أيّ سماء تظلني، وأي أرض تقلّني، وأين أذهب، وكيف أصنع، إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى».

٤ ما ورد عن عمر بن الخطاب ﷺ أنّه قال: «اتقوا الرأي في دينكم».

بالنظر إلى الأقوال السابقة في الاتجاهين يظهر وجود تعارض بينها، ولكنّها في حقيقة الأمر ليست كذلك، بل هي دالّةٌ على **أنّ التفسير بالرأي يقسم إلى قسمين، هما:**

- **التفسير بالرأي المحمود**
- **التفسير بالرأي المذموم**

أولاً: التفسير بالرأي المحمود:

وهو ما كان فيه صاحبه متجرداً عن الهوى، ولم يكن مخالفاً للّغة العربيّة ودلالاتها، ولما جاء في الكتاب الكريم والسنّة النبويّة، ومراعياً سائر شروط التفسير. وهذا القسم جائزٌ لا شك فيه.

ومن الأدلة على مشروعيّته:

١ قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ محمد: ٢٤ فالآية القرآنيّة تحثّ على تدبر القرآن والاعتبار بآياته والاتعاظ بمواعظه.

٢ اختلاف الصحابة في تفسير القرآن الكريم، وهذا دليل على أنّ الصحابة اجتهدوا في تفسير القرآن الكريم، ولو كان ذلك محظوراً ما فعلوه.

٣ دعاء الرسول ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما بقوله: «اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل»، فلو كان التفسير مقصوراً على المأثور لما كان هناك فائدة من تخصيص ابن عباس رضي الله عنهما بالدعاء دون غيره من الصحابة.

ثانياً: التفسير بالرأي المذموم:

وهو القول في القرآن بغير علم، سواءً أكان عن جهلٍ أم عن قصورٍ في العلم، أم كان عن هوى يدفع صاحبه إلى مخالفة الحقّ؛ كأن يكون مخالفاً للأدلة الشرعيّة الثابتة، وللّغة العربيّة ودلالاتها، وغير مستوفٍ لشروط التفسير. وهذا القسم غير جائز، بل هو مذموم ومنهيّ عنه.

ومن صور التفسير بالرأي المذموم ما يأتي:

١ تفسير ما لا يعلمه إلا الله تعالى؛ كالخوض في قضايا الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها؛ كوقت قيام الساعة، أو زمن خروج الدابة، أو نزول عيسى عليه السلام، وغير ذلك من القضايا التي لا نستطيع إثباتها دون نصّ من القرآن الكريم، أو السنّة الصحيحة.

٢ معارضة التفسير المنقول عن الرسول ﷺ؛ لأنّه ﷺ أعلم الناس بكتاب الله، ومهمته أن يبيّنه لهم.

٣ معارضة التفسير لدلالات اللّغة العربيّة؛ كتفسير قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ﴾ الإسراء: ٧١، قالوا: المراد أنّ الله تعالى ينادي الناس يوم القيامة بأسماء أمهاتهم، وهذا تفسير يتعارض مع قواعد اللّغة؛ لأنّ (أمّ) لا تُجمع على (إمام)، بل تجمع على (أمهات). والصحيح أنّ المراد بالإمام هنا النبيّ الذي تبعته أمّته.

٤ تفسير القرآن وفق الرأي والهوى: ويكثر هذا عند أهل الأهواء والبدع، حيث إنّهم يعتقدون الرأي، ثم يبحثون عن دليله، وقد يحرّفون الكلم عن مواضعه؛ ليوافق آراءهم، ولو لم يكن لهؤلاء هذا الاعتقاد والرأي لما فُسّر القرآن بهذه التفسيرات المنحرفة. ومثال ذلك: أنّ المعتزلة اعتقدوا أنّ الله سبحانه لا يُرى في الآخرة، وهذا باطل، ثمّ استدلوا لهذا بقوله تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى ﴾ الأعراف: ١٤٣؛ فجعلوا (لَن) لتأبيد النفي، وهذا غير صحيح في هذا الموضع؛ لأنّ هذه الآية تبيّن استحالة رؤية الله في الدنيا، أمّا رؤيته تعالى في الآخرة، فثابتة بقوله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ القيامة: ٢٢-٢٣، وبالأحاديث الصحيحة.

نشاط:

أرجع إلى صحيح الإمام مسلم، وأكتب في دفتري نصّ الحديث الذي يدلّ على رؤية المسلم لربّ العالمين يوم القيامة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يعتمد التفسير بالرأي على الروايات المأثورة بشكل أساسيّ.

ب ( ) ما ورد عن السلف في ذمّ التفسير بالرأي يشمل كلّ أنواع التفسير بالرأي.

جـ ( ) حتى يكون التفسير بالرأي جائزاً لا بدّ من موافقته للقرآن الكريم والسنّة النبويّة.

د ( ) يعتقد المعتزلة بعدم إمكانيّة رؤية الله تعالى في الدنيا والآخرة.

٢ أملأ الفراغ فيما يأتي:

أ يطلق على التفسير بالرأي . . . . . أو التفسير الاجتهاديّ؛ لأنّه . . . . . .

ب يقسم التفسير بالرأي إلى قسمين، هما: . . . . . و . . . . . .

٣ أعلّل: اختلاف الصحابة في تفسير القرآن دليل على جواز التفسير بالرأي.

٤ دعا النبيّ ﷺ لابن عباس بقوله: «اللهمّ فقّهه في الدين وعلّمه التأويل». أوضّح دلالة هذا الدعاء على جواز التفسير بالرأي.

٥ أعرّف التفسير بالرأي المذموم، وأذكر مثالاً عليه.

الدرس
٣٤

نماذج من التفسير بالرأي

تحدثنا سابقاً عن التفسير بالرأي، وبيّنا أنّه يقوم على النظر والاجتهاد، فما كان منه ملتزماً بضوابط التفسير وشروطه؛ فهو من التفسير بالرأي المحمود، وما كان غير ذلك؛ فهو من التفسير بالرأي المذموم. ونعرض في هذا الدرس بعضاً من نماذج التفسير بالرأي المحمود من أمهات كتب التفسير.

أشهر كتب التفسير بالرأي:

هناك العديد من كتب التفسير التي اعتمدت على منهج التفسير بالمأثور، منها:

١ مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير للفخر الرازيّ.

٢ أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاويّ.

٣ الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ.

٤ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسيّ.

وسنعرض في هذا الدرس مجموعة من النماذج لهذا النوع من التفسير، مختارة من تفسيرَي البيضاويّ والقرطبيّ.

أولاً: نموذج من تفسير أنوار التنزيل للبيضاويّ:

تفسير البيضاويّ تفسير متوسط الحجم، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، على مقتضى قواعد اللّغة العربيّة، وقرر فيه الأدلة على أصول أهل السنّة. وقد اختصر البيضاويّ تفسيره من الكشاف للزمخشريّ، ولكنّه ترك ما فيه من آراء المعتزلة، كما تأثّر بشكل واضح بتفسير الرازيّ. ويعدّ تفسير البيضاويّ مرجعاً في القضايا البلاغيّة.

وإليكم نموذجاً من تفسيره:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١.

قال الإمام البيضاويّ في تفسير هذه الآية:

﴿سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً﴾ سبحان: اسم بمعنى التسبيح. ﴿الذي﴾: هو التنزيه، يستعمل علماً له، فيقطع عن الإضافة، ويمنع من الصرف، قال:

قد قلت لما جاءني فخره سبحان مَنْ علقمة الفاخر

ونَصْبُهُ بِفِعْلٍ متروكٍ إِظْهارُهُ، وتصدير الكلام به للتنزيه عن العجز عما ذكر بعده. و﴿أسرى﴾: وسرى بمعنى: سار ليلاً . . . و﴿ليلاً﴾ نصب على الظرف، وفائدته الدلالة بتنكيره على تقليل مدّة الإسراء، ولذلك قرئ: من الليل؛ أي بعضه؛ كقوله: ﴿ومن الليل فتهجد به﴾ و﴿من المسجد الحرام﴾ بعينه، «لما روي أنّه ﷺ قال: بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان إذ أتاني جبريل بالبراق» أو من الحرم، وسماه المسجد الحرام؛ لأنّه كلّه مسجد، أو لأنّه محيط به، أو ليطابق المبدأ المنتهى، لمّا روي أنّه ﷺ كان نائماً في بيت أم هانئ بعد صلاة العشاء؛ فأسري به ورجع من ليلته وقصّ القصة عليها، وقال: مثل لي الأنبياء عليهم السلام، فصليت بهم، ثم خرج إلى المسجد الحرام، وأخبر به قريشاً؛ فتعجبوا منه استحالة، وارتدّ ناس ممّن آمن به، وسعى رجال إلى أبي بكر رضي الله عنه، فقال: إن كان قال لقد صدق، فقالوا: أتصدقه على ذلك؟ فقال: إنّي لأصدّقه على أبعد من ذلك؛ فسمي الصديق، واسْتَنْعَتَهُ طائفة سافروا إلى بيت المقدس، فَجُلِّيَ له، فطفق ينظر إليه وينعته لهم، فقالوا: أمّا النعت فقد أصاب، فقالوا: أخبرنا عن عيرنا، فأخبرهم بعدد جمالها وأحوالها. وقال: تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يَقْدُمها جمل أورق؛ فخرجوا يشتدون إلى الثنيّة، فصادفوا العير كما أخبر، ثمّ لم يؤمنوا، وقالوا: ما هذا إلا سحر مبين، وكان ذلك قبل الهجرة بسنة، واختلف في أنّه كان في المنام أو في اليقظة بروحه أو بجسده، والأكثر على أنّه أسري بجسده إلى بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماوات حتى انتهى إلى سدرة المنتهى؛ ولذلك تعجب قريش واستحالوه، والاستحالة مدفوعة بما ثبت في الهندسة أنّ ما بين طرفي قرص الشمس ضعف ما بين طرفَي كرة الأرض مئة ونيفاً وستين مرة، ثم إن طرفها الأسفل يصل موضع طرفها الأعلى في أقلّ من ثانية، وقد برهن في الكلام أنّ الأجسام متساوية في قبول الأعراض، وأنّ الله قادر على كلّ الممكنات؛ فيقدر أن يخلق مثل هذه الحركة السريعة في بدن النبيّ ﷺ أو فيما يحمله، والتعجب من لوازم المعجزات ﴿إلى المسجد الأقصى﴾: بيت المقدس؛ لأنّه لم يكن حينئذٍ وراءه مسجد ﴿الذي باركنا حوله﴾: ببركات الدين والدنيا؛ لأنّه مهبط الوحي ومتعبد الأنبياء عليهم السلام من لدن موسى عليه السلام ومحفوف بالأنهار والأشجار ﴿لنريه من آياتنا﴾: كذهابه في برهة من الليل مسيرة شهر ومشاهدته بيت المقدس، وتمثل الأنبياء عليهم السلام له ووقوفه على مقاماتهم وصرف الكلام من الغيبة إلى التكلم؛ لتعظيم تلك البركات والآيات، وقرئ ليريه بالياء ﴿إنّه هو السميع﴾ لأقوال محمد ﷺ ﴿البصير﴾ بأفعاله؛ فيكرمه ويقربه على حسب ذلك.

وفي نهاية تفسير السورة قال: وعنه ﷺ: «**مَنْ قرأ سورة بني إسرائيل فرقّ قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة**»، والقنطار ألف أوقية ومئتا أوقية، والله أعلم بالصواب، وإليه المرجع والمآب.

وبالنظر في النموذج السابق وغيره من النماذج في تفسير البيضاويّ، **يتبين أنّ طريقته في التفسير تقوم على الآتي:**

١ يهتم أحياناً بذكر القراءات، ولكنّه لا يلتزم المتواتر منها فيذكر الشاذّ أيضاً.

٢ يعرض للقضايا البلاغيّة والنحويّة.

٣ يناقش عند آيات الأحكام بعض المسائل الفقهيّة، دون توسُّع منه في ذلك، ويميل غالباً؛ لتأييد مذهبه الشافعيّ.

٤ يتناول قضايا العقيدة، ويعرض لمذهب أهل السنّة ومذهب المعتزلة ويقارن بينهما، ولكنّه ينتصر لمذهب أهل السنّة.

٥ نادراً ما يذكر الروايات الإسرائيليّة، وإن ذكرها فإنّه يرويها بصيغة التضعيف، كأن يقول: قيل أو روي.

٦ يذكر في نهاية كلّ سورة حديثاً يدل على فضلها، وما لقارئها من الثواب والأجر عند الله، وغالب هذه الأحاديث ضعيفة أو موضوعة.

ثانياً: نموذج من تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبيّ:

تفسير القرطبيّ يركز بصورة شاملة على آيات الأحكام في القرآن الكريم، وهو من أفضل كُتب التفسير التي عُنيت بالأحكام، وهو فريد في بابه. وصف بأنّه من أجلّ التفاسير وأعظمها نفعاً، أسقط منه مؤلفه التواريخ والقصص، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات والناسخ والمنسوخ.

وإليكم نموذجاً من تفسيره:

قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ البقرة: ١٨٥، عند تفسير القرطبيّ لهذه الآية تحدث عن اختلاف العلماء في حكم صلاة عيد الفطر في اليوم الثاني، فيقول: «لو قُضِيَت صلاة العيد بعد خروج وقتها لأشبهت الفرائض، وقد أجمعوا في سائر السنن أنّها لا تُقضى، فهذه مثلها»، ثم يُعَقِّب القرطبيّ على هذا، فيقول: «قلت: والقول بالخروج -يعنى لصلاة العيد في اليوم الثاني- إن شاء الله أصحّ للسنّة الثابتة في ذلك، ولا يمتنع أن يستثنى الشارع من السُنَن ما شاء، فيأمر بقضائه بعد خروج وقته، وقد روى الترمذيّ عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن لم يُصَلِّ ركعتَي الفجر فليُصَلِّهما بعد ما تطلع الشمس**»، قلت: وقد قال علماؤنا: مَنْ ضاق عليه الوقت، وصَلَّى الصبح، وترك ركعتَي الفجر،

فإنّه يصلّيهما بعد طلوع الشمس إن شاء، وقيل: لا يصليهما حينئذٍ، ثمّ إذا قلنا يصليهما . . . ، فهل ما يفعله قضاء؟، أو ركعتان ينوب له ثوابهما عن ثواب ركعتَي الفجر؟، قال الشيخ أبو بكر: وهذا الجاري على أصل المذهب، وذِكْر القضاء تجوُّز. قلت: ولا يبعد أن يكون حكم صلاة الفطر في اليوم الثاني على هذا الأصل، لا سيّما مع كونها مرة واحدة في السنّة، مع ما ثبت من السنّة. روى النَّسائيّ . . . بسنده: «أنّ قوماً رأوا الهلال، فأتوا النبيّ ﷺ فأمرهم أن يفطروا بعد ما ارتفع النهار، وأن يخرجوا إلى العيد من الغد. وفى رواية: ويخرجوا لمُصَلاهم من الغد».

وبالنظر في النموذج السابق وغيره من النماذج في تفسير القرطبيّ، يتبين أنّ طريقته في التفسير تقوم على الآتي:

١ التركيز على الأحكام الفقهيّة في تفسيره لآيات الأحكام، وهذا مما تميز به تفسير القرطبيّ عن غيره من التفاسير.

٢ تناول قضايا الإعراب وغريب اللّغة

٣ عدم تعصب القرطبيّ لمذهبه المالكيّ، بل يمشي مع الدليل حتى يصل إلى الصواب.

٤ الاعتماد على التفسير بالمأثور.

نشاط:

أرجع إلى تفسير (مفاتيح الغيب) للرازي، وأكتب في دفتري تفسير الآية الثانية من سورة الإسراء.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) من أشهر كتب التفسير بالرأي الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطيّ.

ب ( ) يتميز تفسير البيضاويّ بذكر القضايا البلاغيّة والنحويّة.

جـ ( ) يُعرف عن الإمام القرطبيّ تعصّبه لمذهبه المالكيّ.

د ( ) يتوسع القرطبيّ في تفسير القضايا الفقهيّة.

٢ أذكر ثلاثة كتب من كتب التفسير بالرأي.

٣ أبيّن في نقاط المنهج الذي اعتمده البيضاويّ في تفسيره.

٤ بمَ يتميز الإمام القرطبيّ في تفسيره عن غيره من التفاسير.

الدرس
٣٥

الأحرف السبعة والقراءات القرآنيّة

القرآن الكريم كلام الله تعالى أنزله على الرسول محمد ﷺ، وقد تعهد الله تعالى بحفظه من التحريف والتبديل، فألفاظه التي نتلوها هي الألفاظ التي نقلها الرسول ﷺ عن الوحي، حيث نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، **فما الأحرف السبعة؟، وما الحكمة من إنزال القرآن الكريم بها؟، وما الفرق بينها وبين القراءات؟**. هذا ما نتناوله في هذا الدرس إن شاء الله تعالى.

أولاً: الأحرف السبعة:

نزل القرآن الكريم على سبعة أحرف، ودليل ذلك الأحاديث الصحيحة المرويّة عن الرسول ﷺ، ومنها:

١ قال رسول الله ﷺ: «**أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم أزل استزد ويزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف**»[١].

٢ عن أبيّ بن كعب أنّ النبيّ ﷺ كان عند أضاة بني غفار، قال: فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآنَ على حرف. فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك». ثم أتاه الثانية، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآنَ على حرفين، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك»، ثمّ جاءه الثالثة، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآنَ على ثلاثة أحرف، فقال: «أسأل الله معافاته ومغفرته، وإنّ أمتي لا تطيق ذلك»، ثمّ جاءه الرابعة، فقال: إنّ الله يأمرك أن تقرأ أمتُك القرآنَ على سبعة أحرف فأيّما حرف قرؤوا عليه فقد أصابوا»[٢].

الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف:

يُستَدلّ من الحديثين السابقين أنّ الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف هي التيسير والتخفيف ورفع الحرج عن الأمة؛ فالعرب تختلف لهجاتهم أو نبرات أصواتهم، ومدلولات بعض ألفاظهم، حيث يشقّ عليهم نطق جميع الكلمات بطريقة واحدة ولهجة واحدة؛ فنزل القرآن على سبعة أحرف تيسيراً على الأمة.

١ أخرجه البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.
٢ أخرجه مسلم، كتاب فضائل القرآن، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف.

■ المقصود بالأحرف السبعة:

اختلفت آراء العلماء وتباينت أقوالهم في بيان المراد من الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم، وسبب هذا الاختلاف عدم وجود نصّ يبيّن معنى هذه الأحرف السبعة، فأعمل العلماء عقولهم واجتهدوا في تحديد المراد منها فكان الاختلاف. **وأشهر الأقوال في ذلك:**

١ أنّها سبع لغات من أشهر لغات العرب، والقرآن نزل أولاً بلسان قريش، ثمّ نزل بلغات أشهر سبع قبائل من قبائل العرب نحو: هوازن وثقيف... تختلف فيها الألفاظ وتتفق في المعاني.

٢ أنّها سبع لغات متفرقة في القرآن، فبعضها نزل بلغة قريش، وبعضها بلغة هذيل، وهكذا[1].

٣ أنّها أوجه التغاير بين القراءات.

■ ثانياً: القراءات القرآنيّة

عندما نستمع إلى قراءة القرآن الكريم نسمع أنّ هذه قراءة عاصم برواية حفص، وأخرى قراءة نافع برواية ورش، **فما المقصود بهذه القراءات القرآنيّة؟، وكيف نشأت؟، وما فائدتها؟**

■ تعريف القراءات القرآنية:

القراءات القرآنيّة تعني: العلم الذي يبحث في كيفية النطق بكلمات القرآن الكريم كما نزل بها الوحي بالسند المتصل المتواتر عن الرسول ﷺ.

■ نشأة القراءات القرآنية:

من المعلوم أنّ طريقة نقل القرآن الكريم تختلف عن طريقة نقل أيّ عِلم آخر؛ لأنّ تلقّي القرآن الكريم يعتمد على المشافهة والتلقي؛ بأن يجلس المتعلم أمام المقرئ، ويسمع منه كيفيّة النطق بألفاظ القرآن الكريم، حيث يرى حركة فمه ولسانه وشفتيه عندما ينطق بألفاظ القرآن الكريم، فيتلقى القرآن الكريم من المعلم مباشرةً، ثم يقرأ المتعلم على المقرئ، فيحسّن قراءته ويصححها له. وهذه هي طريقة تلقّي المسلمين للقرآن الكريم منذ عصر الصحابة حتى وقتنا الحاضر

أمّا كيف نشأ علم القراءات؟، فإنّ المصاحف العثمانيّة التي كتبت زمن عثمان رضي الله عنه لم تكن منقوطة ولا مشكولة، وإنّها كتبت بطريقة إملائيّة خاصّة، وبعضها كتب بطريقة تحتمل أكثر من قراءة؛ لتشمل أوجه

١ يختلف هذا الرأي عن الأول؛ لأنه يعني أنّ الأحرف السبعة متفرقة في القرآن، أما الرأي الأول فيعني أن الأحرف السبعة لغات مختلفة في كلمة واحدة مع اتفاق المعنى فيها جميعاً.

القراءات التي نزل بها الوحي على رسول الله ﷺ.

وبعد أن تفرّق الصحابة في البلاد صار كلّ منهم يعلّم المسلمين القراءة التوقيفيّة التي تلقّاها عن رسول الله ﷺ، خاصة أنّ عثمان رضي الله عنه بعث المصاحف إلى الأمصار، وأرسل مع كلّ مصحف قارئاً من الصحابة يعلّم الناس القرآن، وبذلك اختلف أخذ التابعين عنهم حتى وصل الأمر إلى القرّاء المشهورين الذين تخصصوا في علم القراءات.

واشتهر من القرّاء سبعة من الأئمة تواترت قراءاتهم، وهم:

١ إمام الحرم المكّيّ عبد الله بن كثير.

٢ إمام الحرم المدنيّ نافع بن عبد الرحمن.

٣ إمام أهل البصرة أبو عمرو بن العلاء.

٤ إمام أهل الشام عبد الله بن عامر اليوصبيّ.

٥ إمام أهل الكوفة عاصم بن أبي النجود.

٦ إمام أهل الكوفة حمزة بن حبيب.

٧ الإمام الكسائيّ.

نشاط:

هناك ثلاث قراءات مشهورة غير القراءات المتواترة، أرجع إلى أحد كتب علوم القرآن، وأكتب هذه القراءات في دفتري.

■ فوائد اختلاف القراءات القرآنية:

١ **التخفيف والتسهيل على المسلمين:** فقد اختلفت لهجات العرب وتنوعت ألسنتهم، ويصعب على بعضهم النطق بما لم يألفوه؛ لذلك أنزل الله تعالى القرآن على عدّة أوجه رحمة بهم.

٢ **إظهار إعجاز القرآن الكريم في إيجازه:** ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ المائدة: ٦، حيث قُرئت أرجلَكم بالنصب عطفاً على غسل اليدين، وقُرئت بكسر أرجلِكم عطفاً على مسح الرأس، وهذا يفيد معرفة حكم غسل الرجلين في الوضوء ومسحهما في التيمّم. وهذا من باب الإيجاز الذي يُعدّ وجهاً من وجوه الإعجاز القرآنيّ.

٣ **حثّ علماء الأمة على تدبُّر كلمات القرآن الكريم، وفق قراءاته المختلفة واستنباط الأحكام المختلفة رحمة وتوسعة على الناس:** ومثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ البقرة: ٢٢٢؛ فقراءة حمزة والكسائيّ قُرئت يطّهرن بتشديد الطاء، وهذا يعني أنّ الحائض لا تطهر حتى تغتسل، وقراءة الباقين يطْهرن بتسكين الطاء، تفيد أنّ الحائض تطهر بانقطاع الدم؛ فكانت القراءة بالتشديد مفيدة في بيان الحكم الصحيح، وهو أنّ المرأة الحائض لا تطهر إلا بانقطاع الدم والغسل معاً.

٤ بيان المزايا الصوتية للّغة العربيّة واختلاف اللهجات وتنوّعها وآراء العلماء في قضايا النحو؛ فقراءة نافع برواية ورش في قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ البقرة: ١٨٩ بضم الباء في كلمة (البُيوت) والباقين بكسر الباء، وكلاهما تعبران عن لهجة من لهجات العرب.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) كُتبت المصاحف زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه منقوطة مشكولة لا تحتمل إلا قراءة واحدة.

ب ( ) تلقّى الصحابة رضي الله عنهم القرآن الكريم عن رسول الله ﷺ على حرف واحد فقط.

جـ ( ) الأحرف السبعة التي نزل فيها القرآن توقيفيّة من الوحي.

د ( ) القراءات المتواترة التي يُقرأ بها الآن مأخوذة بالسند المتصل إلى رسول الله ﷺ.

٢ أعدّد ثلاثاً من القراءات المتواترة، وأنسبها إلى أصحابها من القرّاء.

٣ من فوائد اختلاف القراءات استنباط الأحكام المختلفة. أمثّل على ذلك بمثال.

٤ أبيّن الحكمة من نزول القرآن الكريم على سبعة أحرف.

الوحـــدة

٥

سورة الإسراء
تلاوةً وتفسيراً وحفظاً

الدرس
٣٦

بين يدي سورة الإسراء

بين يدي السورة:

سورة الإسراء من السور المكّيّة، وهي تبدأ بتسبيح الله وتنتهي بحمده، وتتحدث كغيرها من السور المكّيّة عن موضوعات العقيدة وأصول الدين؛ كالوحدانية والرسالة والبعث.

والعنصر البارز في السورة، ومحور موضوعها الأصيل، هو شخصيّة الرسول ﷺ، وما أيّده الله به من المعجزات الباهرة، والحجج القاطعة الدالّة على صدقه ﷺ.

واشتملت السورة الكريمة على الموضوعات الآتية:

١ ابتدأت السورة في الحديث عن معجزة الإسراء، وسميت بها السورة بياناً لأهميتها باعتبارها مظهراً من مظاهر التكريم الإلهيّ لخاتم الأنبياء والمرسلين، وآية تدل على قدرة الله جلّ وعلا في صنع العجائب والمعجزات، وكشفت عن حكمة الإسراء بقوله تعالى: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١، فيثبت قلبه ويقوى عزمه في مواجهة المشركين الذين يتصفون بالعناد والمكابرة.

٢ تحدثت السورة عن بني إسرائيل؛ لذلك سميت سورة بني إسرائيل، وبيّنت سبب ذلّهم وهلاكهم وتشردهم في الأرض مرتين، وذلك لطغيانهم وإفسادهم وتمرّدهم على أوامر الله عزّ وجلّ؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ الإسراء: ٤، كما توعّدت بني إسرائيل بالمزيد من التشتّت والدمار كلما عادوا إلى الفساد؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ الإسراء: ٨.

٣ قررت السورة أنّ القرآن الكريم يهدي للّتي هي أقوم في العقيدة والعبادة والنظم والسلوك، كما أنّها قرّرت قاعدة عظيمة في المسؤوليّة الفرديّة، فكلّ نفس بما كسبت رهينة، والمسؤوليّة الجماعيّة في التصرفات والسلوك؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ الإسراء: ٩.

٤ تحدّثت السورة عن بعض الآيات الكونيّة الدالّة على عظمة الله ووحدانيته، وعن النظام الدقيق الذي يحكم اللّيل والنهار، ويسير وفق نظام ثابت لا يتبدل؛ قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾ الإسراء: ١٢.

٥ بيّنت الآيات قواعد البناء الاجتماعيّ، وآداب العمل والأخلاق الفاضلة، التي هي أثر من آثار التوحيد والإيمان بالله خالق اللّيل والنهار، والشمس والقمر، فحثّت عليها، ودعت إلى التحلي بها؛ ليقوم على أساسها المجتمع الفاضل المتكافل؛ قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ الإسراء: ٢٣.

٦ تحدثت السورة عن ضلالات المشركين وأوهامهم، حيث نسبوا إلى الله تعالى الشركاء والصاحبة والبنات، مع أنّهم يكرهون البنات، ثم ينسبونها إلى الله العليّ الكبير، المنزّه عن الشبيه والنظير؛ قال تعالى: ﴿أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا﴾ الإسراء: ٤٠.

٧ تعرّضت السورة إلى عناد المشركين ومكابرتهم وإنكارهم لرسالة النبيّ ﷺ ومطالبتهم بمعجزات حسّيّة، فتارة يطلبون نزول الملائكة، وتارة يقترحون أن يكون للرسول ﷺ بيتاً من زخرف، أو جنّة من نخيل وأعناب يفجر الأنهار خلالها تفجيراً، أو يفجر لهم من الأرض نبعاً من الماء يروي صحراءهم القاحلة ويحولها إلى جنان، أو يصعد هو في السماء، ثم يأتيهم بكتاب معه يقرؤونه، وكلّ ذلك لا لطلب الهدى والاقتناع، بل مكابرة وصدّاً عمّا جاء به رسول الله ﷺ من الهدى والنور، ويردّ عليهم بأنّ كلّ ذلك خارج عن وظيفة الرسول ﷺ وطبيعة رسالته، وأنّ موسى عليه السلام قد جاء من قبل بالمعجزات الماديّة الباهرة، فلم تؤدِ إلى إيمان المستكبرين؛ كفرعون وقومه، فأخذهم الله بالعذاب الأليم وأهلكهم بالغرق؛ قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا﴾ الإسراء: ٩٠.

٨ تعرّضت السورة للحديث عن إبليس الذي توعّد بني آدم بإضلالهم عن منهج الله، وأتبعت الآيات ذلك بتخويف الناس من عذاب الله، وتذكيرهم بنعمة الله في تكريم الإنسان، وما ينتظر الطائعين من ثواب عظيم، وما ينتظر العصاة من عذاب أليم، يوم يُدعى كلّ أناس بإمامهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء: ٦١.

٩ استعرضت السورة كيد المشركين للرسول ﷺ، ومحاولة فتنته عن بعض ما أُنزل إليه، وتأمره ﷺ أن يمضي في طريقه، ويدعو الله أن يحسن مدخله ومخرجه، ويعلن مجيء الحق وزهوق الباطل، متمسكاً بالقرآن تلاوة وعملاً؛ إذ فيه هدى المؤمنين وشفاؤهم، فالإنسان دون هدى القرآن الكريم جاهل ضائع؛ لأنّه لم يُؤتَ من العلم إلا قليلاً؛ قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ الإسراء: ٧٣.

١٠ تحدثت الآيات في أواخر السورة عن القرآن الكريم والحكمة من نزوله مفرّقاً؛ ليتلوه الرسول ﷺ على الناس زمناً طويلاً بمناسباته وتعاليمه، فيتأثرون به، ويستجيبون له، ولهم أسوة وقدوة في الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب من قبل، حيث تلقوه بالخشوع إلى حدّ البكاء؛ قال تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ الإسراء: ١٠٥.

١١ خُتمت السورة بالأمر بالتوجه إلى الله ودعائه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى، فهو المستحقّ للحمد، المتّصف بجميع صفات الكمال، والمنزّه عن الشريك والولد وغير ذلك من صفات النقص؛ قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ الإسراء: ١١٠.

نشاط:

أرجع إلى الآيات من ٢٣ -٣٨ في سورة الإسراء، وأستخرج الآداب والقيم الاجتماعيّة الواردة فيها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) سورة الإسراء سورة مكيّة لم تتحدث إلا عن مواضيع العقيدة.

ب ( ) المحور الأساسيّ والعنصر البارز في السورة هو شخصيّة الرسول ﷺ.

جـ ( ) سورة الإسراء لم يرد لها إلا اسم واحد.

د ( ) توعّدت سورة الإسراء بني إسرائيل بالمزيد من التشتّت والدمار كلما عادوا إلى الفساد.

٢ أذكر المعجزات الماديّة التي طالب المشركون بها رسول الله ﷺ حسب ما هو وارد في السورة.

٣ أستخرج من سورة الإسراء الآية الدالّة على المسؤوليّة الفرديّة، والآية الدالة على المسؤولية الجماعيّة.

٤ أعلل: القرآن الكريم يهدي للّتي هي أقوم.

الدرس

٣٧

معجزة الإسراء

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١.

المفردات والتراكيب:

سبحان: اسم للتسبيح؛ أي تنزّه وتقدّس عن كلّ ما لا يليق بجلاله وكماله، وهو خاصّ به سبحانه.

أسرى: سار به ليلاً.

الأقصى: البعيد.

من آياتنا: أي من عجائب قدرتنا، ومظاهرها في الملكوت الأعلى.

المعنى الإجماليّ:

نزّه الله تعالى نفسه عما نسب إليه المشركون من الشركاء والبنات وصفات المخلوقين؛ فقال: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الإسراء: ١؛ أي برسوله محمد بن عبد الله ﷺ في اللّيل من المسجد الحرام بمكّة المكرّمة، حيث خرج من بيت أمّ هانئ إلى المسجد الأقصى ببيت المقدس الذي بارك الله حوله؛ أي بمحيطه وخارجه، وذلك بالأشجار والأنهار والثمار والخيرات. وأمّا داخله فبمضاعفة أجر الصلاة فيه، إذ الصلاة فيه بخمسمئة صلاة، وفي رواية أخرى بألف صلاة، وجاءت رحلة الإسراء والمعراج ليريه الله تعالى من عجائب صنعه في مخلوقاته في الملكوت الأعلى، إنّه هو السميع لأقوال عباده البصير بأعمالهم وأحوالهم، فاقتضت حكمته هذا الإسراء العجيب تكريماً للرسول محمد ﷺ، وتثبيتاً له على دعوة الحقّ بعد تعرّضه للأذى من أهل مكة والطائف.

المعنى التفصيليّ:

تنزيه الله تعالى عما لا يليق بجلاله:

افتُتحت سورة الإسراء بتنزيه الله تعالى عن كلّ ما لا يليق بجلاله، كما يدلّ على ذلك لفظ (سبحان)، وهو اسم مصدر منصوب -على أنّه مفعول مطلق- بفعل محذوف، والتقدير: سبحت الله تعالى سبحاناً؛ أي تسبيحاً، بمعنى نزّهته تنزيهاً من كلّ سوء.

قال القرطبيّ: «وقد روى طلحة بن عبيد الله الفياض ﷺ أحد العشرة -أي المبشرّين بالجنة- أنّه قال للنبيّ ﷺ: ما معنى سبحان الله؟، فقال: «**تنزيه الله من كلّ سوء**».

■ عبودية الرسول ﷺ:

أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة بأنّه أسرى بعبده وخاتم أنبيائه محمد ﷺ. والإِضافة في قوله (بعبده)؛ للتشريف والتكريم.

والتعبير بلفظ العبد؛ للدلالة على أنّ مقام العبودية لله تعالى هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلّها، وللإِشارة أيضاً إلى تقرير هذه العبودية لله تعالى وتأكيدها، حتى لا نضلّ في أصول العقيدة برفع الرسول ﷺ من مقام العبوديّة إلى مقام الألوهيّة.

قال ابن قيّم: «أكمل الخلق أكملهم عبوديّة لله تعالى، ولهذا كان النبيّ ﷺ أقرب الخلق إلى الله تعالى وأعظمهم عنده جاهاً، وأرفعهم عنده منزلة؛ لكماله في مقام العبودية. وكان ﷺ يقول: «أيّها الناس، ما أحبّ أن ترفعوني فوق منزلتي. إنما أنا عبد». وكان يقول: «لا تُطْروني كما أَطرتِ النصارى المسيحَ ابن مريم، إنّما أنا عبد، فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

■ مفهوم الإسراء وكيفية وقوعه:

الإِسراء: السير في اللّيل. وأراد بقوله: (ليلاً) بلفظ التنكير، تقليل مدة الإِسراء. والمعنى: أنّه أسرى به في جزء من اللّيل؛ لأنّ التنكير هنا يدلّ على معنى التبعيض.

والآية تفيد أنّ الإِسراء كان من المسجد الحرام، فعن أنس بن مالك ﷺ أنّ رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا في الحجر -وفي رواية- في الحطيم، بين النائم واليقظان، إذ أتاني آتٍ، فشقّ ما بين هذه إلى هذه، فأستخرج قلبي فغسله ثم أعيد، ثم أتيت بدابّة دون البغل وفوق الحمار أبيض، يقال له: البراق فحمُلت عليه»[2].

وقيل: أُسرِي به من بيت أمّ هانئ بنت أبي طالب، فيكون المراد بالمسجد الحرام: الحرم؛ لإِحاطته بالمسجد. لما ورد عن ابن عباس ﷺ: الحرم كلّه مسجد.

ويمكن الجمع بين هذه الروايات، بأنّ الرسول ﷺ بقي في بيت أمّ هانئ لفترة من اللّيل، ثمّ ترك فراشه عندها وذهب إلى المسجد، فلمّا كان في الحِجْر أو في الحطيم بين النائم واليقظان، أُسري به من المسجد

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، سورة مريم، قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ﴾.
٢ أخرجه البخاريّ، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة.

الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ عُرج به إلى السماوات العلا، ثمّ عاد إلى فراشه قبل أن يبرد، كما جاء في بعض الروايات.

قال تعالى: ﴿مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ الإسراء: ١: بيان لابتداء الإسراء وانتهائه، ووصف مسجد مكّة بالحرام؛ لأنّه لا يحل انتهاكه بقتال فيه، ولا بصيدٍ، ولا بقطع شجره. ووصف مسجد فلسطين بالأقصى؛ لبعده عن المسجد الحرام، إذ المسافة بينهما كان يقطعها الراكب للإبل في مدة شهر أو أكثر.

الربط بين المسجدين:

ربط الله تعالى بين المسجد الحرام أول مسجد بُني في الأرض للعبادة، وثاني مسجد وهو المسجد الأقصى-كما أشارت إلى ذلك الآية- لتتمّ عملية التوأمة الأبديّة الخالدة بين هذيْن المسجديْن، وليكتسب كلّ منهما شرفاً إلى شرفه. فعَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: «**قُلْتُ يَا رَسولَ الله: أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الأَرْضِ أَوَّلُ؟، قَالَ: الْمَسْجِدُ الحرامُ. قُلْتُ: ثُمَّ أَيّ؟، قَالَ الْمَسْجِدُ الأَقْصى، قُلْتُ: كَمْ بَيْنَهُمَا؟، قَالَ: أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَأَيْنَمَا أَدْرَكَتْكَ الصَلاةُ فَصَلِّ فَهُوَ مَسْجِدٌ، وَفِي حَدِيثِ أَبِي كَامِلٍ: ثُمَّ حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَلاةُ فَصَلِّ فَإِنَّهُ مَسْجِدٌ**»[1].

مفهوم المسجد الأقصى ومساحته:

المسجد الأقصى المبارك: هو اسم لكلّ ما دار حوله السور الواقع في أقصى الزاوية الجنوبيّة الشرقيّة من مدينة القدس القديمة المسوّرة، ويشمل كلاً من قبة الصخرة المشرّفة (ذات القبة الذهبيّة) والموجودة في موقع القلب منه، والجامع القِبْلِيّ (ذي القبة الرصاصيّة السوداء) والواقع أقصى جنوبه ناحية (القِبلة)، والمبنى الواقع تحت هذا المسجد، والذي اصطُلح عليه اسم (الأقصى القديم)، ومسجد قبة الصخرة، والمصلى المروانيّ الواقع تحت الجهة الجنوبيّة الشرقيّة، فضلاً عن نحو مئتَي مَعلم آخر تقع ضمن حدود الأقصى، ما بين مساجد، ومبانٍ، وقباب، وأسبلة مياه، ومصاطب، وأروقة، ومدارس، وأشجار، ومحاريب، ومنابر، ومآذن، وأبواب، وآبار، ومكتبات. وتبلغ مساحته المسجد الأقصى حوالي ١٤٤ دونماً.

١ أخرجه مسلم، كتاب المساجد، باب الإسراء برسول الله.

قدسيّة المسجد الأقصى:

قوله: ﴿ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ الإسراء: ١: صفة مدح للمسجد الأقصى؛ أي الذي أحطنا جوانبه بالبركات الدينيّة والدنيويّة.

وتتجلى قدسيّة المسجد الأقصى وأهميّته الدينيّة في كونه:

١ **أولى القبلتين:**

عَنْ الْبَراءِ قَال: «صَلَّيْنَا مَعَ رَسولِ الله ﷺ نَحْوَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَصُرِفَتِ الْقِبْلَةُ إلى الْكَعْبَةِ بَعْدَ دُخولِهِ إلى الْمَدِينَةِ بِشَهْرَيْنِ، وَكَانَ رَسول الله ﷺ إذَا صَلّى إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ أَكْثَرَ تَقَلُّبَ وَجْهِهِ فِي السَماءِ وَعَلِمَ اللهُ مِنْ قَلْبِ نبيّهِ ﷺ أَنَّهُ يَهْوَى الْكَعْبَةَ؛ فَصَعِدَ جِبْرِيلُ، فَجَعَلَ رَسول الله ﷺ يُتْبِعُهُ بَصَرَهُ وَهُوَ يَصْعَدُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ يَنْظُرُ مَا يَأْتِيهِ بِهِ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾، فَأَتَانَا آتٍ، فَقَال: إنَّ الْقِبْلَةَ قَدْ صُرِفَتْ إلى الْكَعْبَةِ، وَقَدْ صَلَّيْنَا رَكْعَتَيْنِ إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَنَحْنُ رُكُوعٌ فَتَحَوَّلْنَا فَبَنَيْنَا عَلَى مَا مَضَى مِنْ صَلاتِنَا، فَقَالَ رَسول الله ﷺ: يَا جِبْرِيلُ، كَيْفَ حَالُنَا فِي صَلاتِنَا إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؟، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾»[1].

٢ **أحد ثلاثة مساجد تُشد إليها الرحال:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النبيّ ﷺ قَالَ: «**لا تُشَدُّ الرحَالُ إلا إلى ثَلاثَةِ مَسَاجِدَ: الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَمَسْجِدِي هَذَا، وَالْمَسْجِدِ الأَقْصَى**»[2].

٣ **مسرى نبيّنا ﷺ:**

عَنْ ابْنِ شِهَابٍ قَال أَبُو سَلَمَةَ: سَمِعْتُ جَابِراً بْنَ عَبْدِ الله رضي الله عنهما قَالَ: «**سَمِعْتُ النبيّ ﷺ يَقُولُ: لَمَّا كَذَّبَتْنِي قُرَيْشٌ قُمْتُ فِي الْحِجْرِ فَجَلّى اللهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَطَفِقْتُ أُخْبِرُهُمْ عَنْ آيَاتِهِ وَأَنا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**»[3].

---

١ أخرجه ابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب القبلة.

٢ أخرجه البخاريّ، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة.

٣ أخرجه البخاريّ، كتاب التفسير، باب سورة بني إسرائيل.

فضل الصلاة في المسجد الأقصى:

عن أبي الدرداء ﷺ أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة في المسجد الحرام بمئة ألف صلاة، والصلاة في مسجدي بألف صلاة، والصلاة في بيت المقدس بخمسمئة صلاة**»[1].

وعَنْ مَيْمونَةَ مَوْلاةِ النبيّ ﷺ قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسول الله: أَفْتِنَا فِي بَيْتِ الْمَقْدِس، قَالَ: أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ ائْتوهُ فَصَلُّوا فِيهِ، فَإِنَّ صَلاةً فِيهِ كَأَلْفِ صَلاةٍ فِي غَيْرِهِ، قُلْتُ: أَرَأَيْتَ إِنْ لَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أَتَحَمَّلَ إِلَيْهِ، قَالَ: فَتُهْدِي لَهُ زَيتًا يُسْرَجُ فِيهِ، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ كَمَنْ أَتَاهُ[2].

الحكمة من الإسراء:

قال تعالى في بيان الحكمة من الإسراء: ﴿لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الإسراء: ١؛ أي لنري محمداً ﷺ آياتنا العجيبة العظيمة، ونطلعه على ملكوت السماوات والأرض، فقد رأى ﷺ السماوات العُلا والجنة والنار، وسدرة المنتهى، والملائكة والأنبياء، وغير ذلك من العجائب والآيات الدالّة على قدرة الله وعظمته.

ما ترشد إليه الآية:

١ تقرير عقيدة الإسراء والمعراج بالرسول ﷺ بالروح والجسد معاً، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ إلى السماوات العُلا، إلى مستوى سُمع فيه صرير الأقلام، وأوحى إليه تعالى ما أوحى، وفرض عليه وعلى أمته الصلوات الخمس.

٢ شرف المسجدين: المسجد الحرام والمسجد الأقصى.

٣ بيان الحكمة من الإسراء والمعراج، وهي أن يرى الرسول ﷺ بعينَي رأسه ما كان آمن به من عظمة الله تعالى وقدرته على الخلق والتدبير.

٤ ضرورة الحفاظ على المسجد الأقصى المبارك؛ وذلك بزيارته والصلاة فيه، وعدم التفريط به، حيث إنّ التفريط به تفريط بالمسجد الحرام.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب الأحاديث، وأستخرج منها حديثيْنِ شريفيْنِ يدلان على مكانة بيت المقدس.

---

١ أخرجه الطبرانيّ في المعجم الكبير، ٢٣/ ٤٢٤.

٢ أخرجه أحمد في مسنده، مسند ميمونة بنت سعد ﷺ، وابن ماجه، كتاب: إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس.

مراجعة عامة لأحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة، مثل (منْ) و(عنْ)، **والتنوين**: هو نون ساكنة زائدة تلحق آخر الأسماء لفظاً لا خطاً، وهو عبارة عن الفتحتين أو الكسرتين أو الضمتين، مثل: كتاباً، وكتابٍ، وكتابٌ. وأحكامهما هي:

الحكم الأول: الإظهار، وهو **لغة**: البيان. **واصطلاحاً**: إظهار النطق بالنون الساكنة والتنوين من مخرجهما من غير غنّة إذا وقع بعدهما حرف من أحرف الإظهار. ويسمى هذا الإظهار بالحلقيّ؛ لأنّ حروفه الستّة تخرج من الحلق. وهي: الهمزة، والهاء، والعين، والحاء، والغين، والخاء.

وهي مجموعة في أوائل الكلمات الآتية: (أخي هاك علماً حازه غيرُ خاسر).

الأمثلة:

العدد	حرف الإظهار	الأمثلة من كلمة	الأمثلة من كلمتين	الأمثلة مع التنوين
١	الهمزة (ء)	ينْئون	مَنْ آمن	كلٌ آمن
٢	الهاء (هـ)	الأنْهار	مِنْ هاد	جرفٍ هار
٣	العين (ع)	أنْعمت	مِنْ علم	حكيمٌ عليم
٤	الحاء (ح)	وتنْحتون	تنزيلٌ منْ حكيم	من حكيمٍ حميد
٥	الغين (غ)	فسينْغضون	منْ غل	قولاً غير
٦	الخاء (خ)	والمنْخنقة	منْ خير	عليمٌ خبير

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) افتتاح سورة الإسراء بلفظ (سبحان) يدل على تنزيه الله تعالى عن كلّ ما لا يليق بجلاله .

ب ( ) يجوز رفع مكانة الرسول ﷺ إلى درجة أعلى من العبوديّة .

جـ ( ) وصف مسجد فلسطين بالأقصى ؛ لبعده عن المسجد الحرام بمكّة المكرّمة .

د ( ) البُراق دابة دون البغل وفوق الحمار .

٢ أوضّح المراد (بعبده)، وأبيّن سرّ الإضافة في هذه الكلمة .

٣ أعلل : سرّ وصف مسجد مكّة بالحرام، وأذكر حديثاً لرسول الله ﷺ يدلّ على أنّ الإسراء كان من المسجد الحرام .

٤ أوضّح مفهوم قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾ الإسراء : ١ .

٥ أبيّن الحكمة في الإسراء به ﷺ إلى بيت المقدس، ثمّ العروج به منه إلى السماوات العُلا .

٦ أستخرج الإظهار الحلقي من الآيات الآتية :

- قال تعالى : ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾ البقرة : ١ .
- قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ ﴾ آل عمران : ٥٧ .
- قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَـٰهَدَ ٱللَّهَ لَـِٕنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ التوبة : ٥٧ .
- قال تعالى : ﴿ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ الأعراف : ٥٦ .

الدرس
٣٨

التوراة هداية لبني إسرائيل

قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ الإسراء: ٢ - ٣.

المفردات والتراكيب:

الكتاب: التوراة.

وكيلاً: شريكاً.

مَنْ حملنا: أي في السفينة.

المعنى الإجماليّ:

أخبر الله تعالى بأنّه تفضّل على سيدنا موسى عليه السلام بإعطائه الكتاب؛ ليكون هدى وبياناً لبني إسرائيل، من أجل ألا يتخذوا غير الله حفيظاً لهم.

أنتم -أيّها الإسرائيليّون- ذريّة المخلصين الذين كانوا مع نوح في الفلك بعد إيمانهم، ونجيناهم من الغرق، اجعلوا نوحاً قدوتكم كما جعله أسلافكم، فإنّه كان عبداً كثير الشكر لله على نعمه.

العلاقة بين هاتين الآيتين والآية التي قبلهما:

لمّا بيّن الله تعالى في الآية الأولى من هذه السورة أنّ أمة الإسلام هي الأمينة على رسالة الوحي وقيادة البشريّة، والمرابطة في بيت المقدس، حذّرها من السير على نهج بني إسرائيل -المتمثل بالإفساد في الأرض والضلال- حتى لا يصيبها ما أصابهم من التشرّد والتشتّت، وحلول غضب الله عليهم.

المعنى التفصيليّ:

الواو في قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الإسراء: ٢، استئنافيّة، أو عاطفة على قوله: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ ﴾ الإسراء: ١. **والمراد بالكتاب:** التوراة التي أنزلها الله تعالى على نبيّه موسى عليه السلام. والضمير المنصوب في قوله: (وجعلناه) يعود على الكتاب أو على موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿ أَلَّا تَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِى وَكِيلًا ﴾ الإسراء: ٢، يعني: آتينا موسى الكتاب من أجل أن يكون هداية

لبني إسرائيل إلى الصراط المستقيم، وقلنا لهم: لا تتخذوا غير الله تعالى معبوداً، تفوضون إليه أموركم، وتكلون إليه شؤونكم، فهو سبحانه ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ المزمل: ٩.

فوائد ذكر ذريّة نوح عليه السلام:

قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ الإسراء: ٣، **يتضمن فوائد وتوجيهات، أهمها:**

١ تنبيه بني إسرائيل إلى نعمه -سبحانه- عليهم، حيث جعلهم من ذريّة أولئك الصالحين الذين آمنوا بنوح عليه السلام.

٢ حضّهم في السير على منهاجهم في الإيمان والعمل الصالح، فإنّ شأن الأبناء أن يقتدوا بالآباء في التقوى والصلاح.

٣ تذكيرهم بضعفهم وحالهم المحتاج إلى رحمة الله تعالى وإنجائه لهم كما نجّى قوم نوح. وقوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ الإسراء: ٣، ختام للآية قصد به الثناء على نوح عليه السلام؛ أي أنّ نوحاً عليه السلام كان من عبادنا الشاكرين لنعمنا، المستعملين لها فيما خُلقت له، المتوجهين إلينا بالتضرع والدعاء في السراء والضراء.

ما ترشد إليه الآيتان:

١ بيان فضل الله تعالى على الأمة الإسلاميّة وعلى بني إسرائيل.

٢ بيان سرّ إنزال الكتب الإلهيّة، وهو هداية الناس إلى عبادة الله تعالى وتوحيده.

٣ وجوب شكر الله تعالى على نعمه بالسير على منهجه القويم، والتمسك بسنّة رسوله الكريم.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) معنى ﴿وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي جعلنا القرآن هادياً لبني إسرائيل .

ب ( ) الواو في قوله تعالى : ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى﴾ تفيد القسم .

جـ ( ) مفهوم قوله تعالى : ﴿أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾ ؛ أي شريكاً .

د ( ) إعراب قوله (ذريّة) منصوب على التعظيم .

٢ أذكر ما ترشد إليه هاتان الآيتان .

٣ أعدّد أحرف الإظهار، وأستخرج مواطن الإظهار في الآيتين السابقتين من سورة الإسراء .

٤ أبيّن الفوائد التي يتضمنها قوله تعالى : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٍ﴾ الإسراء: ٣ .

٥ أوضّح العلاقة بين الآية ٢ ، والآية ٣ من سورة الأعراف وما قبلهما .

٦ أعرّف الإظهار الحلقيّ لغة واصطلاحاً .

الدرس
٣٩

إفساد بني إسرائيل وعاقبتهم

قال تعالى: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ الإسراء: ٤ - ٦ .

■ المفردات والتراكيب:

وقضينا: أي أعلمناهم قضاء نافذاً فيهم .

في الكتاب: أي التوراة .

أولاهما: أي أولى المرّتيْن .

فجاسوا خلال: أي ترددوا مجيئاً وذهاباً وسط الديار يقتلون ويفسدون .

■ المعنى الإجماليّ:

يخبر الله تعالى بأنّه أعلم بني إسرائيل بقضائه فيهم، وذلك في كتابهم التوراة، إذ إنّهم يفسدون في الأرض بارتكاب المعاصي والذنوب، ويستكبرون في الأرض بالجرأة على الله تعالى وظلم الناس استكباراً عظيماً، فإذا جاء وقت المرّة الأولى وظلموا بانتهاك حدود الشرع والإعراض عن طاعة الله تعالى، والتجرؤ على قتل أنبيائهم عليهم السلام عاقبهم الله تعالى بأن أرسل عليهم مَنْ يسومهم سوء العذاب؛ فيفرق شملهم ويخرّب ديارهم .

وما حصل لهم في المرة الأولى من الخراب والدمار كان وعداً من الله تعالى، وقضاءً لازماً جزاء أعمالهم، ولمّا صلح حالهم واستقاموا على منهج الله تعالى في عهد داود وسليمان عليهما السلام ردّ الله لهم الكَرّة على عدوهم، وأمدّهم بأموال وبنين .

■ المعنى التفصيليّ:

الإفساد الأول لبني إسرائيل:

قوله تعالى: ﴿ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ ﴾ الإسراء: ٤، يشير إلى ما كان من بني إسرائيل من فساد في الأرض، وما سيكون منهم لاحقاً، وهذا الإخبار فيه توجيه وإرشاد للمسلمين بأنّ الإنسان يلقى جزاء عمله وعاقبة فعله .

والمراد بالكتاب: التوراة، وقيل اللوح المحفوظ. واللام في قوله: (لتفسدنّ) جواب قسم محذوف تقديره: والله لتفسدنّ. و(مرّتيْنِ) منصوب على أنّه مفعول مطلق لقوله: (لَتفسدنّ) من غير لفظه، والمراد لتفسدنّ إفسادتين.

وقوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٤، يدل على تكبّرهم وتجبّرهم وبغيهم وعدوانهم. والمعنى: أنّ الله تعالى أخبر بني إسرائيل عن طريق رسلهم بأنّهم سيفسدون في الأرض مرّتين، ويستكبرون على الناس بغير حقّ استكباراً كبيراً يؤدي بهم إلى الخسران والدمار والهلاك.

ومن مظاهر فساد بني إسرائيل في الأرض: تحريفهم للتوراة، وتركهم العمل بما جاء فيها من أحكام، وقتلهم الأنبياء والمصلحين.

سرّ التعبير بالقضاء:

جاء التعبير عما يكون منهم من إفساد بالقضاء وأنّه في الكتاب؛ للدلالة على وقوعه حتماً، وعلى علم الله الكامل المحيط بكلّ شيء، وأكّد وقوع إفسادهم واستعلائهم بلام القسم؛ للتأكيد على وقوعه وثبوته.

عاقبة إفساد بني إسرائيل الأول:

بيّن الله تعالى لنا أنّ سنّته تقضي بمعاقبة المفسدين في الأرض، ولهذا سلّط الله على بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول في الأرض مَنْ يقهرهم، ويستبيح حرماتهم، ويخرب ديارهم، ويشتتهم في الأرض؛ قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ الإسراء: ٥. والمراد بالوعد: الموعد المحدد لعقابهم بسبب إفسادهم في الأرض، والضمير في (أولاهما) يعود على المرتين.

والمعنى: فإذا جاء وقت عقابكم -يا بني إسرائيل- بسبب إفسادكم الأول، أرسلنا عليكم عباداً لنا من أصحاب البطش والشدة في الحروب فأذلوكم وقهروكم، وبحثوا عنكم في كلّ مكان لقتلكم وهتك أعراضكم وسبيكم، وكان ذلك وعداً نافذاً لا مفرّ منه.

مَنْ هم هؤلاء العباد؟

اختلف المفسرون في تعيين هؤلاء العباد الذين بعثهم الله لمعاقبة بني إسرائيل بعد إفسادهم الأول؛ فعن ابن عباس وقتادة: «هم جالوت وجنوده». وقال ابن جبير وابن إسحاق: «هم سنحاريب ملك بابل وجنوده». وقيل: «هم العمالقة». وقيل: «بختنصر».

■ **ما فائدة إخبار الله تعالى عن إفساد بني إسرائيل في الأرض مرتين؟**

تتمثل هذه الفائدة بالنقاط الآتية:

١ تنبيه العقلاء في جميع الأمم أن يحذروا من مواقعة المعاصي التي تؤدي إلى الهلاك، وأن يحذّروا أممهم من ذلك، ويبصّروهم بسوء عاقبة السير في طريق الغيّ، حتى لا يعرّضوا أنفسهم لعقاب الله عزّ وجلّ.

٢ تنبيه اليهود ومَنْ على شاكلتهم في الفسوق والعصيان من المشركين إلى سنّة من سنن الله في خلقه، وهي أنّ الإفساد عاقبته الخسران.

٣ إنّ الأمم المغلوبة على أمرها تستطيع أن تستردّ مجدها متى أصلحت من شأنها، ومتى استقامت على أمر الله تعالى.

■ نِعَم الله على بني إسرائيل:

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾ الإسراء: ٦، تذكّر هذه الآية الكريمة بني إسرائيل بجملة من نِعَم الله تعالى عليهم، بعد أن أصابهم ما أصابهم من أعدائهم.

■ **وتتمثل هذه النِعَم بالآتي:**

- **النعمة الأولى: النصر والغَلَبة:** وقد عبّر عنها -سبحانه- بقوله: ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ ﴾، والكَرَّة: أصلها من الكَرِّ وهو الرجوع؛ أي: ثمّ أعدنا لكم -يا بني إسرائيل- الدولة والغلبة على أعدائكم الذين قهروكم وأذلوكم، بعد أن أحسنتم العمل، ورجعتم إلى الله تعالى، واتّبعتم ما جاءكم به رسلكم.

  وأمّا سرّ التعبير بالفعل الماضي بقوله: (رددنا) فهو الدلالة على تحقق الوقوع.
- **النعمة الثانية: الإمداد بالأموال والبنين:** وقد عبّر عنها -سبحانه- بقوله: ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ ﴾؛ أي: لم نكتفِ بأن جعلنا النصر لكم على أعدائكم، بل -فضلاً عن ذلك- أمددناكم بالكثير من الأموال والأولاد، بعد أن نهب أعداؤكم أموالكم، وقتلوا الكثيرين من أبنائكم.
- **النعمة الثالثة: تكثير سوادهم ومقاتليهم:** وتتجلى في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴾، والنفير: مَنْ ينفر مع الرجل من قومه لنصرته ومؤازرته. والمعنى: وجعلناكم أكثر عدداً وقوة من أعدائكم الذين جاسوا خلال دياركم.

فمن الواجب عليكم أن تقدّروا هذه النِعَم، وأن تحسنوا الاستفادة منها، بأن تشكروا الله تعالى وتخلصوا له العبادة والطاعة، فقد نصركم بعد هزيمتكم، وأغناكم بعد فقركم، وكثّركم بعد قلتكم.

أفكر:

ما الحكمة من تحدُّث القرآن الكريم عن فساد بني إسرائيل بعد التحدث عن معجزة الإسراء؟.

ما ترشد إليه الآيات:

١ ما قضاه الله تعالى كائن، وما وعد به واقع، والإيمان بذلك واجب.

٢ التنديد بالإفساد والظلم والعلوّ في الأرض بغير الحقّ أو المقترن بالظلم، وبيان سوء العاقبة.

٣ الإفساد في الأرض من طبع بني إسرائيل.

التلاوة والتجويد

الإدغام:

الإدغام لغة: إدخال شيء في شيء.

واصطلاحاً: التقاء حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً.

عدد أحرفه: ستة أحرف فقط وهي: الياء، الراء، الميم، اللام، الواو، النون. وهي مجموعة في كلمة (يرملون).

والإدغام قسمان:

- القسم الأول: إدغام بغنة، وأحرفه أربعة وهي: الياء، النون، الميم، الواو. وهي مجموعة في كلمة (ينمو).
- القسم الثاني: وإدغام بغير غنة وحرفاه (اللام والراء).

وإليك الأمثلة:

العدد	حروف الإدغام بغنّة	الأمثلة مع النون	الأمثلة مع التنوين
١	الياء (ي)	مَن يقول	بَرقٌ يجعلون
٢	النون (ن)	مِن نعمة	يومئذٍ ناعمة
٣	الميم (م)	مِن مال الله	لؤلؤاً منثورا
٤	الواو (و)	مِن وال	ولكلٍّ وجهة

فائدة:

الإدغام بغنّة –كما رأينا– لا يكون إلا من كلمتين، فإذا وقع حرف الإدغام والنون الساكنة في كلمة واحدة وجب إظهارها. مثل: دنيا، قنوان، صنوان، بنيان. وهي أربع كلمات لا خامس لها في القرآن الكريم.

نشاط:

أكتب في دفتري مثالين على الإدغام بغنة من الآيات السابقة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ أي أعلمناهم قضاءً غير نافذ فيهم.

ب ( ) اللام في قوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ جواب قسم محذوف.

جـ ( ) «مرّتيْن» في قوله تعالى: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ منصوب على أنّه مفعول لأجله.

د ( ) «لتعلُنّ» في قوله تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ من العلوّ، وهو التطاول بالبنيان.

٢ أعلّل: سرّ التعبير بالقضاء في قوله: (وقضينا).

٣ أبيّن مظاهر فساد بني إسرائيل في الأرض مع بيان عاقبة إفسادهم الأول.

٤ أبيّن مَنْ هم هؤلاء العباد في قوله تعالى: ﴿عِبَادًا لَّنَآ﴾.

٥ أبيّن الفوائد المترتّبة على إخبار بني إسرائيل أنّهم يفسدون في الأرض مرّتيْن.

٦ أعرّف الإدغام لغة واصطلاحاً.

٧ أعدّد أحرف الإدغام بغنّة.

٨ أبيّن مواطن الإدغام بغنة في الآيات الآتية:

أ قال تعالى: ﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ القدر: ٣.

ب قال تعالى: ﴿وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ البلد: ٩.

جـ قال تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ المسد: ٥.

الدرس

٤٠

الجزاء من جنس العمل

قال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء: ٧ – ٨.

■ المفردات والتراكيب:

إن أحسنتم: أي طاعة الله وطاعة رسوله بالإخلاص فيها وبأدائها على الوجه المشروع لها.

وعد الآخرة: أي المرّة الثانية.

ليسوؤوا وجوهكم: أي ليذلوكم.

وليتبّروا ما علوا تتبيرا: أي وليدمّروا ما غلبوا عليه من ديار بني إسرائيل تدميراً.

وإن عدتم عدنا: أي وإن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بتسليط الأعداء عليكم.

حصيراً: أي محبساً وسجناً.

■ المعنى الإجماليّ:

تخاطب الآيات الكريمة بني إسرائيل، وتبيّن لهم أنّهم إن أحسنوا بطاعتهم لله تعالى ولرسله، واستقامتهم على دينه، فإنّ الله تعالى لا يتخلى عنهم، أمّا إن أساءوا بالفساد والمعصية والعدوان فسيتحملون عاقبة إساءتهم في الدنيا والآخرة، إلاّ أنّهم لم يتعظوا ولم يعتبروا بما أصابهم في المرّة الأولى، حيث عادوا إلى الإفساد مرة أخرى؛ فحقّ عليهم وعد الله تعالى بأن بعث عليهم من عباده من يسومهم سوء العذاب، ويدمر كيانهم ودولتهم، وتوعدهم الله تعالى بأنّ هذه العقوبة ستبقى قائمة ما داموا على الإفساد.

■ المعنى التفصيليّ:

■ كل إنسان مسؤول عن عمله:

بيّن الله تعالى أنّ الإحسان عاقبته الفلاح، والعصيان عاقبته الخسران، وأنّ كلّ إنسان مسؤول عن عمله؛ فقال تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ الإسراء: ٧؛ أي: إن أحسنتم -أيّها الناس- أعمالكم، بأن أديتموها بالطريقة التي ترضي الله تعالى، أفلحتم وسعدتم في الدنيا والآخرة،

وجنيتم الثمار الطيّبة التي تترتب على هذا الإحسان للعمل، وإن أسأتم أعمالكم، بأن آثرتم الأعمال السيّئة على الأعمال الحسنة، خسرتم وشقيتم وتحملتم وحدكم النتائج الوخيمة التي تترتب على إتيان الأعمال التي لا ترضي الله تعالى.

وقد رأيتم كيف أنّ الإفساد كانت عاقبته أن ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ الإسراء: ٥. وكيف أنّ الإحسان كانت عاقبته أن ﴿رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ﴾ الإسراء: ٦، على أعدائكم ﴿وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ الإسراء: ٦.

■ العذاب الذي يحلّ ببني إسرائيل بعد الإفساد الثاني:

بيّن الله -سبحانه- ما يحل بهم من دمار بعد إفسادهم للمرّة الثانية؛ فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْأَخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ الإسراء: ٧.

والمعنى: إذا جاء وقت عقوبتكم يا بني إسرائيل بسبب إفسادكم الثاني في الأرض، بعثنا عليكم أعداءكم؛ ليجعلوا آثار السوء والذل والحزن بادية على وجوهكم، من شدة ما تلقونه منهم من إيذاء وقتل.

وقوله سبحانه: ﴿وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الإسراء: ٧، معطوف على ما قبله وهو قوله سبحانه ﴿لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ الإسراء: ٧. والمراد بالمسجد: المسجد الأقصى الذي ببيت المقدس. ومعنى ﴿كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ الإسراء: ٧: أي بالسيف والقهر والغلبة والإذلال. وقوله تعالى: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ الإسراء: ٧ يُشعر بشدة العقوبة التي أنزلها أولئك العباد ببني إسرائيل؛ إذ التتبير: معناه الإهلاك والتدمير والتخريب لكلّ ما تقع عليه أيديهم.

و (ما) في قوله: ﴿مَا عَلَوْا۟﴾ الإسراء: ٧: اسم موصول بمعنى الذي. ﴿تَتْبِيرًا﴾ الإسراء: ٧: مفعول مطلق مؤكّد لعامله.

وتبيّن نهاية الآيات الكريمة أنّ الدمار الذي حلّ ببني إسرائيل بسبب إفسادهم في الأرض مرّتين، قد يكون طريقاً لرحمتهم، وسبباً في توبتهم وإنابتهم، إن فتحوا قلوبهم للحقّ، واعتبروا بالأحداث الماضية، وفهموا عن الله تعالى سنّته التي لا تتخلف، وهي أنّ الإحسان يؤدي إلى الفلاح والظفر، والإفساد يؤدي إلى الخسران والهلاك.

وقد عبّر القرآن الكريم عن هذه المعاني أبلغ تعبير وأحكمه؛ فقال تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء: ٨؛ أي: عسى ربكم أن يرحمكم ويعفو عنكم يا بني إسرائيل متى أخلصتم له العبادة والطاعة، وأصلحتم أقوالكم وأعمالكم، فقد علمتم أنه -سبحانه- لا يُنزل عذاباً إلا بذنب، ولا يرفعه إلا بتوبة.

وقوله -سبحانه-: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ الإسراء: ٨، إنذار لهم بإنزال العقوبات عليهم إن عادوا إلى فسادهم وإفسادهم. والمعنى: وإن عدتم إلى المعاصي ومخالفة أمري، وانتهاك حرماتي، بعد أن تداركتكم رحمتي، عدنا عليكم بالقتل والتعذيب وخراب الديار.

ولقد عادوا إلى الكفر والفسوق والعصيان، حيث أعرضوا عن دعوة الحقّ التي جاءهم بها الرسول ﷺ، ولم يكتفوا بهذا الإعراض بل همّوا بقتله ﷺ، وأيّدوا كلّ متربّص بالإسلام والمسلمين، فكانت نتيجة ذلك أن عاقبهم النبيّ ﷺ وأصحابه بما يستحقون من إجلاء وتشريد وقتل.

ثم بين سبحانه عقوبتهم في الآخرة، فقال: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء: ٨؛ أي: سجناً حاصراً لكم لا تستطيعون الهروب منه، أو الفكاك عنه.

ما ترشد إليه الآيات:

١ إنّ الإيمان والصلاح عاقبتهما الفلاح، وإنّ الكفر والفساد عاقبتهما الشقاء، وعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

٢ صدق وعد الله تعالى.

٣ وجوب الرجاء في الله، وهو انتظار الفرج والخير منه، وإن طال الزمن.

التلاوة والتجويد

القسم الثاني من الإدغام: (الإدغام بغير غنة)

وله حرفان فقط، وهما: اللام والراء.

وإليك الأمثلة:

العدد	حرفا الإدغام بغير غنة	الأمثلة مع النون	الأمثلة مع التنوين
١	اللام (ل)	مِنْ لّدنه	ويلٌ لّكلّ همزةٍ لّمزة
٢	الراء (ر)	مِنْ رّبهم	غفورٌ رّحيم

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ ؛ أي إن رجعتم إلى الفساد والمعاصي عدنا بالتسليط عليكم .

ب ( ) ﴿حَصِيرًا﴾ ؛ أي محبساً وسجناً .

ج ( ) ﴿وَلِيُتَبِّرُوا﴾ ؛ أي ليصلحوا .

٢ أوضّح معنى قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ﴾ الإسراء : ٧ .

٣ أبيّن المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ الإسراء : ٨ .

٤ أذكر ثلاثة مما ترشد إليه الآيات .

٥ ما حكم النون الساكنة إذا وقع بعدها حرف اللام أو الراء؟

٦ أحدّد مواطن الإدغام بغير غنّة في الايات الآتية :

أ قال تعالى : ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ البلد : ٥ .

ب قال تعالى : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ القارعة : ٧ .

الدرس

٤١

القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد

قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ الإسراء: ٩ – ١١ .

■ المفردات والتراكيب:

يهدي للّتي هي أقوم: يهدي إلى الطريقة التي هي أعدل وأصوب.

أعتدنا: أعددنا.

■ المعنى الإجماليّ:

يرشد القرآن الكريم الناس إلى أحسن الطرق، وهي ملّة الإسلام، ويبشر المؤمنين الذين يعملون بما أمرهم الله به، وينتهون عمَّا نهاهم عنه، بأن أعدّ لهم ثواباً عظيماً، أمّا الذين لا يصدقون بالدار الآخرة وما فيها من الجزاء، فلهم عذاب شديد في نار جهنم.

ومن طبع الإنسان العجلة في القول والفعل، فيسارع بالدعوة إلى الشر مسارعته في الدعوة إلى الخير.

■ المعنى التفصيليّ:

■ صفات القرآن الكريم:

لما تنكّر بنو إسرائيل لرسالة الإسلام ولم يؤمنوا به، بيّن الله تعالى أنّ القرآن الكريم كتاب أنزل ليهدي الناس إلى المنهج القويم، وأنكر على بني إسرائيل عدم الإيمان به، مع أنّه كالتوراة كتاب سماويّ أنزله الله تعالى، وكان الأصل بهم أن يؤمنوا به؛ **لأنّه متّصف بثلاث صفات هي:**

- **الصفة الأولى:** أنّه يرشد للسبيل التي هي أقوم، فهو يهدي لأقوم الطرق وأوضّح السبل، وإلى الطريقة المثلى التي هي الدين القيّم، والملّة الحنفيّة السمحة التي تقوم على أساس التوحيد الخالص لله، وأنّه الفرد الصمد، صاحب الملك والعزّة والجبروت، المعزّ المذلّ الذي يحيي ويميت، ويدعو إلى فضائل الأعمال، وإلى خيرَي الدنيا والآخرة.
- **الصفة الثانية:** أنّه يبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنّ لهم أجراً كبيراً يوم القيامة، جزاء عملهم.

- **الصفة الثالثة**: أنّه ينذر الذين لا يصدقون بوجود الله ووحدانيته، ولا بالمعاد والثواب والعقاب، ولا يعملون الخير، بأنّ لهم عذاب جهنم، جزاء ما قدمت أنفسهم.

وقد احتوت الآيات على نوعين من البشارة:

- **الأولى**: بشارة المؤمنين بالثواب الذي ينتظرهم في الآخرة.
- **الثانية**: بشارة المؤمنين بالعذاب الذي سيحل بأعدائهم يوم القيامة.

وفي هذه البشارة المزدوجة مسرّة لأهل الإيمان، ووعيد للكفار والعصاة.

هداية القرآن للتي هي أقوم:

المنهج الإلهيّ هو أقوم المناهج وأصلحها؛ لأنّه منهج الخالق سبحانه الذي يعلم مَنْ خلق، ويعلم ما يصلحهم، وهكذا نجد المنهج الإلهيّ يرسم لنا الطريق الأقوم الذي يضمن لنا سلامة الحياة واستقامتها، فلو تدبرت هذا المنهج لوجدته الأنسب في كافة جوانب الحياة؛ في العقائد والعبادات والأخلاق الاجتماعيّة العامة، وفي العادات والمعاملات، فهو منهج ينتظم الحياة كلّها.

- **ففي العقائد**: جاء الإسلام ليجابه مجتمعاً متناقضاً بين مَنْ ينكر وجود إله في الكون، وبين مَنْ يقول بتعدد الآلهة، فجاء الإسلام بالمنهج الأقوم، وهو إثبات وجود إله واحد لا شريك له.
- **وفي السلوك**: وفّق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه، وبين عقيدته وعمله، فيصبح العمل عبادة متى توجه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعاً واستمتاعاً بالحياة.
- **وفي العبادة**: وازن بين التكاليف والطاقة، فلا تشقّ التكاليف على النفس حتى تملّ وتيأس من الوفاء، ولا تترخص إلى درجة الاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

وهكذا الأمر في نظام الحكم، ونظام الاقتصاد، ونظام الاجتماع، وغير ذلك من مجالات الحياة المختلفة.

الإنسان بطبعه متعجل:

بينت الآيات الكريمة أنّ الإنسان بطبعه يتعجل النتائج دائماً، فيظلم نفسه ويحمّلها فوق طاقتها، فيسارع بالدعاء على أمواله وأولاده في وقت الغضب والتضجر، فيدعو عليهم بالشّر؛ قال تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ﴾ الإسراء: ١١، إلاّ أنّ الله تعالى لطيف بعباده، لا يجيب دعاء المتعجل بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة، ولو استجاب دعاءه لهلك؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ يونس: ١١.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ: أنّ النبيّ ﷺ قال: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**»[1]. وفي رواية: «**لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإنّ الملائكة يؤمّنون على ما تقولون**»[2].

والذي يحمل الإنسان على ذلك مع الأسف: هو قلقه وعجلته، وطمعه وحرصه، كما صوّر القرآن هذا الطبع في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ الإسراء: ١١؛ أي يتعجل تحصيل المطلوب دون تفكير في عواقبه.

ما ترشد إليه الآيات:

١ بيان فضل القرآن الكريم، بهدايته إلى الإسلام الذي هو سبيل السعادة للإنسان.

٢ تبشير المؤمنين الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنّة، وإنذار أعدائهم الكفار بالعقاب في نار جهنم.

٣ العجلة طبع الإنسان، فلا بدّ من تهذيبه بالآداب القرآنيّة والأخلاق النبويّة.

٤ القرآن الكريم يتضمن المنهج الأقوم في العقيدة والشريعة والسلوك.

التلاوة والتجويد

الإقلاب

هو قلب النون الساكنة أو التنوين (ميماً) مخفاة مع مراعاة الغنّة، وذلك إذا جاء بعدها (باء)
مثل: (أَنْبَتَكُمْ - مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ - لَيُنْبَذَنَّ)؛ فالنون في هذه الأمثلة تقلب ميماً مخفاة.

فائدة:

في حالة الإقلاب: يوجد فوق النون ميم صغيرة (م) في المصاحف بدلاً من السكون، كما توجد الميم الصغيرة نفسها بدلاً من إحدى الفتحتين أو الضمتين أو الكسرتين في حالات التنوين، نحو: ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ﴾ البينة: ٤.

نشاط:

أرجع إلى أحد كتب التفسير البيانيّ، وأستخرج منه دلالة استخدام اسم الإشارة (هذا) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ الإسراء: ٩.

١ أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل.

٢ أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يستحب من إغماض عينيه إذا مات.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) من طبع الإنسان العجلة في القول والفعل .

ب ( ) يجمع القرآن الكريم في دعوة الناس إلى الإيمان بين أسلوبَي الترغيب والترهيب .

ج ( ) القرآن الكريم يهدي لأقوم الطرق، وهي طريق الإيمان والهداية .

٢ احتوت الآيات على نوعين من البشارة . أبيّنهما .

٣ أبيّن حكم دعاء الإنسان على نفسه وأهله في حال الغضب بالشر، مع الدليل .

٤ أوضّح المعنى المستفاد من قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾ .

٥ أعلّل : المنهج الإلهيّ هو أقوم المناهج وأصلحها .

٦ أبيّن حكم التنوين فيما تحته خط : في قوله تعالى : ﴿ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ الإسراء : ١٠ .

٧ أتلو الآيات القرآنيّة الآتية، وأستخرج منها أمثلة لحكم الإقلاب :

أ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ النمل : ٨ .

ب قال تعالى : ﴿ مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾ لقمان : ٢٨ .

ج قال تعالى : ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ ﴾ يوسف : ٤٧ .

د قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴾ الليل : ٨ .

الدرس

٤٢

من آيات الله الكونيّة

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ۖ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ الإسراء: ١٢ .

المفردات والتراكيب:

آيتين: علامتين دالّتين على وجود الله وقدرته .

فمحونا آية اللّيل: طمسنا نورها بالظلام الذي يعقب غياب الشمس .

مبصرة: واضحة

عدد السنين والحساب: حساب ساعات النهار واللّيل وأوقاتها؛ كالأيام والأسابيع والشهور والسنين .

المعنى الإجماليّ:

جعل الله اللّيل والنهار علامتين دالّتيْن على وحدانيته وقدرته وعظمته، فمحا علامة اللّيل -وهي القمر- وجعل علامة النهار -وهي الشمس- مضيئة؛ ليبصر الإنسان في ضوء النهار كيف يتصرف في شؤون معاشه، ويخلد في اللّيل إلى السكن والراحة، وليعلم الناس -من تعاقب اللّيل والنهار- عدد السنين وحساب الأشهر والأيام، فيرتبون عليها ما يشاؤون من مصالحهم الدنيويّة والأخرويّة .

المعنى التفصيليّ:

هذه الآية تبيّن بعض نِعَم الحياة الدنيويّة، وهي أيضاً تدلّ على قدرة الله العظمى وحكمته البالغة، فالله سبحانه جعل اللّيل والنهار علامتيْنِ دالتيْنِ على قدرته وبديع صنعه، وفي تعاقبهما تحقيق مصلحة الإنسان والحيوان والنبات، أمّا اللّيل وظلامه، ففيه الراحة والسكون، وأمّا النهار وضوؤه المتمثل بالشمس، ففيه التقلّب في أنحاء الدنيا للعمل والعيش والكسب، والضوء يناسبه الحركة والانتقال وإتقان الأعمال، والظلام في اللّيل يناسبه هدوء الأعصاب، وراحة الجسد، ومتعة العقل والفكر. وفي تعاقب اللّيل والنهار ابتغاء الرزق والتمكن من التخطيط ليلاً، وإنجاز العمل نهاراً .

الحكمة في تعاقب اللّيل والنهار:

في دوران اللّيل والنهار تعريف بحساب الزمان ومرور الأيام والشهور والأعوام، والتعرف على المصالح في الدورات الزراعيّة، وتحديد الآجال والأعمار، والديون والمعاملات، ومعرفة حساب وقت العبادات من صلاة وصيام وحجّ وزكاة، ولو لم يتغاير اللّيل والنهار لما تحققت الراحة، ولما عرف الإنسان مقدار الوقت، وعاش في عماية وجهالة، أو في تعب وعناء.

فائدة:

الضمير في قوله (وجعلنا) يعود على رب العالمين، ووروده بصيغة الجمع يدل على معنى التعظيم.

ما ترشد إليه الآية:

١ اختلاف اللّيل والنهار بالزيادة والنقص وتعاقبهما، وضوء النهار وظلمة اللّيل دليل على وحدانيّة الله تعالى ووجوده وكمال علمه وقدرته.

٢ دورة اللّيل والنهار تعرّفنا بعدد السنوات والأشهر والأيام.

٣ النهار وقت مناسب للعمل والحركة والتقلب في الأرض؛ لكسب المعايش وتحصيل الأرزاق، واللّيل وقت مناسب؛ للراحة والسكون.

التلاوة والتجويد

الإخفاء

هو نطق (النون الساكنة) أو (التنوين) بصفة متوسطة بين الإظهار والإدغام، مع مراعاة الغنّة فيهما بمقدار حركتين؛ وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف الهجائيّة الباقية بعد أحرف الإظهار وأحرف الإدغام وباء الإقلاب، فما بقي بعدها يكون للإخفاء، وهي الحروف الآتية:

(ص – ذ – ث – ك – ج – ش – ق – س – د – ط – ز – ف – ت – ض – ظ)

وهي الحروف الأولى من كلمات هذا البيت:

صفْ ذا ثنا كمْ جادَ شخصٌ قدْ سما دُمْ طيّباً زدْ في تُقى ضَعْ ظالِما

ويطلق على هذا الإخفاء (الإخفاء الحقيقي):

أمثلة على الإخفاء الحقيقي:

الحرف	المثال
(ص)	الأنصار – أن صدوكم – ريحاً صرصرا
(ذ)	وأنْذرهم – مِنْ ذهب
(ث)	الأُنْثى – مِنْ ثمرةٍ رزقا
(ك)	المُنْكَر – مَنْ كان
(ج)	وأَنْجَينا – أنْ جاءَكُمْ
(ش)	فَأَنْشَرْنا – إنْ شَاءَ الله – إنَّهُ غَفُورٌ شَكورُ

نشاط:

أستخرج من القرآن الكريم آيتين كريمتين يظهر فيهما فضل تقسيم اليوم إلى ليل ونهار.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) دورة اللّيل والنهار تُعرِّفنا بعدد السنوات والأشهر والأيام وكيفية حسابها .

ب ( ) الباء من حروف الإخفاء .

جـ ( ) ينطق الإخفاء بين الإظهار والإدغام، مع مراعاة الغنّة بمقدار حركتين .

٢ قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ الإسراء: ١٢ ، على مَنْ يعود الضمير في (جعلنا)؟ ، وما دلالة وروده بصيغة الجمع؟

٣ أبيّن أهميّة تقسيم اليوم إلى ليل ونهار بالنسبة للإنسان .

٤ أذكر ثلاثة ممّا ترشد إليه الآيات .

٥ أبيّن أحكام النون الساكنة والتنوين فيما يأتي :

أ قال تعالى : ﴿ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا ﴾ الإسراء: ١٢ .

ب قال تعالى : ﴿ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ الإسراء: ١٢ .

جـ قال تعالى : ﴿ شَيْءٍ فَصَّلْنَٰهُ ﴾ الإسراء: ١٢ .

٦ أتلو الآيات الكريمة الآتية تلاوة صحيحة، وأستخرج منها أحكام الإخفاء :

أ قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ ﴾ البقرة: ٦٥ .

ب قال تعالى : ﴿ قَالُوا ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ ﴾ البقرة: ٦٩ .

جـ قال تعالى : ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ البقرة: ٧٩ .

الدرس
٤٣

مسؤولية الإنسان عن عمله

قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ الإسراء: ١٣ – ١٥ .

المفردات والتراكيب:

طائره: عمله وما قُدِّر له من سعادة وشقاء .

في عنقه: ملازم له لا يفارقه حتى يفرغ منه .

ولا تزر وازرةٌ وزرَ أخرى: لا تحمل نفس إثم غيرها .

المعنى الإجماليّ:

تتحدث هذه الآيات عن بعض مشاهد القيامة، فكل إنسان مسؤول عن أفعاله وأقواله، كلّ ذلك يُحفظ في سجلّ لا يغادر كبيرة ولا صغيرة، وسيعرض للحساب أمام محكمة الآخرة، ويوضع هذا السجلّ بين يدي كلّ فرد يوم القيامة حتى يعلم علامَ يحاسب، فمَنِ اهتدى واتبع طريق الحقّ نفع نفسه، ومن ضلّ وحادَ عن الطريق فقد أضرّ بنفسه، ولا يتحمل إنسانٌ ذنب إنسان آخر .

المعنى التفصيليّ:

الإنسان رهين بعمله:

عبّر القرآن الكريم عن عمل الإنسان بطائره، جرياً على عادة العرب الذين كانوا يتفاءلون بالطير، فإذا سافروا ومرّ بهم الطير زجروه، فإن طار إلى جهة اليمين تفاءلوا، وإن طار جهة إلى الشمال تشاءموا، ثمّ نسبوا الخير والشر إلى الطائر من باب الاستعارة؛ فبيّن القرآن الكريم أنّ فأل الإنسان وسعده ليس في ذهاب الطير يميناً وشمالاً، إنّما هو بالعمل؛ لأنّ الإنسان رهين بعمله .

وقوله –سبحانه–: (في عنقه) تصوير لشدّة اللزوم وكمال الارتباط بين الإنسان وعمله. وقوله –سبحانه–: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴾ الإسراء: ١٣ : بيان لحاله في الآخرة بعد بيان حاله في الدنيا. والمراد بالكتاب هنا صحائف أعماله التي سُجِّلت عليه في الدنيا؛ أي: ألزمنا كلّ إنسان مكلّف

بعمله الصادر عنه في الدنيا، وجعلناه مسؤولاً عنه دون غيره. أمّا في الآخرة فسنخرج له ما عمله من خير أو شر ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ الإسراء: ١٣؛ أي: مفتوحاً، بحيث يستطيع قراءته، ومكشوفاً بحيث لا يملك إخفاء شيء منه، أو تجاهله، أو المغالطة فيه، كتاباً ظهرت فيه الخبايا والأسرار ظهوراً يُغني عن الشهود والجدال.

ثم بيّن -سبحانه- ما يخاطب به الإنسان بعد أن فتح كتابه أمامه؛ فقال تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ الإسراء: ١٤؛ أي: ويقال له بعد أن وجد كتابه منشوراً أمامه، اقرأ كتابك هذا، وما اشتمل عليه من أعمال صدرت عنك في الدنيا، كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً.

قاعدة العمل والجزاء:

تتحدث الآية الأخيرة عن قاعدة العمل والجزاء، والمتمثلة في المسؤوليّة الفرديّة التي تربط كلّ إنسان بنفسه؛ إن اهتدى فلها، وإن ضلّ فعليها. وما من نفس تحمل وزر أخرى، وما من أحد يخفّف حمل أحد، إنّما يُسأل كلٌّ عن عمله، ويجزى كلّ إنسان بعمله؛ ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ المعارج: ١٠.

ولا تتنافى هذه القاعدة مع ما ثبت في الحديث الصحيح: «إنّ الميت يعذب ببكاء أهله عليه»[1]؛ لأنّ الحديث محمول على أن يكون الميت قد أوصى بذلك قبل موته، أو أن يهمل نهيهم عن النَّوْح عليه قبل موته، مع أنّه يعلم أنّهم سينوحون عليه ويشقون الجيوب، ويلطمون الخدود؛ فتعذيبه بسبب تفريطه، وعدم تنفيذه لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ التحريم: ٦.

ما ترشد إليه الآيات:

١ تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢ تقرير العدالة الإلهيّة يوم القيامة، فلا تُظلم نفس شيئاً.

٣ إقرار مبدأ المسؤوليّة الشخصيّة عدلاً من الله ورحمة بعباده، فلا يحمل أحدٌ ذنبَ أحد، ولا يجني جانٍ إلا على نفسه.

نشاط:

أرجع إلى تفسير (فتح القدير) للشوكانيّ، وأكتب في دفتري تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ الإسراء: ١٥.

١ أخرجه مسلم، كتاب الجنائز، باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) يقرأ الإنسان يوم القيامة كتاب أعماله، ويطّلع عليه بنفسه.

ب ( ) قوله ﷺ: «**إنّ الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه**» يتعارض مع قاعدة العمل والجزاء.

جـ ( ) البكاء على الميت حرام على الإطلاق.

٢ أوضّح مفهوم قوله تعالى: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ الإسراء: ١٣.

٣ أكتب الآية القرآنية التي تشير إلى قاعدة: (الجزاء من جنس العمل).

٤ أفسّر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الإسراء: ١٥.

٥ أستخرج من الآية الآتية أحكام النون الساكنة والتنوين:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾.

الدرس

٤٤

عاقبة الترف

قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ الإسراء: ١٦ – ١٧ .

■ المفردات والتراكيب:

مترفيها: منعميها من الأغنياء والرؤساء.

فحقّ عليها القول: أي بالعذاب.

من القرون: أي من أهل القرون السابقة.

■ المعنى الإجماليّ

إذا أراد ربّ العالمين إهلاك أهل قرية لظلمهم، أَمَر مترفيهم بطاعة الله وتوحيده وتصديق رسله، وغيرهم تبع لهم، فعصَوا أمر ربهم وكذَّبوا رسله، فحقَّ عليهم القول بالعذاب الذي لا مردَّ له، فاستأصلهم بالهلاك التام. وكثيراً ما أهلك ربّ العالمين من الأمم المكذّبة لرسلها؛ لأنّ الله تعالى لا تخفى عليه خافية.

■ المعنى التفصيليّ:

■ إفساد المترفين يؤدي إلى الهلاك:

المترفون في كلّ أمة هم طبقة الكبراء المنعمين الذين يجدون المال والخدم والراحة، فينعمون بالسيادة، حتى ينغمسوا في شهواتهم، وترتع نفوسهم في الفسق والمجون، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات، فإذا لم يجدوا مَنْ يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فساداً، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها.

■ والآية تقرر السنّة الإلهيّة الآتية:

أنّ الفساد والانحلال إنّما يبدأ في الطبقة العليا من المجتمع، ثم ينتشر رويداً رويداً في طبقات المجتمع الدنيا، حيث يعمّ ويفشو بين الناس، وتحلّ عليهم لعنة الله، ويتعرّض المجتمع لعوامل الفناء والتدمير، بسبب عدم إنكار بعضهم على بعض، وعدم الأخذ على أيدي الظالمين

المتسلطين؛ قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الأنفال: ٢٥. وفي الحديث الشريف: «**إنّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمّهم الله بعقاب منه**»[1].

إنّ إرادة الله قد جعلت للحياة البشريّة قوانين لا تتخلف، وسنناً لا تتبدل، وحين توجد الأسباب تتبعها النتائج، فتنفذ إرادة الله وتحق كلمته. والله لا يأمر بالفسق؛ لأنّ الله لا يأمر بالفحشاء، لكنّ وجود المترفين في ذاته وتسلطهم وعدم الإنكار عليهم، دليل على أنّ الأمة قد تخلخل بناؤها وسارت في طريق الانحلال، وأنّ قدر الله بالانتقام سيصيبها جزاء وفاقاً.

وهذه السنّة قد مضت في الأولين من بعد نوح، قرناً بعد قرن، كلّما فشت الذنوب في أمة انتهت بها إلى ذلك المصير.

تخصيص المترفين بالذكر:

وخصّ مترفيها بالذكر مع أنّ الأمر بالطاعة للجميع؛ لأنّ هؤلاء المترفين هم الأئمة والقادة، فإذا ما استجابوا للأمر استجاب غيرهم تبعاً لهم في معظم الأحيان، ولأنهم في أعمّ الأحوال هم الأسرع إلى ارتكاب ما نهى الله عنه، وإلى الانغماس في المُتَع والشهوات.

آثار الترف على المجتمع:

للترف آثار سلبية كثيرة على المجتمع، أهمها:

١ قلة العبادة والتكاسل عن الطاعات ونسيان الآخرة.

٢ يصبح الإنسان عبداً للهوى والشهوة فيردّ الحق ويكذّبه.

٣ كسر قلوب الضعفاء والفقراء لما يراه هؤلاء من فوارق طبقيّة بينهم وبين المترفين العابثين بالمال بغير حساب، وهذا قد يؤدي إلى صراع طبقيّ في المجتمع، وهذا الصراع أحد أسباب سقوط الأمم.

٤ انتشار الأمراض العضويّة؛ كالسكر والضغط وغيرها من أمراض العصر.

٥ ضعف المجتمع بسبب الفساد والانحلال، وعدم القدرة على مواجهة التحديات.

---

١ أخرجه الترمذيّ، كتاب الفتن، باب نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وقال عنه: «وهذا حديث صحيح».

ما ترشد إليه الآيتين:

١ بيان سنّة الله تعالى في إهلاك الأمم، غير أنّها لا تهلك إلا بعد الإنذار والإعذار إليها.

٢ التحذير من الانغماس في الشهوات المحرّمة؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الفسق وإلى الهلاك والدمار.

٣ الأخذ على أيدي الظالمين، انطلاقاً من أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى لا يهلك الجميع.

نشاط:

أبيّن المقصود بالسنن الإلهيّة، وأذكر بعض الأمثلة عليها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) الغنى يؤدي دائماً إلى الفسق والخروج على طاعة الله.

ب ( ) وجود المترفين في الأمة دليل على أنّها قد تخلخل بناؤها وسارت في طريق الانحلال.

جـ ( ) السنن الإلهيّة لا تتغير ولا تتبدل.

٢ أذكر ثلاثة من آثار الترف على المجتمع.

٣ أبيّن المقصود بالمترفين في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾.

٤ أوضّح سبب تخصيص المترفين بالذكر مع أن الأمر بالطاعة للجميع.

٥ في قوله تعالى: ﴿ وَٱتَّقُوا۟ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنكُمْ خَآصَّةً ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ إشارة إلى سنة من السنن الإلهيّة. أستخلص هذه السنة.

٦ أستخرج من الآيتين الآتيتين أحكام النون الساكنة والتنوين:

﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾.

الدرس

٤٥

ارتباط الجزاء بالعمل

قال تعالى: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ الإسراء: ١٨-٢١.

المفردات والتراكيب:

العاجلة: الدنيا

يصلاها مذموماً مدحوراً: يدخلها ملوماً مبعداً من الجنة

وسعى لها سعيها: عمل لها العمل المطلوب لدخولها، وهو الإيمان والعمل الصالح.

كان سعيهم مشكوراً: أي عملهم مقبولاً مُثاباً عليه من الله تعالى.

المعنى الإجماليّ:

مَنْ كان يطلب الدنيا ويعمل لها، ولا ينتظر جزاء الدار الآخرة، عجَّل الله له في الدنيا من البسط والسَعَة حسب مشيئته تعالى، ثم أعدّ له في الآخرة جهنم يقاسي عذابها ويصطلي بنارها، وهو مذموم مطرود من رحمة الله. ومَنْ أراد بعمله الآخرة، وهو مؤمن بالله وجزائه، فأولئك ينالون الثواب من الله على أعمالهم.

ويمدّ الله في الدنيا العطاء والرزق لكلّ الناس، فلا يمنع عطاءه عن أحد، مؤمناً كان أو كافراً، ما داموا قد أخذوا بالأسباب.

المعنى التفصيليّ:

أولاً: أصناف الناس:

صنّفت هذه الآيات الكريمة الناس إلى فريقين، هما:

- **الفريق الأول: أهل الدنيا العاجلة**: وهؤلاء يقصرون جهدهم وعملهم على تحصيل ملذّات الدنيا وشهواتها، وينسون الدار الآخرة، ولا يؤمنون بها، فتكون النتيجة أنّ الله تعالى يعجِّل

لهم مرادهم، ويعطي مَنْ أراد ما يشاء بحسب علمه وحكمته؛ أي أنّ العطاء بحسب مشيئة الله لا بحسب محبة العبد؛ ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ الإسراء: ٨١، ثمّ يجعل الله جهنم لجميع مَنْ يريد العاجلة وهو كافر بالله وبالآخرة، سواء مَنْ أعطاه ومَنْ حرمه، فأهل الدنيا لا يعطون كلّ ما يريدون، وإنّما يعطون بعض ما يتمنون. ومَنْ يُحرم من نعيم الدنيا يجمع بين فقر الدنيا وعذاب الآخرة؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾ الإسراء: ٨١، فالآية تبيّن أنّ عذابهم متّصف بثلاث صفات، هي: الدوام، والإذلال، والطرد من رحمة الله.

- **الفريق الثاني: المؤمنون الأتقياء أهل الآخرة**، الذين يعملون لها ما استطاعوا من الطاعات، وهم مؤمنون مصدّقون بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهؤلاء عباد الرحمن المشكورون على طاعتهم، المثابون على أعمالهم من ربهم، بسبب ملازمتهم أعمال الخير، والتزام حكم الشرع وطرقه.

■ ثانياً: الرزق في الدنيا:

قانون الجزاء الأخرويّ قائم على إثابة المؤمن ومعاقبة الكافر، أمّا الرزق في الدنيا فلا يرتبط بالإيمان أو الكفر، وإنّما يرزق الله تبارك وتعالى في الدنيا مريدي الآخرة المؤمنين، ومريدي العاجلة الكافرين، ويمدّهم بعطائه منها، وإنّما يقع التفاضل والتباين بينهم في الآخرة؛ لأنّها خير من الدنيا، وأكثر دواماً وأخلد، أمّا الدنيا فهي فانية، ولا شأن لها عند الله تعالى، فيكون الرزق الماديّ فيها لجميع العباد؛ لأنّ الدنيا عند الله تعالى لا تساوي جناح بعوضة.

غير أنّ الرزق والعطاء الدنيويّ متفاوت، يفضّل بعض الناس على بعض في الرزق والمتاع، فقد يعطي الله المال والثروة لكافر، ويمنعه عن كافر آخر، ويحجبه عن مؤمن لحكمة بالغة، ومصلحة للعبد نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ الزخرف: ٣٢؛ أي ليخدم بعضهم بعضاً؛ لأنّ الإنسان بحاجة إلى أخيه الإنسان، فهو لا يستطيع أن يستغني عنه؛ لأنّه مهما بلغ من العلم والخبرة والمهارة، لن يستطيع أن يتقن جميع المهارات اللازمة لشؤون لحياة.

العلاقة بين التقدم العلميّ والحضاري والأخذ بالأسباب:

يرتبط التقدُّم والتأخُّر بالأخذ بالسنن الكونيّة ومنها سنّة العلم، فللتقدّم أسبابه وللتأخّر أسبابه، وهذه سنّة من سنن الله في الكون، مَنْ أخذَ بها تقدّم ولو كان كافراً، ومَنْ أهملها تأخَّر، ولو كان من أتقى عباد الله.

وهكذا، فقد تقدمت أوروبا، ليس لأنّها تركت الدين، ولكن لأنّها اعتصمت بمنطق العلم، وجعلته سلماً لرقيّها المدنيّ ولتقدمها التكنولوجيّ، في حين أهمل المسلمون الأخذ بأسباب التقدم فتخلّفوا. ولم يكن الدين الإسلاميّ في يوم من الأيام سبباً في التخلّف، بل على العكس فإنّ الدين هو أول مَنْ دعا إلى الأخذ بمكتسبات العلم والحضارة، فإنّ أول آية نزلت في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ العلق: ١، والقراءة هي الطريق الأساس في تحصيل العلم والمعرفة.

ما ترشد إليه الآيات:

١ السعادة أو الشقاء في الدنيا والآخرة مرتبطان بعمل الإنسان وكسبه.

٢ المؤمن يجمع بين عمارة الدنيا والسعي للآخرة، أمّا الكافر فيقتصر على طلب الدنيا.

٣ عطاء الله يشمل المؤمن والكافر.

أفكر:

لماذا سميت الدنيا بالعاجلة؟

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) عطاء رب العالمين للناس في الدنيا مرتبط بالإيمان، فهو لا يعطي إلا المؤمنين .

ب ( ) يُفضّل الله بعض الناس على بعض في الرزق والعطاء .

جـ ( ) قانون الجزاء الأخرويّ قائم على إثابة المؤمن والكافر على حد سواء .

٢ صنّفت الآيات الكريمة الناس إلى فريقين . أذكرهما .

٣ أبيّن العلاقة بين التقدم العلمي والحضاري والأخذ بالأسباب .

٤ ما معنى : ■ العاجلة . ■ وكان سعيهم مشكورا .

٥ أتلو الآيات الكريمة الآتية تلاوة صحيحة، وأستخرج منها أحكام النون الساكنة والتنوين :

قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴾ محمد: ١ – ٤ .

الدرس

٤٦

الإحسان إلى الوالدين

قال تعالى: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴿٢٢﴾ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴾ الإسراء: ٢٢ – ٢٥.

المفردات والتراكيب:

قضى:	أمر، وحكم.
يبلغنّ عندك الكبر:	بلغا سنّ الشيخوخة.
أُفٍّ:	كلمة تدل على التذمُّر والتضجُّر.
تنهرهما:	تزجرهما بالكلام الغليظ.
الأوّابين:	جمع أوّاب، وهو كثير التوبة والاستغفار.

المعنى الإجماليّ:

نهى الله تعالى عن الإشراك به، وأمر بعبادته وحده، وحذَّر من عاقبة اتخاذ شركاء مع الله في الخلق والتدبير والعبادة والاستعانة، وتوعدهم بالخذلان والخسران في الدنيا والآخرة. وبعد إقرار هذه القاعدة الإيمانيّة أمر عباده المؤمنين بمجموعة من التكاليف الشرعيّة والتوجيهات الخلقيّة المتعلقة بحياتهم الاجتماعيّة وعلاقاتهم الأسريّة؛ لتكون أساساً في إقامة دعائم الأسرة المسلمة التي تقوم العلاقات بين أفرادها على التعاون والتراحم والتكافل، لذلك ربط الله تعالى الأمر بتوحيده وعبادته بالأمر بطاعة الوالدين والإحسان إليهما عند الكبر جزاءً لهما وتقديراً لرعايتهما للأبناء عند الصِغَر.

المعنى التفصيليّ:

تضمنت الآيات الكريمة قاعدتين أساسيتين وقيمتين عظيمتين في بناء المجتمع والأمة. الأولى: توحيد الله تعالى. والثانية: طاعة الوالدين والإحسان إليهما.

■ أولاً: توحيد الله تعالى:

وجّه الله الخطاب لكلّ إنسان ألاّ يجعل مع الله إلهاً آخر بقوله: ﴿ لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ﴾ الإسراء: ٢٢، حيث حذّرهم الله تعالى من الإشراك به، وبيّن لهم أنّ عاقبة ذلك هي الذلّ في الدنيا والخذلان في الآخرة، فلا يملك أحدٌ له نفعاً ولا ضرّاً، ولن يخلّصه أحد من عذاب الله تعالى يوم القيامة. والفاء في قوله: (فتقعد) فاء السببيّة. و(تَقعد) فعل مضارع منصوب بأن المضمرة وجوباً بعد فاء السببية.

وهذا يعني أن يقرّ الإنسان بتوحيد الله تعالى في الربوبيّة، بأن يؤمن أنّ الله تعالى هو الخالق فلا شريك معه في الخلق، وأنّه المتفرّد في التدبير والتصرف في جميع شؤون الكون، وأنّ يقرّ كذلك بتوحيد الألوهيّة، فيتوجه إلى الله تعالى وحده بالعبادة والطاعة والاستعانة، وأن يوقن بأنّ الله تعالى متّصف بجميع صفات الكمال، منزّه عن جميع صفات النقص.

■ ثانياً: طاعة الوالدين والإحسان إليهما:

ربط الله تعالى بين الدعوة إلى عبادته وطاعته، وبين طاعة الوالدين والإحسان إليهما، وذلك:

١ لبيان أهميّة حبّ الوالدين والإحسان إليهما، باعتبارهما يأتيان في الدرجة والأهمية بعد طاعة الله تعالى ورسوله.

٢ للدلالة على أهميّة الأسرة ودورها في المجتمع الفاضل وتأسيسه، باعتبارها اللّبنة الأولى والدعامة الأساسيّة في بناء المجتمع والدولة؛ قال ﷺ لمَنْ سأله: «**أيّ العمل أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قال: ثم أيّ؟ قال: برّ الوالدين، قال: ثمّ أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله**»[1].

أمّا كيف يكون الإحسان إلى الوالدين؟، فهذا ما بيّنه النبيّ ﷺ في الأحاديث الشريفة، **ويظهر من تدبرها أنّ الإحسان إلى الوالدين يكون بالقيام بالأمور الآتية:**

١ طاعتهما وعدم مخالفتهما إذا لم يكن في ذلك معصية الله تعالى، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؛ قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ لقمان: ١٥.

٢ القيام على شؤونهما وتوفير حاجاتهما عند الكِبَر.

٣ عدم التعرّض لهما بأيّة إساءة مهما صغرت حتى التأفُّف في وجههما والتذمُّر عند تنفيذ أوامرهما أو قضاء حاجاتهما.

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد والسير.

٤ عدم التسبُّب في الإساءة إليهما بالسبّ والشتم؛ قال ﷺ: «**من الكبائر شتم الرجل والديه. قالوا: يا رسول الله، هل يشتم الرجل والديه؟، قال: نعم، يسبّ أبا الرجل فيسب أباه، ويسبّ أمه فيسب أمه**»[١].

٥ ألاّ يخرج للجهاد حال كونه فرض كفاية إلاّ بإذنهما، أمّا إن تعيّن الجهاد وكان فرض عين فلا يحتاج إلى إذنٍ منهما، قال ﷺ لمن جاء يستأذنه في الخروج إلى الجهاد: «**أحيٌّ والداك؟، قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد**»[٢].

٦ الدعاء لهما بعد موتهما، وبرّ صديقهما، والوفاء بعهدهما، وصلة رحمهما؛ لقوله ﷺ لمن سأله: «**يا رسول الله، أبقيَ من برّ أبوَيَّ شيء أبرّهما به بعد موتهما؟، قال: نعم، الصلاة عليهما[٣]، والاستغفار لهما، وإيفاء بعهودهما من بعد موتهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما**»[٤].

وقد أشارت الآية الكريمة إلى وجوب أن يكون الوالدان في حال الكِبَر تحت رعاية الأولاد وكفالتهم بقوله تعالى: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا﴾ الإسراء: ٢٣؛ فلفظ (عندك): يدلّ على أنّ الأصل أن يعيشا عند الكِبَر في كنف الأولاد؛ لأنّهما أحوج إلى البِرّ والقيام بحقوقهما لضعفهما.

■ حرمة التأفُّف في وجه الوالدين:

دلّت الآية الكريمة على أنّ المطلوب من الأبناء ليس مجرّد رعاية الوالدين والقيام على شؤونهما، بل القيام بذلك دونما تذمُّر أو تضجُّر أو تأفُّف، بأن يقدم الإنسان على ذلك بقلب منشرح ولسان صادق بالدعاء لهما بالفضل والخير؛ قال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ الإسراء: ٢٣. وتحريم التأفف أمام الوالدين يدلّ على أنّ الإساءة إليهما أو إيذائهما أعظم حرمة من باب أولى.

وأشارت الآية الكريمة إلى وجوب إلانة الجانب والتواضع لهما بتذلل وخضوع ورحمة وعطف، وشبهت حالة التواضع لهما عند القيام على شؤونهما بطائر له جناح يخفضه على صغاره حناناً وعطفاً، إشارة إلى التذلل لهما والعطف عليهما حال رعايتهما؛ وذلك بقوله تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾ الإسراء: ٢٤.

---

١ أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان الكبائر وأكبرها.
٢ أخرجه البخاريّ، كتاب الجهاد والسير، باب الجهاد بإذن الأبوين.
٣ الصلاة عليهما: أي الدعاء لهما بالرحمة وإن لم يكن بلفظ الصلاة.
٤ أخرجه ابن ماجه، كتاب الأدب، باب صل من كان أبوك يصل.

ولم تقف الآية الكريمة عند هذا الحدّ من وجوب إظهار الذلّ، بل قرنت ذلك بوجوب الدعاء لهما عند القيام بهذه الخدمة الجليلة؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا﴾ الإسراء: ٢٤.

ثمّ ختمت الآية هذه التوجيهات العظيمة بربط هذه الأوامر بوجوب إيمان المسلم بعلم الله تعالى الكامل الذي يعلم ما نخفي وما نعلن، فهو أعلم بما في نفوسنا إن كنّا قاصدين للبرّ والصلاح بصدق وإخلاص، فإن حصل تقصير أو خطأ مع الوالدين، وسارع الابن إلى التوبة، وجد اللهَ غفوراً رحيماً؛ قال تعالى: ﴿رَّبُّكُمۡ أَعۡلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمۡۚ إِن تَكُونُواْ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلۡأَوَّٰبِينَ غَفُورٗا﴾ الإسراء: ٢٥.

ما ترشد إليه الآيات:

١ وجوب توحيد الله تعالى وعدم الإشراك به بأيّ نوع من أنواع الشرك.

٢ قرنت الآيات طاعة الله تعالى بطاعة الوالدين؛ للتأكيد على وجوب طاعة الوالدين، ولبيان أهميّة التحلي بالآداب والقيم الاجتماعيّة؛ وقواعد بناء الأسرة الصالحة.

٣ وجوب الإحسان إلى الوالدين عند الكِبَر والقيام على رعايتهما، وحرمة التأفُّف والتذمُّر عند القيام بذلك.

٤ الإحسان إلى الوالدين يكون في حياتهما وبعد موتهما بالدعاء لهما، والإحسان إلى أصدقائهما.

التلاوة والتجويد

أحكام الميم الساكنة

الميم الساكنة: هي الميم الخالية من الحركة مثل: لَمْ، منْكمْ، لكمْ، ولها مع أحرف الهجاء ثلاثة أحكام، هي:

١ **الإخفاء الشفويّ**: وهو إخفاء النطق بالميم الساكنة إذا وقع بعدها حرف الباء، ويسمى إخفاءً شفوياً؛ لأنّ حرف الباء والميم يخرجان من الشفتين بخلاف الإخفاء الحقيقيّ.

ومن الأمثلة على ذلك ما يأتي:

- قال تعالى: ﴿ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ الفيل: ٤: فقد جاء حرف الميم في آخر كلمة (ترميهم) وحرف الباء في أول الكلمة (بحجارة)؛ لذا وجب إخفاء النطق بالميم الساكنة؛ لأنّه جاء بعدها حرف الباء.
- قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾ غافر: ٦١: كلمة (هم) جاءت الميم ساكنة في آخر الكلمة، وجاء بعدها الباء في أول كلمة (بارزون)؛ لذا وجب إخفاء النطق بالميم الساكنة.

٢ **الإدغام الشفويّ**: وهو إدخال الميم الساكنة في الميم المتحركة إذا وقعت بعدها، ومثاله: قال تعالى: ﴿ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ﴾ البقرة: ١٣٤، وقال تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ القدر: ٤.

٣ **الإظهار الشفويّ**: وهو إظهار النطق بالميم الساكنة إذا وقع بعدها حرف من أحرف الهجاء غير الباء أو الميم، ومثاله:

- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ الضحى: ٦.
- قال تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ الروم: ٧١.

فائدة:

يكون الإظهار الشفوي في كلمة واحدة أو في كلمتين، أمّا الإدغام والإخفاء الشفوي فلا يكون إلا في كلمتين، بحيث تكون الميم الساكنة في نهاية الكلمة الأولى وحرف الإدغام أو الإخفاء في بداية الكلمة التي تليها.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) معنى (قضى) : أمر، وحكم .

ب ( ) الإحسان إلى الوالدين يكون في حياتهم وليس بعد موتهم .

ج ( ) تَجب طاعة الوالدين في كلّ الظروف والأحوال دون قيد أو شرط .

د ( ) الشرك بالله تعالى عاقبته الذلّ في الدنيا والخزي والخسران في الآخرة .

٢ أوضّح معنى توحيد الربوبيّة .

٣ أبيّن سبب اقتران وجوب طاعة الوالدين بطاعة الله تعالى في الآية الكريمة .

٤ قال تعالى : ﴿ وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرٗا ﴾ الإسراء : ٢٤ ، أستخرج التشبيه الوارد في الآية الكريمة .

٥ أوضّح كيف يكون الإحسان إلى الوالدين .

٦ أتلو الآيات الآتية، وأستخرج منها أحكام الميم الساكنة :

أ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴾ الشورى : ٣٠ - ٣١ .

ب قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ ٧٥ وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ الزخرف : ٧٤ - ٧٦ .

ج قال تعالى : ﴿ وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ ﴾ إبراهيم : ٤٦ .

د قال تعالى : ﴿ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَا لَمۡ نُمَكِّن لَّكُمۡ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡهِم مِّدۡرَارٗا وَجَعَلۡنَا ٱلۡأَنۡهَٰرَ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَنشَأۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِمۡ قَرۡنًا ءَاخَرِينَ ﴾ الأنعام : ٦ .

الدرس
٤٧

حقوق الأقارب والمساكين في المال وحرمة تبذيره

قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ الإسراء: ٢٦ – ٢٨.

■ المفردات والتراكيب:

ابن السبيل: الغريب المنقطع في سفره عن بلده.

لا تبذّر تبذيراً: لا تنفق المال في غير حقّ.

تُعرِضنّ عنهم: لم تجد ما تعطيهم.

قولاً ميسوراً: قولاً طيّباً ليّناً.

■ المعنى الإجماليّ:

يخبر الله تبارك وتعالى عباده المؤمنين أنّ عليهم حقوقاً أخرى واجبة عليهم إضافة إلى حقوق الوالدين، وهي حقوق الأقرباء والمساكين ومَنِ انقطعت بهم السُبُل وهم في السفر، فهؤلاء جميعاً ممَّنْ تجب رعايتهم وسدّ حاجاتهم، وهذا ليس منّة وفضلاً، بل هي حقوق واجبة فرضها الله عزّ وجلّ.

والقرآن بهذه التوجيهات العظيمة يؤكد أنّ المال مال الله فهو المالك الحقيقيّ له، والإنسان وكيل عليه ومستخلف فيه، فلا يصحّ أن يتصرّف فيه إلا بإذن الله تعالى.

لذلك حدّد الله تعالى لنا كيف نكتسب المال عن طريق الحلال، وحرّم علينا اكتسابه عن طريق الحرام، وحدّد كذلك طرق إنفاقه، وبيّن أنّ المبذرين هم الذين ينفقون أموالهم في المحرمات وهم أصحاب الشياطين وإخوانهم، وحقّ المال أن ينفق في الطاعات، فإذا لم يجد الإنسان مالاً يؤدي به حقّ هؤلاء، فلا أقلّ من الوعد الحسن والكلام الجميل رجاء أن يأتي الفرج واليسر من الله بعد العسر؛ فترقّ القلوب وتطمئن النفوس وتسود المحبة بين الناس.

المعنى التفصيليّ:

حقّ الأقارب والمحتاجين:

يربي الإسلام أبناءه على تحمل المسؤوليّة عن الآخرين؛ لتقوم العلاقة بين أفراد المجتمع على التكامل والتعاون، فكما أنّ للوالدين حقوقاً على الأبناء، فإنّ لذوي القربى والمساكين وأصحاب الحاجات من الضعفاء والمنقطعين عن أهلهم بسبب السفر حقوقاً أيضاً؛ لقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦؛ أي أعطِ كلّ مَنْ له قرابة بك حقّه من البرّ والإحسان، وقد حثّ الرسول ﷺ على وجوب صلة الأقارب والأرحام في أحاديث كثيرة، منها: قوله ﷺ: «**مَنْ سرّه أن يُبسَط له في رزقه، وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه**»[1].

وكما أنّ صلة القرابة واجبة، فكذلك الفقراء والمساكين وابن السبيل الذي انقطعت به السبل عن أهله، فهؤلاء لهم حقوق مفروضة، فهم من الأصناف الثمانية الذين تجب لهم الزكاة؛ قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ الذاريات: ١٩.

حرمة التبذير:

بالإضافة إلى هذه التوجيهات القرآنيّة في بيان حقوق الأقارب والمساكين، فإنّ الله تعالى قد وجّه المؤمنين إلى كيفيّة إنفاق المال، فنهاهم عن التبذير بقوله: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ الإسراء: ٢٦ - ٢٧، والتبذير: هو إنفاق المال في غير طاعة الله، فلو أنفق الإنسان درهماً في الحرام، فإنه يعدّ مبذِّراً، أمّا لو أنفق ماله كلّه في طاعة الله ولم يقصّر في حقوق أهله ومَنْ تجب النفقة عليهم، فلا يكون مبذِّراً.

وتصوير المبذّرين بأنّهم إخوان الشياطين غاية في الذمّ، ذلك أنّ الله تعالى بيّن أنّ المبذرين أمثال الشياطين في الفساد والإفساد؛ لأنّهم ينفقون أموالهم في الباطل والشر والمعصية؛ كالشيطان الذي لا يأمر إلا بالشرّ. وأفعال المبذّر شبيهة بأفعال الشيطان؛ لأنّه بإنفاقه المال في المحرمات لم يشكر نعمة الله تعالى، ولم يؤدِّ حقّه في الطاعات.

والله تعالى لا يكلّف نفساً إلا وسعها، فمَنْ لم يتمكن من الإنفاق على الأقارب والمساكين لضيق في الرزق، فليرجُ رحمة الله تعالى عسى أن يفتح عليه ويوسع رزقه، وليقل لمَنْ سأله حاجة ولم يقدر عليها قولاً جميلاً حسناً، وليخاطبهم بالقول اللّيّن والوعد الجميل؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٨.

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب البيوع، باب من أحب البسط في الرزق.

ما ترشد إليه الآيات:

١ قيمة صلة القرابة والرحم قيمة سلوكيّة عظيمة؛ فالإحسان إليهم واجب، ورعايتهم وتفقُّد أحوالهم وتقديم العون لهم حقّ مفروض.

٢ يحرص المسلم على إنفاق ماله في الطاعات، ويتجنب أن ينفق ماله في المعاصي والمحرمات؛ لأنّ هذا يعد كفراً للنعمة، وهو شبيه بأفعال الشيطان.

٣ إذا لم يتمكن المسلم من تقديم العون والمساعدة الماليّة للأقارب والمحتاجين لضيق في الرزق فإنّه يستعيض عن ذلك بمخاطبة أصحاب الحاجات بكلام حسن جميل.

التلاوة والتجويد

مراجعة عامة لأحكام الراء

يجب النطق بالراء مفخمة أو مرققة، وذلك على النحو الآتي:

تكون الراء مفخمة في الحالات الآتية:

١ إذا كانت مفتوحة، مثل: (رَان)، و(الرَّحمن)، و(صبرَ).

٢ إذا كانت مضمومة، مثل: (يتذكّرُ)، و(رُزقوا)، و(رُسلاً).

٣ إذا كانت ساكنة وما قبلها مفتوح، مثل: (مَرْيم)، و(يَرْجو).

٤ إذا كانت ساكنة وقبلها ضمّ، مثل: (القُرْآن)، و(المُرْسلون).

٥ إذا كانت ساكنة وقبلها كسر عارض مفصول أو موصول بها، مثل: (أمِ ارْتابوا)، (ارْجعوا).

وتكون الراء مرققة في الحالات الآتية:

١ إذا كانت مكسورة، مثل: (رِجال)، و(رِضوان)، و(واذكرِ اسم).

٢ إذا كانت ساكنة وما قبلها مكسور، مثل: (واصبِرْ)، و(تنذِرْهم).

٣ إذا كانت ساكنة وما قبلها ياء ساكنة، مثل: (الطيْرْ)، و(خيْرْ)، و(بصيْرْ).

فائدة:

- إذا سكّنت الراء في حالة الوقوف ننظر إلى حركة الحرف الذي قبلها إن كانت مفتوحة أو مضمومة تفخّم، مثل: (والفجر)، و(عشر). وإذا كانت الحركة قبل الراء مكسورة فإنّها ترقق، مثل: (الذكِر).
- بعض الكلمات يجوز فيها الوجهان عند الوقوف، وهي: (نذر)، و(يسر). والترقيق أولى، و(قِطر) في قوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾ سبا: ١٢، والترقيق أولى، و(مِصر) في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ﴾ يوسف: ٢١، والتفخيم أولى.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) التبذير يعني عدم المبالغة في الإنفاق في الطاعات.

ب ( ) وجه الشبه بين أفعال الشياطين والمبذرين كفران النعمة والإفساد.

جـ ( ) الإنسان هو المالك الحقيقيّ للمال، وهو حر التصرف فيه.

د ( ) صلة القرابة والأرحام واجبة.

٢ أستدلّ على وجوب صلة القرابة والرحم بحديثين شريفين.

٣ أوضّح معنى الآيات القرآنيّة الآتية:

أ قال تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا﴾ الإسراء: ٢٦.

ب قال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٨.

جـ قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا﴾ الإسراء: ٢٧.

٤ أعلّل: شبهت الآية الكريمة المبذرين بإخوان الشياطين.

٥ أتلو الآيات الآتية، وأستخرج منها أحكام الراء:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ﴾ القمر: ١ - ٦.

الدرس

٤٨

الرزق بيد الله وحده

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴾ الإسراء: ٢٩ - ٣١.

معاني المفردات والتراكيب:

مغلولة إلى عنقك: كناية عن البخل.

تبسطها كلّ البسط: كناية عن الإسراف.

محسوراً: منقطعاً من التصرف وعدم الإنفاق.

إملاق: فقر وفاقة.

مناسبة الآيات لما قبلها:

نهى الله تعالى في الآيات السابقة عن التبذير وهو إنفاق المال في المعاصي والمفاسد، فكان من المناسب أن يبيّن المنهج الصحيح في إنفاق المال؛ أي أدب الإنفاق، فالبخل مذموم والتبذير مذموم، والاعتدال في الإنفاق بينهما هو المنهج القويم.

المعنى الإجماليّ:

لّما كان الإنسان مستخلفاً في المال الذي أنعم الله به عليه، كان لا بدّ من وضع القيود على كيفيّة استثماره؛ وذلك بمنع استثماره بالطرق المحرمة، ووضع القيود أيضاً على طريقة إنفاقه؛ وذلك بتحريم الإسراف والتبذير والبخل، لذلك جاءت هذه الآيات تبيّن للمؤمنين أنّ الطريق القويم في إنفاق المال تقوم على الاعتدال في النفقة، فالمال عصب الحياة، لذلك وجب الاهتمام به وعدم الإسراف في إنفاقه، وهو مظهر من مظاهر نعمة الله تعالى، فلا يصحّ أن يبخل الإنسان على نفسه وأهله في إنفاقه؛ لأنّ الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عباده.

والله تعالى هو الرازق وحده، وهو المتسبب فيه، ومن رحمته وحكمته أن يوسع على بعض الناس، ويضيق على البعض الآخر، وهو في ذلك خبير بأحوالهم، بصير بكيفيّة تدبيرهم في أرزاقهم.

لذلك لا يجوز التعدي على الطفولة البريئة -التي أكرمها الله تعالى- بالقتل خوف الفقر، فالله تعالى يرزق الأبناء كما يرزق الآباء.

فهذا السلوك الذي كان يقوم به الناس في الجاهليّة، يقوم به البعض في البلدان الفقيرة اليوم، إنّه سلوك مذموم يتعارض مع القيم الإيمانيّة والأخلاقيّة، ومَنْ يسلك هذا السلوك لا شكّ أنّ عقيدته خاطئة، فالله تعالى هو الذي يقدّر الأرزاق ويهيّئ أسبابها، وهو الذي وهب الحياة للنفس البشريّة؛ فالتعدي عليها يُعَدُّ تعدياً على واهب الرزق والحياة.

■ المعنى التفصيليّ:

■ الاعتدال في الإنفاق:

يوجّه الله تعالى عباده المؤمنين ويرشدهم بهذا الخطاب إلى وجوب الاعتدال في إنفاقهم، فالاعتدال هو المنهج الصحيح دونما إفراط أو تفريط بالتقتير والبخل على الأنفس والأهل؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ الإسراء: ٢٩؛ حيث شبه الله تعالى حال البخيل الذي يقتّر على نفسه وعياله في النفقة بالرجل الذي قيّدت يده وربطت في عنقه فلا يستطيع أن يتحرك. أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ﴾ الإسراء: ٢٩، فالآية الكريمة تنهى عن الإسراف والتوسع في النفقة؛ لأنّ التوسع في الإنفاق مذموم حتى لو كان في المُباحات؛ لأنه يذهب بالمال ويوقع صاحبه في الحسرة والندامة، ومثله كمثل الدابة التي أكلت فوق طاقتها وقدرتها فقعدت محسورة لا تستطيع الحركة؛ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٩، ومعنى ملوماً محسوراً؛ أي نادماً على ما قمتَ به، مذموماً من الناس، منقطعاً عن المال لا تملك أن تتصرف في شيء.

والمنهج الصحيح هو التوسط في الإنفاق دون إسراف أو تقتير؛ قال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ الفرقان: ٦٧.

■ الرزق بيد الله وحده:

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ الإسراء: ٣٠؛ أي أنّ الله تعالى هو الباسط والقابض، وهو المتصرف في الخلق، يوسع على مَنْ يشاء، ويضيق على مَنْ يشاء حسب حكمته؛ قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ الإسراء: ٣٠؛ أي عالماً بمصالح العباد، وهو الخبير البصير بما هو أقوم في جميع الأحوال، فالآية الكريمة بهذا التوجيه العظيم تغرس في نفوس المؤمنين قيماً إيمانيّة عظيمة ترشدهم إلى الإيمان أنّ الله هو الرازق وحده، وهو الذي يهيّئ أسبابه، وما على الإنسان إلا أن يبذل وسعه وجهده في طلب الرزق، وإذا

وسع الله عليه في الرزق فليحمد الله تعالى وليشكره على نعمته، وليسارع إلى تأدية حقوق المال بأداء الزكاة والتصدق في وجوه الخير، أو مساعدة الأقارب والأرحام وأصحاب الحاجات، وإن ضاق رزقه، فليحمد الله تعالى على نعمه الكثيرة وليصبر، وليرضَ بما قسم الله له طالباً العون منه، والرجاء في رحمته وكرمه.

حرمة قتل الجنين والولد خوف الفقر:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ الإسراء: ٣١.

نهت هذه الآية نهياً جازماً عن فعلٍ قبيح كان يفعله البعض، وهو قتل الأولاد خوفاً من الفقر والحاجة؛ أي لا تقدموا على قتل أطفالكم مخافة الفقر كما يفعل البعض في هذه الأيام بإنزال الجنين من بطن أمّه خوف الفقر والحاجة وعدم القدرة على الإنفاق عليهم، وهذا تصرّف غريب سببه البعد عن منهج الله.

فائدة بلاغية:

في قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ الإسراء: ٣١ تقدم رزق الأولاد على رزق الآباء، توجيهاً لهم وتأكيداً على أنّ الله تعالى متكفل بهم فلا تخافوا الفقر بسببهم، فالفقر غير موجود، وهم يخافون حصوله بسبب مجيء الولد. وفي سورة الأنعام قدّم رزق الأهل على رزق الأولاد بقوله: ﴿أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الأنعام: ١٥١، فالفقر هنا قائم ﴿مِّنْ إِمْلَٰقٍ﴾؛ أي أنّ الفقر موجود متحقق، فقدم رزق الآباء، وهذا من أوجه البلاغة القرآنيّة والإعجاز البيانيّ في اختيار المناسب من الألفاظ وفق الحال الذي يعبر عنه النص والمعنى المراد منه.

ما ترشد إليه الآيات الكريمة:

١ المنهج القويم في إنفاق المال هو الاعتدال في النفقة دون إسراف أو تقتير.

٢ الإسراف في الإنفاق نتيجته الندم والعجز والقعود وعدم القدرة على التصرف.

٣ المؤمن يعتقد اعتقاداً جازماً أنّ الرزق بيد الله وحده، فهو بحكمته وعلمه يوسع الرزق أو يضيقه.

٤ المؤمن يشكر الله تعالى على نعمة الرزق، فإن كان في سعة أدى حقوق المال، كما أمر الله تعالى بوجوب أداء الزكاة والتصدق على المحتاجين وبذل المال في وجوه الخير، وإن كان في عسرة وضيق صبر رجاء رحمة الله تعالى.

٥ لا يجوز التعدي على الجنين بإسقاطه أو الطفل بالقتل خوفاً من الفقر؛ لأنّ الله تعالى هو الرزاق الحكيم.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) بسط اليد بالنفقة غير منهيّ عنه .

ب ( ) قتل الأولاد خوفَ الفقر من أفعال الجاهليّة المذمومة .

جـ ( ) الإنسان هو المتسبب في الرزق، وهو الذي يهيّئ أسبابه .

د ( ) معنى (خطئاً كبيراً)؛ أي خطيئة كبيرة .

٢ بمَ شبّه الله تعالى حال البخيل وحال المسرف الذي يبسط يده في الإنفاق؟

٣ أوضّح سبب تقديم الله تعالى رزق الأبناء على رزق الآباء في قوله : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ الإسراء: ٣١، بينما قدّم رزق الآباء على الأبناء في قوله : ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ الأنعام: ١٥١ .

٤ أبيّن المقصود من قوله تعالى : ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ الإسراء: ٢٩ .

٥ أستخرج أحكام الراء من آيات الدرس .

الدرس

٤٩

النهي عن الزنا والقتل

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِى حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى الْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾ الإسراء: ٣٢ - ٣٣.

المفردات والتراكيب:

فاحشة: ذنباً عظيماً وفعلة قبيحة.

ساء سبيلاً: بئس طريقاً ومسلكاً؛ لأنّه يؤدي إلى النار.

إلا بالحق: أي بسبب موجب للقتل؛ كرجم الزاني المحصن.

سلطاناً: أي سلطة من الشرع وسلطة من الدولة.

فلا يسرف: فلا يتجاوز الحدّ.

المعنى الإجماليّ:

أمر الله بالعفة والطهارة، وأوجب الحفاظ على الأنساب والأعراض، وحرّم الزنا لما فيه من المفاسد والأضرار على الأفراد والمجتمعات؛ لذلك نهى عن القرب من الزنا بفعل مقدماته، وبيّن أنّه بئس المسلك والطريق؛ لأنّه من كبائر الذنوب، وأنّه يؤدي إلى النار.

ثمّ نهى عن قتل النفس ظلماً، وأعطى الوارث سلطة على القاتل، على ألا يتجاوز الحدّ الذي سمحت له به الشريعة الإسلاميّة من القصاص أو الدية أو العفو.

المعنى التفصيليّ:

نهى الله تعالى عن الاقتراب من الزنا، فقال: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ ﴾ الإسراء: ٣٢. والزنا: هو إتيان الرجل امرأة لا تحلّ له. والنهي عن اقتراب الزنا أبلغ في الدلالة من النهي عن الزنا بذاته؛ لأنّه يفيد النهي عن مقدمات الزنا؛ كاللمس والقبلة والنظرة والغمز والخلوة، والألفاظ الفاحشة البذيئة، كما أنّ الإسلام يحظر الاختلاط من غير ضرورة، وينهى عن التبرج بالزينة وإظهار المفاتن، ويحضّ على الزواج لمنِ استطاع، ويوصي بالصوم لمنْ لا يستطيع، ويكره الأمور التي تعيق الزواج؛ كالمغالاة في المهور، ويحض على مساعدة الذين يريدون الزواج ليحصنوا أنفسهم، ويوقع أشدّ العقوبة على الجريمة حين تقع، وبذلك

يسدّ الإسلام الطريق على الأسباب التي تدفع إليه؛ لأنّه إذا حرم الوسيلة والطريق إلى الزنا كان هو أكثر إثماً وأعظم ذنباً، وقد قال رسول الله ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**»[1].

الزنا مخالف للفطرة:

إنّ الطباع السليمة والفطرة المستقيمة تنفر من الزنا، وتأباه النفوس العفيفة الطاهرة. فقد جاء فتى شاب إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل الصحابة عليه فزجروه. فقال له النبيّ ﷺ: **أدنُ، فدنا منه قريباً، فقال: اجلس، فجلس، فقال له ﷺ: أتحبّه لأمّك؟ قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال ﷺ: ولا الناس يحبّونه لأمّهاتهم، قال: أتحبه لابنتك؟، قال: لا والله يا رسول الله جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لبناتهم، قال: أتحبّه لأختك، قال: لا والله، جعلني الله، فداك، قال: ولا الناس يحبونه لأخواتهم، قال: أتحبه لعمّتك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لعمّاتهم، قال أتحبه لخالتك؟، قال: لا والله، جعلني الله فداك، قال: ولا الناس يحبونه لخالاتهم، فوضع رسول الله يده عليه، وقال: اللهمّ اغفر ذنبه، وطهّر قلبه، وحَصّنْ فرجه، قال: فلم يكن بَعْدُ ذلك الفتى يلتفت إلى شيء**[2].

أضرار الزنا وآثاره على الفرد والمجتمع:

للزنا مفاسد وأضرار كثيرة، منها:

١ الزنا يفسد البيوت، ويهزّ كيان الأسرة، ويعرض الأولاد لسوء التربية؛ ويؤدي إلى التشرد والانحراف والجريمة.

٢ ضياع النسب وتمليك الأموال لغير أربابها عند التوارث.

٣ الزنا سبب لدمار الأمة؛ لأنّ ظهور هذه المعصية سبب في استجلاب غضب الله تعالى؛ قال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما ظهر الربا والزنا في قرية إلا أذن الله بإهلاكها».

٤ الزنا يؤدي إلى العداوة، ويذكي نار الانتقام؛ لما يجلبه هتك الحرمة لذوي القرابة من العار والفضيحة الكبرى.

٥ للزنا أضرار جسيمة على الصحة يصعب علاجها والسيطرة عليها، بل ربما أودت بحياة الزاني؛ كالإيدز والزهري والسيلان، ونحوها.

---

١ أخرجه البخاريّ، كتاب المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه. ومسلم، كتاب الإيمان، باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي.

٢ أخرجه أحمد في مسنده في مسند أبي أمامه الباهلي، والطبرانيّ في المعجم الكبير، في مسند أبي أمامة.

حرمة دم المسلم:

الإسلام دين الحياة، وقتل النفس عنده كبيرة عظيمة؛ قال تعالى: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ النساء: ٩٣. وقال ﷺ: «**لَزوالُ الدنيا عند الله أهون من قتل مسلم**»[١].

والله واهب الحياة، وليس لأحد غيره أن يسلبها إلا بإذنه، ضمن الأمور التي حدّدها بقوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ الإسراء: ٣٣، وهي ما بيّنه رسول الله ﷺ بقوله: «**لا يحلّ دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله إلا بإحدى ثلاث: النفس بالنفس، والزاني المحصن، والتارك لدينه المفارق للجماعة**»[٢].

بيّن الحديث السابق أنّ الحالات التي يجوز فيها قتل النفس هي:

١ القصاص العادل، والذي فيه حياة المجتمع.

٢ الرجم للثيّب الزاني الذي رزقه اللهُ الحلال الطيب فراح يرتعُ في مستنقع الرذيلة.

٣ المرتدّ: وهو التارك لدينه المفارق للجماعة.

النهي عن الإسراف في القتل:

من قُتل مظلوماً، فقد جعل الله لورثته سلطة على القاتل في تمكينه من قتله إن أحب، ولكنّه لا ينبغي لوليّ المقتول أن يستغلّ هذا السلطان الذي منحه الله إياه، فيسرف في القتل.

والنهي عن الإسراف في القتل يشمل ثلاثة أمور، هي:

١ أن يتجاوز الوليُّ القاتل إلى سواه، فيقتل اثنين أو أكثر ممّن لا ذنب لهم بواحد، كما كانت العرب تفعله في الجاهليّة في الثأر.

٢ أن يقتل بالقتيل واحداً فقط ولكنّه غير القاتل، وقتل البريء بذنب غيره إسراف منهيّ عنه.

٣ أن يقتل القاتل نفسه ويمثّل به، والتمثيل بالقاتل إسراف في القتل منهيّ عنه كذلك.

فائدة:

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ من سورة الإسراء أول ما نزل في شأن القتل؛ لأنها مكيّة.

---

١ رواه الترمذيّ، كتاب الديات، باب ما جاء في تشديد قتل المؤمن.

٢ رواه البخاريّ، كتاب الديات، باب قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ﴾، ومسلم في صحيحه، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

ما ترشد إليه الآيتين:

١ تحريم الزنا؛ لأنّه من الذنوب العظيمة التي تؤدي بصاحبها إلى نار جهنم.

٢ حرّم الله المقدمات التي تؤدي إلى الزنا؛ كاللمس والخلوة والسفر بلا محرم وعدم الاحتشام، حتى لا تقود هذه المقدمات الإنسان إلى الوقوع في الزنا.

٣ تحريم التعرض للنفس الإنسانيّة بالقتل أو الأذى بغير حقّ.

التلاوة والتجويد

مراجعة عامة لأحكام المدود

المدّ لغة: الإطالة والزيادة.

اصطلاحاً: إطالة الصوت بأحد حروف المد الثلاثة، وهي:

الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، مثل: (قال)، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، مثل: (يقول)، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، مثل: (قيل)، وهي مجموعة في كلمة (نُوحِيْهاْ).

أقسام المدّ:

المدّ قسمان: طبيعيّ وفرعيّ.

- **القسم الأول: المدّ الطبيعيّ**: وهو ألاّ يكون بعد حرف المد همز أو سكون.

حكمه: وجوب مدّه مقدار حركتين (مقدار ثانية زمنيّة).

أمثلة على المدّ الطبيعيّ:

■ قالوا يا مريم ■ قيل ادخل الجنة ■ قال يا ليت قومي يعلمون.

- **القسم الثاني: المدّ الفرعيّ**: وهو أن يكون بعد حرف المدّ همز أو سكون، وهو سبعة أقسام: المدّ المتصل، والمدّ المنفصل، ومدّ البدل، والمدّ العارض للسكون، ومدّ اللّين، والمدّ اللازم، ومدّ الصلة.

١ **المدّ المتصل**: وهو أن يكون بعد حرف المدّ همزة في كلمة واحدة، مثل: يشاء، والسماء، وسيئت.

حكمه: وجوب مدّه من أربع إلى خمس حركات، مثل: (حنفاء)، و(بريء)، و(سوء)، و(سماء).

٢ **المدّ المنفصل**: وهو أن يكون حرف المدّ في آخر كلمة، وتكون الهمزة بعده في أول كلمة أخرى، مثل: (يا أيُّها)، و(إنا أعطيناك)، و(توبوا إلى الله)، و(إنّي أخاف الله).

حكمه: جواز مدّه مقدار حركتين، كما يجوز مدّه أربع إلى خمس حركات، لكن إذا بدأنا القراءة بمدّه مقدار حركتين فيجب الالتزام في الجلسة نفسها بمدّه مقدار حركتين، وإذا بدأنا مدّه مقدار أربع إلى خمس حركات فيجب الالتزام بمدّه بالمقدار نفسه، فإذا جلسنا للتلاوة جلسة أخرى جاز التغيير بمدّه مقدار حركتين.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي:

أ ( ) التعبير بالقول: (لا تزنوا) أبلغ من القول: (ولا تقربوا الزنا).

ب ( ) إذا حرّم الله أمراً حرّم المقدمات التي توصل إليه.

جـ ( ) يجب على المؤمن أن يحبّ للمؤمنين ما يحبّ لنفسه من العفاف والطهر، ويبغض لهم الوقوع في الفواحش ومقدماتها.

د ( ) الوقوع في الزنا من صغائر الذنوب، وليس من الكبائر.

هـ ( ) جعل الإسلام لأهل المقتول ظلماً أن يتمسكوا بحقّهم في القصاص من القاتل.

٢ أفسّر معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ الإسراء: ٣٢.

٣ أذكر ثلاثة من الأضرار المترتبة على جريمة الزنا.

٤ النهي عن الإسراف في القتل يشمل ثلاثة أمور، أبينها.

٥ ما نوع المدّ في الكلمات الآتية: كان، فاحشة، ساء، سبيلا.

٦ أتلو الآيات الآتية بطريقة صحيحة، وأستخرج منها (المدّ الطبيعيّ، والمدّ المتصل، والمدّ المنفصل):

قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝٤ قَالَ رَبِّ إِنِّى دَعَوْتُ قَوْمِى لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّىٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴾ نوح: ١ - ٩.

الدرس

٥٠

حفظ مال اليتيم ووجوب الوفاء بالعهد

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٤.

■ المفردات والتراكيب:

اليتيم: الذي مات أبوه وهو صغير فإذا بلغ سنّ الرشد فلا يسمى يتيماً.

القسطاس: الميزان العدل المستقيم.

أحسن تأويلا: أحسن عاقبة.

■ المعنى الإجماليّ:

نهى الله سبحانه وتعالى عن التصرف في مال اليتيم إلا بالطريقة الحسنى؛ وذلك لحفظه واستثماره بالطرق الصحيحة، حتى يبلغ اليتيم سنّ الرشد ويُحسِن التصرف في ماله، وأمر سبحانه بعد ذلك بالوفاء بالعهود سواء أكانت مع الله أم مع الناس؛ لأنّ العباد مسؤولون عن الوفاء بعهودهم يوم القيامة. ثمّ يأمر الله تعالى المؤمنين بإتمام الكيل إذا كالوا لغيرهم من غير تنقيص ولا بخس، وبالوزن بالعدل من غير احتيال ولا خديعة؛ لأنّ إيفاء الكيل وإقامة الوزن بالقسط خير في الدنيا وأحسن عاقبة في الآخرة.

■ المعنى التفصيليّ:

■ حرمة التعدي على مال اليتيم:

حرص الإسلام على المحافظة على المال بوجه عام؛ لأنّه عصب الحياة، ووضع قيوداً على طرق استثماره وإنفاقه بما يعود على الفرد والمجتمع بالخير العظيم. وفي هذه الآيات شدّد كثيراً على حفظ مال اليتيم وعدم التعدي عليه، وأخبر أنّه يتحول يوم القيامة ناراً في بطن آكله؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾ النساء: ١٠، وفي آيات سورة الإسراء ينهى عن مجرد الاقتراب من مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن؛ لأنّ اليتيم ضعيف عاجز عن تدبير ماله، ولا يستطيع المحافظة عليه، لذلك فقد كلف الله تعالى وليَّه برعاية اليتيم وماله، حتى يبلغ أشده، ويبلغ سنّ العقل والرشد، ويُحسِن التصرف فيه، فيستطيع أن يحفظه ويدبره ويدافع عنه.

وقد جاء النهي عن قرب مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن بصيغة الجمع؛ بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ ﴾ الإسراء: ٣٤، ليشمل ذلك كلّ فرد في الأمة؛ لأنّها مسؤولة بمجموعها عن حال اليتيم وماله.

■ الوفاء بالعهد وأثره على المجتمع:

قوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾ الإسراء: ٣٤، تقرير لمبدأ خُلقيّ عظيم، وهو وجوب الوفاء بالعهد، والله سبحانه يسأل يوم القيامة عن عدم الوفاء به، ويحاسب مَنْ يفعل ذلك حساباً عسيراً.

وقد أكّد الإسلام على الوفاء بالعهد؛ لما في ذلك من فوائد عظيمة تعود على المجتمع، أهمها:

١ الاستقامة والثقة بين الناس في تعاملاتهم أفراداً وجماعات.

٢ التعاون بين الأفراد وبناء مجتمع مترابط متّحد.

٣ حصول الأمن في الدنيا وصيانة الدماء.

والناظر في التاريخ الإسلاميّ يجد أروع الأمثلة على الوفاء بالعهود والمواثيق حتى مع الأعداء، ومن ذلك: ما حصل مع اليهود في المدينة المنورة، وما حصل مع قريش في صلح الحديبية، وغير ذلك من الأمثلة التي كان لها أثر بالغ في التأثير في نفوس الناس ونظرتهم إلى الإسلام.

■ الأمر بالوفاء بالكيل والميزان:

انتقلت الآيات الكريمة من الحديث عن الوفاء بالعهد إلى الحديث عن الكيل والوزن؛ فقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾ الإسراء: ٣٥؛ أي أتمّوا الكيل إذا كِلْتم لغيركم من غير تطفيف ولا تنقيص للحقّ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، وزِنوا للناس بالميزان العدل السويّ؛ كما قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ الأنعام: ١٥٢، وكما قال سبحانه: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ الرحمن: ٩.

كما هدّد سبحانه وتوعّد المطففين الذين يأخذون الحقّ كاملاً من الناس إذا كان لهم، ولكنّهم يُنقصون الكيل والوزن ولا يوفون الحقّ إذا كان للناس عليهم، وهدّد هؤلاء بالعذاب الأليم؛ فقال: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴾ المطففين: ١ - ٣.

وتظهر الحكمة من وجوب الوفاء بالكيل والميزان في كونهما يشكلان أمانة في التعامل، ونظافة في القلب، يستقيم بهما التعامل في الجماعة، وتتوافر بهما الثقة في النفوس، وتتمّ بهما البركة في الحياة.

ما ترشد إليه الآية:

١ النهي عن قرب مال اليتيم .

٢ الأمر بالوفاء بالعهد والتشديد في ذلك ؛ لأنّ الإنسان يسأل عن عهده يوم القيامة .

٣ الأمر بإيفاء الكيل والوزن وعدم تنقيص واحد منهما .

نشاط:

أرجع إلى الآيات (١٥٠-١٥٣) من سورة الأنعام، وأستنتج منها أهمّ المعاني .

التلاوة والتجويد

مدّ البدل

هو أن تقع الهمزة قبل حرف المدّ، مثل : (آمنوا، إيمان، آدم، أوتوا، آية)؛ لأنّ أصل الكلمة هكذا (أأمنوا، إئمان، أأدم، أؤتوا، أأية)، فأبدلت الهمزة الثانية الساكنة بحرف مدّ، فصارت (ءامنوا، إيمان، ءادم، أوتوا، ءاية).

حكمه: وجوب مدّه مقدار حركتين-كالمدّ الطبيعيّ- إلا إذا كان حرف المدّ واقع قبل آخر حرف في الكلمة، مثل : (السيئات، يستهزئون)، فيكون المدّ مدّاً عارضاً للسكون في حالة الوقف، ومدّاً بدلاً في حالة الوصل .

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) اليتيم هو الذي ماتت أمه وهو صغير .

ب ( ) أكل مال اليتيم معصية صغيرة لا تبلغ أن تكون من الكبائر .

جـ ( ) لا يحاسب الناس على نقض العهد في الدنيا اكتفاء بمحاسبتهم على ذلك في الآخرة .

د ( ) الوفاء بالعهد سبب للاستقامة والنظافة في ضمير الفرد وحياة الجماعة .

٢ أعلل : جاء النهي عن قرب مال اليتيم بصيغة الجمع بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا ﴾ .

٣ أبيّن معنى قوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ الإسراء : ٣٥ .

٤ أذكر ما ترشد إليه الآية الكريمة .

٥ أبيّن أثر الوفاء بالعهد على الحياة الاجتماعيّة .

٦ أبيّن أحكام المدّ في الكلمات التي تحتها خطوط في الآيات الكريمة الآتية :

أ قال تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ النحل : ١٠ .

ب قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ ﴾ البقرة : ٣٥ .

جـ قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ المائدة : ١ .

د قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ الملك : ٢٧ .

هـ قال تعالى : ﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ الكوثر : ١ .

و قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ﴾ سبأ : ٩ .

ز قال تعالى : ﴿ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴾ الإسراء : ٣٤ .

الدرس

٥١

الدعوة إلى التثبت والنهي عن الكِبْر

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الإسراء: ٣٦ – ٤٠ .

■ المفردات والتراكيب:

لا تقفُ: لا تتبع .

مرحاً: تكبُّراً واختيالاً .

لن تخرق الأرض: لن تجعل فيها خرقاً وشقّاً .

مدحورا: مطروداً مبعداً من رحمة الله .

أصفاكم: خصّكم بنعمة البنين، وجعلها خالصة لكم .

■ المعنى الإجماليّ:

يأمر الله رسوله ﷺ وأتباعه بالتثبت في الأخبار، واجتناب الظنون التي لا دليل عليها؛ لأنّ الإنسان يُسأل يوم القيامة عن حواسّه من السمع والبصر والقلب والعقل وما اكتسبته جوارحه .

كما ينهى سبحانه وتعالى عن الكِبْر والخيلاء، فإنّ الإنسان لا يليق به التكبُّر فهو لن يشقّ الأرض ويقطعها، ولن يساوي الجبال في العظم والارتفاع، فهو أضعف من الأرض والجبال .

ثمّ وبّخ العرب الذين قالوا: إنّ الملائكة بنات الله مع أنّهم لا يرضونها لأنفسهم، فهل خصّهم ربهم بالبنين واختار البنات لنفسه؟!، إنّ هذا لقولٌ منكرٌ شنيع .

■ المعنى التفصيليّ:

■ الدعوة إلى التثبت وعدم اتّباع الظنّ:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ ﴾؛ أي لا تتبع ما لا تعلم وما لا يعنيك، بل تثبت من كلّ خبر ولا تتبع الظنون من غير دليل عليها؛ قال عبد الله بن عباس وقتادة رضي الله عنهم: «لا تقل رأيت ولم ترَ، وسمعت

ولم تسمع، وعلمت ولم تعلم»، و ذلك أنّ الإنسان يوم القيامة يُسأل عن حواسّه ما فعل وتصرّف بها، فيُسأل عن قلبه عما اعتقد وعزم عليه، وعن سمعه كيف استخدمه في الحلال والحرام، وعما نظر إليه ببصره؛ هل وافق الشريعة أم لا؟!

ونستنتج من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ المنهج العلميّ الدقيق الذي أمرنا الله باتّباعه؛ ما جعل المسلمين هم السباقون في وضع أسس المنهج العلميّ التجريبيّ الحديث الذي يقوم على الملاحظة والتجربة والاستنتاج.

والأمانة العلميّة التي يفتخر بها العلماء في العصر الحديث، ما هي إلا جزء من الأمانة التي سبق القرآن الكريم الدعوة إليها، وجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده أمام واهب السمع والبصر والفؤاد.

■ النهي عن التكبُّر:

ختمت الآيات الأوامر والنواهي السابقة بالنهي عن الكِبْر والخيلاء؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا﴾ الإسراء: ٣٧؛ أي لا تمشِ في الأرض مختالاً مشية المعجب المتكبّر؛ لأنّك لن تشقَّ الأرض فتدخل باطنها وتعلم ما فيها، ولن تبلغ الجبال وتساويها بطولك وتطاوُلِك وكِبْرك؛ لأنّك عبد ضعيف؛ قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر**»[1]، وقال: «**وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله**»[2].

ولو تذكّر الإنسان أنّ ما به من نعمة فمن الله، وأنّه ضعيف أمام قوته سبحانه فإنّه لا يتكبر ولا يتبختر، ولكان مؤدّباً مع الله ومع الناس.

أمّا قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ﴾ الإسراء: ٣٩، فيشمل كلّ ما أمر الله به من فعل الخيرات؛ كالإحسان إلى الوالدين، والعطف على الفقراء والمساكين، والوفاء بالعهود، وغيره. وما نهى عنه من الصفات السيئة وحرّمه على الناس؛ من التبذير، والإسراف، والبخل، والزنا، وقتل الأولاد، وقتل النفس، وقرب مال اليتيم، واتّباع ما ليس له به علم، والمشي في الأرض كِبْراً ومرحاً.

وهكذا ربط القرآن الكريم جميع الأعمال بالتوحيد؛ فابتدأ بالدعوة إلى التوحيد بقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ الإسراء: ٢٣، وختم به فقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ الإسراء: ٣٩، إشارة إلى أنّ جميع الأعمال يجب أن تكون قائمة عليه وهو أساسها، وأنّها لا تُقبل ولا تصحّ إلا به.

---

١ رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكِبْر.

٢ رواه مسلم، كتاب البِرّ والصلة، باب استحباب العفو والتواضع.

أوهام المشركين وخرافاتهم:

زعم المشركون أنّ الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً، ثم ادّعوا أنّهم بنات الله، ثمّ عبدوهم، فأخطؤوا خطأً عظيماً، وردّ الله عليهم بقوله: ﴿ أَفَأَصْفَىٰكُمْ رَبُّكُم بِٱلْبَنِينَ وَٱتَّخَذَ مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنَٰثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الإسراء: ٤٠ بصيغة الاستفهام الإنكاريّ التعجبيّ.

ومعنى الآية: هل خصّكم ربّكم بالذكور، واختار لنفسه على زعمكم البنات، مع أنّكم تعدّون البنات أدنى من البنين، وتقتلون البنات خوفَ الفقر والعار، ومع هذا تجعلون الملائكة إناثاً وتنسبونها إلى الله؟، فإذا كان الله هو واهب البنين والبنات فهل أعطاكم البنين، وهم الأفضل في نظركم واختار لنفسه البنات، وهنّ الأدنى والأقلّ حسب قولكم؟؛ ﴿إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴾ الإسراء: ٤٠؛ فقولكم هذا فيه جرأة وافتراء على الله، وهو قول شنيع عظيم.

ما ترشد إليه الآيات:

١ يجب التثبُّت في الأخبار والأحكام واجتناب الظنّ الذي لا دليل عليه.

٢ ذمّ الإسلامُ الكِبْرَ والخيلاء، ودعا إلى التواضع شكراً لله، وحتى تنتشر المحبة والألفة بين أفراد المجتمع.

٣ التوحيد أساس الأعمال، فلا يقبل الله عملاً من دونه.

التلاوة والتجويد

المدّ العارض للسكون

وهو أن يأتي حرف المدّ قبل آخر حرف في الكلمة، ثم نسكّن الحرف الأخير في تلك الكلمة بالوقوف عليه، مثل: (العقاب)، و(غفور)، و(رحيم)، و(الناس)، و(الرَّحمن). وسُمّي عارضاً؛ لأنّ الحرف الأخير في الكلمة قد عرض له السكون بالوقف عليه، فلو وصلنا الكلمة بما بعدها لما كان عارضاً، وأصبح المدّ طبيعيّاً.

حكمه: يجوز مدّه من حركتين إلى أربع أو ستّ حركات.

نشاط:

أستخرج أحكام المدود في الآيات السابقة.

التقويم

١ أضعُ إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وإشارة (✗) أمام العبارة غير الصحيحة فيما يأتي :

أ ( ) معنى مدحوراً في قوله : ﴿فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ ؛ أي مربوطاً بالأغلال .

ب ( ) سبقت الأمم الأخرى المسلمين بالدعوة إلى الأمانة العلميّة .

ج ( ) المتكبر رأى في نفسه نعمة الله فأحبّ أن يظهرها للناس .

د ( ) التوحيد هو أساس الفضائل، والشرك أساس الرذائل والقبائح .

٢ أذكر حديثين أحدهما يذمّ الكِبْر، والآخر يمدح التواضع .

٣ أعلل : نهى القرآن الكريم عن المشي مَرَحاً .

٤ قال تعالى : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الإسراء : ٣٦ تضمنت الآية الكريمة أسس بناء المنهج التجريبيّ، أوضّح ذلك .

٥ أبيّن أحكام المدّ في الكلمات التي تحتها خطوط في الآيات الآتية :

أ قال تعالى : ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾ الزخرف : ١٩ .

ب قال تعالى : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ المائدة : ٢ .

ج قال تعالى : ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ المائدة : ١٥ .

د قال تعالى : ﴿وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ الإسراء : ٢ .

هـ قال تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ الزمر : ٢ .

و قال تعالى : ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا﴾ المدثر : ٣١ .

ز قال تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾ البقرة : ١٣ .

ح قال تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ غافر : ٣٨ .

المصادر والمراجع

١ ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم: مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ٣٧مج، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد النجدي، ط ١، بيروت - مطابع دار العربية، ١٣٩٨هـ.

٢ ابن حجر، أحمد بن علي بن محمد: فتح الباري شرح صحيح البخاري، ١٣مج، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه محب الدين الخطيب، (د. ط)، بيروت - دار المعرفة للطباعة والنشر، (د. ت).

٣ ابن حنبل، أحمد: مسند الإمام أحمد بن حنبل وبهامشه كنز العمال في سنن الأقوال والأعمال. ط ٢، بيروت - المكتب الإسلامي، ١٩٧٨

٤ ابن كثير، إسماعيل بن عمر: تفسير القرآن العظيم، ٧مج، ط ٢، بيروت - دار الفكر للطباعة والنشر، ١٩٧٠.

٥ ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير، ط ١، بيروت - مؤسسة التاريخ، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م.

٦ ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني: سنن ابن ماجه، حكم على أحاديثه الألباني اعتنى به مشهور آل سلمان، ط ١، الرياض - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د. ت).

٧ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، ١٥مج، (د. ط)، بيروت - دار صادر، (د. ت).

٨ أبو حيّان، محمد بن يوسف: تفسير البحر المحيط، ٨مج، دراسة وتحقيق عادل عبد الموجود وآخرون، ط ١، بيروت - دار الكتب العلمية، ١٩٩٣.

٩ أبو داود، سليمان بن الأشعث: سنن أبي داود، حكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط ١، الرياض - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د. ت).

١٠ الألوسي، شهاب الدين السيد محمود: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ١٥مج، (د. ط)، بيروت - دار إحياء التراث العربي، (د. ت).

١١ باجودة، حسن: تأملات في سورة الإسراء، دار الاعتصام، (د. ط)، (د. ن)، (د. ت).

١٢ الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد، دار المعارف - القاهرة، (د. ت).

١٣ البخاري، محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، ٣مج، بتبويب وترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١، القاهرة - مكتبة الصفا، ٢٠٠٣.

١٤ البدوي، محمود سيبويه: الوجيز في علم التجويد، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

١٥ الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة: سنن الترمذي، حكم على أحاديثه الألباني، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط ١، الرياض - مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، (د. ت).

١٦ الجصاص، أحمد بن علي الرازي: أحكام القرآن، تحقيق، محمد الصادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ١٤٠٥هـ.

١٧ الجزائري، أبو بكر جابر: أيسر التفاسير لكلام العلي القدير، ٤مج، ط ٢، جدّة - راسم للدعاية والإعلان، ١٩٨٧.

١٨ جعفر، عبد الغفور محمود: التفسير والمفسرون في ثوبه الجديد، ط١، دار السلام - القاهرة، ٢٠٠٧م.

١٩ الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله: المستدرك على الصحيحين وبذيليه التلخيص، ٥مج، إشراف د. يوسف المرعشلي، (د. ط)، بيروت - دار المعرفة، (د. ت).

٢٠ حجازي، محمد محمود: التفسير الواضح، ٣مج، ط ٦، القاهرة - مطبعة الاستقلال الكبرى، ١٩٦٩.

٢١ الحموي، أحمد بن عمر بن محمد بن أبي الرضا: القواعد والإشارات في أصول القراءات، تحقيق عبد الكريم بكار، ط١، دمشق - دار القلم، ١٤٠٦هـ.

٢٢ حوّى، سعيد: الأساس في التفسير، ١١مج، ط ١، القاهرة - دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٢٣ الخالدي، صلاح عبد الفتاح: الشخصية اليهودية من خلال القرآن، ط ١، دمشق - دار القلم، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٤ دراز، محمد عبد الله: النبأ العظيم، دار القلم للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.

٢٥ الذهبي، محمد حسين: التفسير والمفسرون، ط٢، دار إحياء التراث العربي.

٢٦ الرازي، فخر الدين محمد بن عمر: مفاتيح الغيب، ١٦مج، ط ١، بيروت - دار الفكر.

٢٧ الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد: مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: محمد سيد كيلاني، (د. ط)، بيروت - دار المعرفة، (د. ت).

٢٨ رضا، محمد رشيد: تفسير المنار، ط ٢، بيروت – دار المعرفة، (د. ت).
٢٩ الرومي، فهد بن عبد الرحمن: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com.
٣٠ الزحيلي، وهبة: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٥مج، ط ١، بيروت – دار الفكر المعاصر، ودمشق – دار الفكر، ١٩٩٨.
٣١ الزرقاني، محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الفكر، (د. ت).
٣٢ الزركشي، أبو عبد الله محمد بن بهادر: البرهان في علوم القرآن، دار المعرفة – بيروت، ١٣٩١.
٣٣ الزمخشري، محمود بن عمر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ٤مج، حققه محمد الصادق قمحاوي، (د. ط)، القاهرة – شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٢.
٣٤ الصابوني، محمد علي: صفوة التفاسير، ط ١، دار السلام، ١٩٩٦م.
٣٥ السعدي، عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ٢مج، ط ١، فلسطين – مطبعة النور، ١٩٩٧.
٣٦ السندي، عبد القيوم عبد الغفور: جمع القرآن الكريم في عهد الخلفاء الراشدين، مصدر الكتاب: موقع الإسلام http://www.al-islam.com.
٣٧ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٦هـ.
٣٨ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: لباب النقول في أسباب النزول، دار إحياء العلوم – بيروت، (د. ت).
٣٩ الطبري، محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ١٠مج، تحقيق أحمد البكري وآخرون، ط ٢، القاهرة – دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٧.
٤٠ طنطاوي، محمد سيد: بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ط ١، مصر – الزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٤١ طنطاوي، محمد سيد: التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار المعارف–القاهرة، (د. ط)، (د. ن)، (د. ت).
٤٢ عباس، فضل حسن: إتقان البرهان في علوم القرآن، ط٢، دار النفائس – عَمان، ٢٠١٠م.
٤٣ عباس، فضل حسن: القراءات القرآنية، ط١، دار النفائس – عَمان، ٢٠٠٨م.

٤٤ العبيد، علي بن سليمان: جمع القرآن الكريم حفظاً وكتابةً، مصدر الكتاب : موقع الإسلام http: //www.al-islam.com.

٤٥ القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد : الجامع لأحكام القرآن، ٢٢مج، (د.ط)، بيروت – دار الفكر، (د.ت).

٤٦ القطان، إبراهيم: تيسير التفسير، ط١، عمان، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

٤٧ القطان، مناع: مباحث في علوم القرآن، ط١٣، مكتبة وهبة – القاهرة، ٢٠٠٤م.

٤٨ قطب، سيد: في ظلال القرآن، ٦مج، ط ١٧، بيروت، القاهرة – دار الشروق، ١٩٩٢.

٤٩ لجنة القرآن والسنة: المنتخب في تفسير القرآن، الدوحة، دار الثقافة، (د.ط)، (د.ن)، (د.ت).

٥٠ المحلّي والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر وجلال الدين محمد بن أحمد: تفسير الجلالين، ط ١، القاهرة – دار الحديث، (د.ت).

٥١ القشيري، مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم، ٥مج، رقّمه وعلّق عليه محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)، بيروت – دار الفكر للنشر والتوزيع، ١٩٨٣.

٥٢ النَّسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب: السنن الكبرى، تحقيق عبد الغفار البنداري وسيد كسروي حسن، ط ١، بيروت – دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٣ النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف: التبيان في آداب حملة القرآن، تحقيق محمد الحجار، دار ابن حزم.

٥٤ الهيثمي، علي بن أبي بكر: مجمع الزوائد، القاهرة – دار الريان للتراث، وبيروت – دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ.

٥٥ الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد النيسابوري: أسباب النزول، تحقيق عصام بن عبد المحسن الحميدان، الدمام – دار الإصلاح، (د.ت).

المشاركون في إنجاز هذا العمل: